

السنة السادسة - العدد ٨٤ - يوليو ٢٠٠٧

رئيس مجلس الإدارة

مرسى عطا الله

رئيس تحرير الأهرام

أســـامة ســـرايا

مدير المركز:

د. عبد المنعم سعيد

رئيس التحرير:

د. محمد السعيد إدريس

مستشار التحرير:

د. محمد السعيد عبد المؤمن

وحدة الترجمة

د. مدحت أحمد حماد
أ. فتحى أبو بكر المراغى
د. أحمد محمد نادى
أ. مسعود إبراهيم حسن
أ. محمد حسن الزيبق
د. طارق محمد محمود
أ. حسين صوفى محمد
أ. أحمد فتحى قبال

الآراء الواردة في هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.

المستشار الفنى: السيد عزمى
المدير الفنى: حامد العويضى
سكرتارية التحرير الفنية: مصطفى علوان

صورة الغلاف:

لقاء عائلى جميل جمع أسرة بوش وبوتين ومداعبة لطيفة من بوتين لـ"كلب" بوش، لكن المحصلة جاءت فى شكل مبادرة روسية أقنعت الأوروبيين بعدم جدارة الموقف الأمريكى فيما يتعلق بمشكلة الدرع الصاروخى.

مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة - جمهورية مصر العربية ت: ٥٧٨٦١٠٠/ ٥٧٨٦٢٠٠/ ٥٧٨٦٣٠٠ فاكس: ٥٧٨٦٠٢٣/ ٥٧٨٦٠٣٧



«مختارات إيرانية» دورية شهرية تصدر باللغة العربية منذ أغسطس ٢٠٠٠ ويتولى رئاسة تحريرها د. محمد السعيد إدريس ، وهى أول إصدار ثقافى عربى يسعى لتقديم معرفة علمية متكاملة عن المجتمع والدولة فى إيران، وتضم مختارات إيرانية أربعة أقسام أساسية، الأول خاص بالتفاعلات الداخلية على الأصعدة المختلفة سياسيا وأمنيا وثقافيا واجتماعيا واقتصاديا، أما القسم الثانى فيختص بالعلاقات الإقليمية لإيران وتفاعلات إيران مع الأحداث والقوى الإقليمية خاصة فى الخليج والوطن العربى ومجمل دول الشرق الأوسط ، وكذلك دول بحر قزوين وآسيا الوسطى وجنوب آسيا. ويهتم القسم الثالث بالعلاقات الدولية لإيران سواء مع القوى الدولية أو المنظمات الدولية. أما القسم الرابع فيحمل عنوان «رؤى عربية» ويهتم بتقديم رؤى وتحليلات ووجهات نظر عربية فى أحداث ، وتطورات، وكذلك تقديم تعليقات على أفكار ورؤى إيرانية فى محاولة لتجسير الفجوة بين المفاهيم والادراكات العربية والإيرانية أو على الأقل التقريب بينها لمزيد من معرفة كل منهما للآخر .

ويسعد « مختارات إيرانية » تلقى الردود والتعليقات المختلفة لنشرها وفقا لقواعد النشر المعمول بها بالمجلة .

المحتويات

افتتاحية

إيران وصراع الدرع الصاروخى

يبدو أن الإدارة الأمريكية المندفعة فى عدائها لإيران والمتحفزة ضد برنامجها النووى سوف تضطر إلى مراجعة أوراقها مرة أخرى بسبب أخطاء كثيرة أوقعت فيها الإدارة الأمريكية نفسها. فهى أولاً لم تدرك العامل الزمنى شديد الحساسية بين الاندفاع الإيرانى فى إنجاز المشروع النووى وبين سرعة التورط الأمريكى فى أوحال المستنقع العراقى. فلولا هذا التورط الأمريكى فى العراق ما تجرأت إيران على التعامل، بكل هذه الثقة، التى تتعامل بها مع ملفها النووى، حيث يدرك الإيرانيون أن الحل العسكرى الأمريكى لأزمة برنامجهم النووى غير قابل للتوظيف طالما ظل الأمريكيون على ورطتهم فى العراق. هنا بالتحديد ربما يتكشف أحد أسرار غموض الموقف الإيرانى من مسألة الدعوة إلى الانسحاب الأمريكى من العراق، فإيران تتحدث بصوت خافت أقرب إلى الهمس عن هذا الانسحاب، بينما حلفاؤها يرفضون بشدة هذا الانسحاب. هناك مصلحة إيرانية آنية، وربما على المدى القريب، فى أن يبقى الأمريكيون على ورطتهم فى العراق إلى أن يتجاوز البرنامج النووى لحظة الخطر ويصل إلى بر الأمان، عندها يكون لكل حادث حديث.

واشنطن لم تدرك أيضاً خطورة "خلط الأوراق" فى إدارة أزمة الملف النووى الإيرانى، وبالذات فى تعاملها مع روسيا، ولم تقيم الموقف الاستراتيجى الروسى التقييم الصحيح الذى يستحقه.

الأمريكيون تجاهلوا مدى حساسية روسيا لامتلاك إيران برنامجاً نووياً عسكرياً، وهم الذين يقومون ببناء محطة بوشهر النووية، وهم الأقرب إلى إيران فى هذا المجال، وهم الأكثر حساسية فى الخوف من أى تطور فى البرنامج النووى الإيرانى يحوله من برنامج سلمى إلى برنامج عسكرى يمكن أن ينتج قنابل نووية. فالروس هم أكثر المتضررين من حدوث مثل هذا التحول، كذلك فإن موقفهم من أزمة البرنامج النووى الإيرانى مبنى على تقديرات حقيقية وعلمية وجادة غير مشوهة بدوافع سياسية.

الأمريكيون تجاهلوا أيضاً أن روسيا هى الأقرب إلى الصناعة العسكرية الإيرانية، وهى الأصدق فى تقدير مستوى تطور هذه الصناعة. لذلك فإنه عندما يضغط الأمريكيون لابتزاز الروس لاتخاذ مواقف تتوافق مع مواقفهم بخصوص البرنامج النووى أو بخصوص الأسلحة الإيرانية، يكونون قد أدخلوا أنفسهم فى المناطق الخطأ المليئة بالألغام، وافتقدوا القدر اللازم من المصداقية.

هذا ما حدث عندما ضغط الأمريكيون أكثر من اللازم على القيادة الروسية للموافقة على فرض عقوبات اقتصادية ضد إيران دون مراعاة لا للمصالح الروسية مع إيران ولا للمكانة الروسية فى النظام العالمى فى وقت تتطلع فيه القيادة الروسية لاستعادة القدر الأكبر من الهيبة لهذه المكانة التى تداعت مع سقوط الاتحاد السوفيتى.

لكن الموقف الأخطر حدث بالنسبة للأسلحة الصاروخية الإيرانية عندما وقع الأمريكيون فى خطأ لعبة "خلط الأوراق"، وربطوا بين مشروعهم لبناء درع صاروخى فى شرق أوروبا وبالتحديد فى بولندا وتشيكيا، وبين المخاوف من أخطار الصواريخ الإيرانية. فكانوا أشبه بمزارع قام بوضع أسد على بوابة مزرعته تحسباً لاحتمال أن يقوم بعض طيور المزرعة المجاورة بالإغارة على مزرعته.

كان الربط الأمريكى بين مشروع الدرع الصاروخى الذى يريدون بنائه فى مواجهة روسيا وبرنامج صناعة الصواريخ الإيرانية أشبه بـ "المزحة السخيفة" بالنسبة للروس الذين رفضوا بشدة هذا الربط منعدم المنطق بين مشروع الدرع الصاروخى الأمريكى وصواريخ إيران.

ففى زيارته لموسكو التى خصصت لإقناع القيادة الروسية بالموافقة على مشروع الدرع الصاروخى، حاول روبرت جيتس وزير الدفاع الأمريكى إقناع روسيا بالمشاركة فى الفعاليات العسكرية الأمريكية فى مجال الدفاع الاستراتيجى المضاد للصواريخ من خلال الزعم بأن منظومة الدفاع المضادة للصواريخ التى تنوى بلاده تطويرها فى أوروبا "لن توجه ضد روسيا أو أى دولة أخرى، وأن هذه المنظومة موجهة ضد المعتدين المحتملين فى الشرق الأوسط وآسيا (إيران وكوريا الشمالية)، والذين يستطيعون استخدام الصواريخ الباليستية لممارسة أعمال ابتزاز ضد أوروبا والولايات المتحدة وإحداث فوضى". روسيا رفضت هذا المنطق الأمريكى ورفضت معه الدعوة الأمريكية للمشاركة وحذرت من أن إنشاء الولايات المتحدة خطاً متقدماً للدرع الصاروخى الأمريكى فى أوروبا قد يؤدى إلى سباق تسلح جديد، وإلى نتائج معاكسة لما هو معلن، "وقد تمهد لجولة من سباق التسلح وزعزعة الاستقرار فى المنطقة والعالم" حسب توضيح الكسندر جروشكو نائب وزير الخارجية الروسى. أما سيرجى إيفانوف نائب رئيس الوزراء الروسى فكان أكثر صراحة وقال أنه "لا يرى أساساً لتعاون محتمل بشأن الدرع الصاروخى"، وتساءل فى حوار مع صحيفة "فايننشال تايمز" البريطانية إن كانت الخطة فعلا لصد خطر إيران التى لا يرى كيف لها أن تنتج هذه الصواريخ فى المستقبل المنظور، على الأقل. وقال: "ربما أنه ليس هناك، ولن

بين بوش وبوتين

يكون هناك، صواريخ باليستية عابرة للقارات (إيرانية) فضد من يوجه إذن هذا الدرع الصاروخي"، ثم أجاب: "ضدنا نحن فحسب".
الموقف الروسى لم يقف عند هذا الحد، أى عند مستوى الرفض السلبى للدعوة الأمريكية، ولكن كانت المفاجأة الكبرى للرئيس فلاديمير بوتين أمام قمة الدول الصناعية الكبرى فى ألمانيا عندما اقترح اعتماد قاعدة رادار مشتركة فى المحطة التى تستأجرها روسيا فى أذربيجان كبديل لنشر منظومة الصواريخ الأمريكية المضادة فى بولندا وأذربيجان.
جاء هذا الاقتراح أقرب إلى الصدمة بالنسبة للإدارة الأمريكية لأنه كان بمثابة تفريغ للمنطق الأمريكى من أى مصداقية. فإذا كانت إيران هى المستهدفة من إقامة هذه الصواريخ فى تشيكيا ونصب الرادار فى بولندا فلماذا لا يتم نصب هذه الصواريخ والرادارات بالقرب من إيران فى أذربيجان وتركيا (حيث القواعد الأمريكية وقواعد حلف شمال الأطلسى).
وجاء الرد الأمريكى فى شكل دعوة بزيارة خاصة للرئيس فلاديمير بوتين لنظيره الأمريكى فى كينيبنكورت (ولاية مين الأمريكية) كان يأمل من خلالها الرئيس الأمريكى جورج بوش أن ينجح فى تليين موقف الرئيس الروسى، لكن لم تمض ثلاثة أيام على تلك الزيارة الخاصة بكل أجوائها العائلية حتى استبق سيرجى ايفانوف نائب رئيس الوزراء الروسى موعد الاجتماع الرباعى لوزيرى الخارجية والدفاع فى روسيا والولايات المتحدة الذى اتفق عليه فى تلك الزيارة وطرح مبادرة روسية لحل أزمة الدرع الصاروخى الأمريكى هدفها توسيع الفجوة بين الأمريكيين والأوروبيين.
فبعد أن اتهم ايفانوف واشنطن بأنها تسعى إلى إقامة "جدار برلين جديد" بين روسيا وأوروبا بسبب خططها لنشر الدرع المضادة للصواريخ فى أوروبا الشرقية، وأنها تسعى إلى دفع روسيا إلى مواجهة مع أوروبا، دعا ايفانوف إلى "تأسيس منظومة متكاملة فى أوروبا تشارك فيها الولايات المتحدة وحلفاؤها من البلدان الأعضاء فى حلف شمال الأطلسى بالإضافة إلى دول محايدة مثل فنلندا والنمسا والسويد"، وأوضح أن "الحديث يدور عن منظومة موحدة وشاملة لمواجهة الأخطار الصاروخية تشترك فيها كل الأطراف على قدم المساواة من حيث إدارة هذه المنظومة التى يمكن أن تكتمل بحلول عام ٢٠٢٠".
هذا الرد الروسى كانت له أصداؤه الإيجابية على المستوى الأوروبى باتجاهين:
الأول، خلق قناعة أوروبية تتزايد يوماً بعد يوم بجدية الموقف الروسى وجدارته وعدم الثقة فى الموقف الأمريكى. عبر عن هذه القناعة ادموند شتويبر رئيس وزراء إقليم بافاريا الألمانى. فبعد تصريحات لمسئولين إيطاليين وفرنسيين عبروا عن دعمهم للموقف الروسى أعلن شتويبر عقب لقاء جمعه فى موسكو مع الرئيس فلاديمير بوتين عن دعم بلاده للموقف الروسى بشكل كامل. وقال أن السيناريوهات المحتملة لتطور الموقف باتت محصورة فى احتمالين: إما أن تستمر واشنطن فى عنادها وإصرارها على تنفيذ خطة نشر الدرع الصاروخى التى تهدد بتدهور حاد للعلاقة بين موسكو وحلف شمال الأطلسى، أو تقبل بالتعاون على أساس الاقتراح الروسى القاضى بفتح محطات الإنذار المبكر الروسية فى أذربيجان وجنوب روسيا أمام خبراء البلدين للتعاون فى مواجهة الأخطار المشتركة وتأسيس مركزى معلومات مشتركين فى موسكو وبروكسل لهذا الغرض. وأنهى شتويبر تعليقه بالقول: "إن برلين تدعم بشكل أكبر السيناريو الثانى وترى أنه يضمن أمن أوروبا وحمايتها من الأخطار المتوقعة".
والثانى، اقتناع أوروبى متزايد بعدم رجاحة الحل العسكرى لأزمة البرنامج النووى الإيرانى وهو الاقتناع الذى أحدث صدمة كبيرة لوزير الشئون الاستراتيجية الإسرائيلى افيجدور ليبرمان الذى كلفه إيهود أولمرت رئيس الحكومة الإسرائيلية فى الأسبوع الأول من يوليو الجارى بـ "التعامل مع البرنامج النووى الإيرانى" بهدف التخلص منه. فقد عاد ليبرمان من بروكسل مقر حلف شمال الأطلسى مصدوماً من موقف الحلفاء الأطلسيين الذين أبلغوه، حسب تصريحاته لصحيفة "يديعوت احرونوت"، بأنه لا يمكن لإسرائيل أن تعتمد على الأسرة الدولية فى منع إيران من التزود بالسلاح النووى "ذلك إننا عالقون فى أفغانستان، وقوات أمريكية وأوروبية تغرق فى الوحل العراقى الأمر الذى سيمنع قادة الدول الأوروبية وأمريكا من اتخاذ قرار استخدام القوة العسكرية لتدمير المنشآت النووية الإيرانية".
والنتيجة، حسب قول ليبرمان، أن إسرائيل "ستكون مطالبة بأن تنزع التهديد النووى الإيرانى بالوسائل الموضوعة تحت تصرفها، ولا يمكنها أن تعتمد على التعاون الدولى".
نهاية مأساوية لإدارة وسياسة أمريكية خاطئة لأزمة الملف النووى الإيرانى لن يستفيد منها غير إيران.

د. محمد السعيد إدريس

دراسة

موقع إيران فى العلاقات الخاصة بين بريطانيا والولايات المتحدة بعد نجاح الثورة

■ د. علي رضا موسوى زاده - إطلاعات سياسى اقتصادى (دورية الأخبار السياسية والاقتصادية)
السنة الرابعة، العدد الخامس، مايو ٢٠٠٧

يقول إف إس نورتج أن الحكومات القوية أو القوى العظمى يمكن التمييز بينها بسهولة وخاصة إذا ما كانت الدول الأخرى عدا تلك التى تعيش ظروفا سيئة مثل جامبيا وفيجى ترغب فى أن ترى نفسها فى مكانة متوسطة بينما من الطبيعى أن يكون للقوة العظمى قدرة أكثر مما لدى الدول المتوسطة. ومنذ فترة الحرب العالمية الثانية كانت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى هما الدولتان الوحيدتان اللتان يمكنهما خوض حرب كاملة تستخدم فيها الأسلحة الحديثة. وتشير التقديرات إلى أن ست قنابل هيدروجينية ذات قوة تدميرية قصوى يمكنها أن تقضى على الحياة فى الجزر البريطانية. كما أن قيام أى من الدولتين العظميين بهجوم مماثل على أية دولة أخرى يمكن أن يؤدى إلى خسائر مماثلة وقد لجأت بريطانيا إلى التحالف مع الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية خوفا من التهديد الشيوعى ونقص المصادر المالية اللازمة للدفاع على آثار الأزمة الاقتصادية التى وقعت فيها بعد الحرب. وقد اتفقت كل من حكومة العمال البريطانية فى الفترة من ١٩٤٥ إلى ١٩٥١ وحكومة المحافظين فى الفترة من ١٩٥١ إلى ١٩٦٣على هذه الرؤية لمواجهة السياسة التوسعية للإتحاد السوفيتى وبعد نجاح الإتحاد السوفيتى فى تصنيع القنبلة الهيدروجينة بعد عام واحد من نجاح الولايات المتحدة فى تصنيعها اعتبرت بريطانيا أن هذا النجاح السوفيتى يزيد الوضع سوءا واتجهت إلى تعميق علاقاتها مع الولايات المتحدة وتكوين جبهة غربية تقف فى وجه التوسع السوفيتي. وقد طرح تشرشل فكرة العلاقات الخاصة بين الكومنولث البريطانى وبين الولايات المتحدة حيث لم يقصر طبيعة هذه العلاقات على الجوانب التقليدية بل وسعها إلى التشاور العسكرى وتوحيد تحديد العدو والمساعدة فى التسليح. وقدم اقتراحا لتأسيس قواعد عسكرية وقال إن العلاقات الخاصة تعنى أن كلا من الولايات المتحدة وبريطانيا يمكنهما الاستفادة من الإمكانيات الموجودة لتوفير الأمن لكليهما وهذه الإمكانيات تشمل القواعد البحرية والجوية التابعة لكل منهما فى أى مكان بالعالم. وهو ما يضاعف قدرات القوات البحرية والجوية الأمريكية وكذلك يؤثر فى تضخم القوة الإمبراطورية لبريطانيا وبالتالى ينتج عنه مكاسب مادية وتوفير لكل من البلدين ولكن رد فعل الولايات المتحدة لم يكن مشجعا على عكس المتوقع.

كان ظهور الأحزاب الشيوعية فى فرنسا وإيطاليا وعدم انسحاب الاتحاد السوفيتى من شمال إيران قد أدى إلى تفكير الولايات المتحدة فى انتهاج سياسات فردية لمواجهة الإتحاد السوفيتي، ففى عام ١٩٥٣ عندما عاد تشرشل إلى السلطة عاود طرح سياسة العلاقات الخاصة مع الولايات المتحدة وأرسل إلى الرئيس الأمريكى ايزنهاور رسالة يقول فيها إنه يأمل أن يكون هناك فى المستقبل اتحاد للعالم الناطق بالانجليزية وأنه

إذا لم يحدث ذلك فإن أحدا لا يدرى ماذا يمكن أن يحدث فى المستقبل. وفى هذا الوقت أصيب تشرشل بالسكتة الدماغية وتولى إيدن قيادة دبلوماسية الحكومة البريطانية ورغم أن إيدن كان يؤمن بضرورة التعاون بين الولايات المتحدة وبريطانيا إلا أنه كان يؤمن أن بريطانيا لا يجب أن تسمح بأن تكون سياستها الخارجية تابعة لنظيرتها الأمريكية. كما لم يكن يضع العلاقات مع الولايات المتحدة على رأس أولوياته حيث كان دائما يولى الأهمية الكبرى لأوروبا وسوق الكومنولث البريطانى ويضع اتحاد الأطلسى فى المرتبة الثانية وبالتالى ضاع الأمل فى تحقيق تعاون وشراكة بين بريطانيا والولايات المتحدة بعد مرض تشرشل وتولى إيدن رئاسة الوزراء. وفى فترة رئاسة إيدن وصلت العلاقات بين بريطانيا والولايات المتحدة إلى أكثر حالات البرودة فى القرن العشرين وخاصة بعد أزمة السويس فى عام ١٩٥٦، فقد كانت قناة السويس تمثل الطريق الرئيسى بين بريطانيا وإمبراطوريتها وخاصة الهند، وبعد استقلال الهند ظلت قناة السويس تمثل أهمية كبيرة لها لأن ثلثى النفط المنتج فى منطقة الخليج كان يتم نقله عبر القناة.
كما أن الولايات المتحدة بعد تأميم النفط فى إيران تحولت إلى القوة المسيطرة على الخليج ولهذا لم يعد إيدن يرغب فى تدخل الولايات المتحدة لأنه لم يكن يريد أن تتطور الأمور إلى التسبب فى زيادة النفوذ الأمريكى فى المنطقة وإضعاف موقف بريطانيا وكانت النتيجة أن توقف إيدن عن التشاور مع الأمريكيين وبدأت بريطانيا تتصرف على نحو مستقل وقد قال إيدن لأعضاء حكومته فى عام ١٩٥٥ إن مصالحنا فى الشرق الأوسط أكثر من مصالح الولايات المتحدة لأن اعتمادنا على نفط المنطقة أكثر من اعتماد الأمريكيين ولهذا لا يجب أن نسمح بأن نقيد أنفسنا بالسياسة الأمريكية يجب أن نوفر نفقات سياساتنا عن طريق الاهتمام بمصالحنا فى الشرق الأوسط ونعمل على تشجيع الأمريكيين على تأييد هذه السياسة بقدر استطاعتنا. وكان طرح بريطانيا مفهوما جديدا للعلاقات الخاصة على الأمريكيين وفى الوقت نفسه محاولة تضليلهم قد أدى إلى غضب ايزنهاور فبعد العدوان الثلاثى على مصر كان للولايات المتحدة دور أساسى فى إدانة بريطانيا فى الأمم المتحدة والمطالبة بالإنسحاب الفورى من الأراضى المصرية أى أن أزمة السويس فى عام ١٩٥٦ كانت تمثل انعكاسا لاختلاف المصالح بين بريطانيا والولايات المتحدة فضلا عن كونها صداماً بين رئيس الوزراء البريطانى إيدن والرئيس الأمريكى ايزنهاور ووزير خارجيته جون فوستر دالاس.
وعندما تولى ماكميلان السلطة كان الأمل فى إقامة علاقات خاصة بين بريطانيا والولايات المتحدة منعدما تماما بعد أزمة السويس وكان البريطانيون يرون أن الولايات المتحدة دولة قوية ولكنها لم تبلغ سن الرشد فى الشئون الدولية بينما يرون أن بريطانيا هى أمة عظيمة ذات تجارب وخبرات دبلوماسية أكثر. وكان ماكميلان مثل تشرشل يميل إلى التحالف مع الولايات المتحدة وكانت تربطه بأيزنهاور علاقات وثيقة تعود إلى فترة الحرب العالمية الثانية حيث كان الممثل السياسى للحكومة البريطانية فى الولايات المتحدة. وفى هذه الفترة كان ماكميلان هو أكثر رجال حزب المحافظين البريطانى أهمية وتأثيرا إذ تولى رئاسة الوزراء وأحيا العلاقات المتدهورة بين بريطانيا والولايات المتحدة. وكان يرى ضرورة إقامة علاقات خاصة مع الولايات المتحدة ورغم أن بريطانيا كانت تمتلك تكنولوجيا تصنيع القنبلة النووية والقنبلة الهيدروجينية إلا أنها لأسباب مالية لم تكن قادرة على استخدامها مثل الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي. وقد أدى الخوف من التهديد السوفيتى والنفوذ الشيوعى فى المستعمرات البريطانية الباقية ومستعمراتها السابقة إلى تشجيع ماكميلان على الإسراع بإعادة العلاقات العادية مع الولايات المتحدة كما استمرت بريطانيا فى منح الاستقلال لمستعمراتها.
وفى عام ١٩٥٩ اقترح أحد أهم مهندسى سياسة المستعمرات البريطانية الجديدة وهو اندرو كوهين تحويل النزعة القومية فى أفريقيا إلى معارضة الشيوعية. واتباعا لهذه الفلسفة استمر ماكميلان فى منح الاستقلال للمستعمرات وخاصة فى أفريقيا وبعد أن ترك السلطة فى عام ١٩٦٣ كان الكومنولث البريطانى قد استكمل.
ونعود إلى سياسة ماكميلان الخاصة بالدفاع عن بريطانيا حيث كان التوجه التوسعى للإتحاد السوفيتى سببا فى اتجاه ماكميلان إلى السعى للحصول على قوة دفاعية قوية وسريعة ليتمكن من الدفاع عن بريطانيا ومصالحها وكان الحل هو اتباع السياسة التى كانت تنتهجها الحكومات السابقة أى متابعة فكرة العلاقات الخاصة مع الولايات المتحدة. وفى مارس ١٩٥٧ التقى ماكميلان وأيزنهاور فى برمودا وتبادلا الآراء والأفكار صراحة حول أزمة السويس وأسفر اللقاء عن إجراء اتصالات على أعلى مستوى بين البلدين والواقع أن هذا اللقاء يعد أساس التعاون النووى بين بريطانيا والولايات المتحدة الذى ما زال مستمراً حتى الآن.
وفى عهد الرئيس الأمريكى جون كيندى كانت العلاقات بين الولايات المتحدة وبريطانيا أكثر قوة رغم وجود خلاف شديد بين ماكميلان وكيندى حيث كان يرفض مثل إيدن أن تكون بريطانيا تابعة للولايات المتحدة وكان على استعداد لانتهاج سياسات مستقلة إذا



اقتضت مصلحة بريطانيا ذلك فخلال أزمة السويس كان يرى أن التشاور مع الولايات المتحدة يمكن أن يؤدى إلى سيطرة الأخيرة على قناة السويس وبالطبع كانت فكرة العلاقات الخاصة تلقى معارضة فى كل من بريطانيا والولايات المتحدة فكان المعارضون فى بريطانيا يرون أن بلادهم ستتحول إلى قاعدة أمريكية وبالتالى ستقع تحت سيطرة واشنطن مما يضر بها كثيرا. ورغم العلاقات الوثيقة مع الولايات المتحدة إلا أن ماكميلان كان لا يثق كثيرا فى الأمريكيين ويسعى إلى الاستقلال النووى وفى هذه الفترة أبدى روبرت ماكنمارا وزير الدفاع الأمريكى انتقاده لسياسة ماكميلان للاستقلال النووى وفى النهاية وافقت الولايات المتحدة على بيع صواريخ بلاريس لبريطانيا ليتم إطلاقها من الغواصات النووية بريطانية الصنع.

وفى الوقت الحالى ترى بريطانيا مستقبلها فى الارتباط بالولايات المتحدة ومازالت السياسة المتبعة هى سياسة العلاقات الخاصة مع الولايات المتحدة وهى تسير فى ركاب الولايات المتحدة خطوة بخطوة.

إيران فى استراتيجية العلاقات الخاصة بين بريطانيا والولايات المتحدة.

بعد عام من إقصاء الدكتور مصدق عن السلطة كتب السفير البريطانى فى واشنطن السير روجر ميكينر يقول إن الأمريكيين قد جاءوا ليحلوا محلنا فى الشرق الأوسط وقد زاد نفوذهم فى الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الثانية بدرجة كبيرة حيث يظهرون كقوة كبيرة فى السعودية وهم الآن يعملون على السيطرة على إيران.

ونظرا لضعف بريطانيا الاقتصادى لم تكن قادرة على المحافظة على مكانتها فى ساحة المنافسة مع منافسيها وخاصة من حيث القوة النووية، كما كان التخوف من التهديد الشيوعى للمصالح البريطانية سببا فى اضطرار بريطانيا للتحالف مع الولايات المتحدة وكانت المصالح البريطانية فى الخليج بالإضافة إلى نصيبها الذى يبلغ ٤٠٪ من الكنسرتيوم الدولى للنفط الإيرانى على النحو التالى:

- الحصول على نصف الاحتياجات النفطية البريطانية من الكويت
- بناء سد فى مواجهة المد الشيوعى

ونظرا لأن الولايات المتحدة كانت الدولة الوحيدة التى يمكنها الوقوف أمام الخطر الشيوعى فقد قبلت بريطانيا بزعامة الولايات المتحدة. ولم يكن تقييم واشنطن للتهديد السوفيتى لمنطقة الخليج مختلفا عن التقييم البريطانى كثيرا بل إن الولايات المتحدة كانت تبدى تخوفا متزايدا من الخطر القادم من الاتحاد السوفيتى وانتشار الشيوعية فى المنطقة ولهذا كانت منطقة الخليج تحتل مكانة كبيرة فى السياسية والأفكار الاستراتيجية الأمريكية من حيث كونها مصدرا أساسيا لإنتاج النفط وخطوط نقله وأيضا كطريق للدفاع، فتحول احتواء الاتحاد السوفيتى ومنع حصوله على مصادر النفط الخليجية وضمان إنتاج النفط ونقله دون تدخل الشيوعية إلى هدف مشترك لكل من بريطانيا والولايات المتحدة. كان الأمريكيون يرون أن إقامة علاقات وثيقة اقتصاديا وسياسيا مع إيران التى كانت فى طريقها للتحول إلى دولة صناعية والتى تعد فى رأيهم أقوى دولة فى الخليج يأتى فى إطار مصالح الغرب. وكان السياسيون الأمريكيون يرون أن السيطرة المباشرة على إيران تمثل خطرا على المصالح الأمريكية فى المنطقة لأن السيطرة المباشرة فى منطقة مهمة كمنطقة الخليج بما تحتويه من مخازن نفطية ضخمة سوف تؤدى إلى الصدام مع الاتحاد السوفيتى لا محالة. وكانت الرؤية الأمريكية بالنسبة لإيران تتمثل فى أنها يجب أن تظل دولة مستقلة لأن فقدانها سيؤدى إلى:

- تهديد كبير للغاية بالنسبة لأمن منطقة الشرق الأوسط وكذلك باكستان والهند
- الإضرار بمكانة الولايات المتحدة لدى دول المنطقة وتقليل درجة ثقة هذه الدول فى نفسها بالنسبة لمواجهة الضغوط الشيوعية.
- ظهور آثار سلبية فى مناطق أخرى من العالم الحر

وبالتالى تمت صياغة السياسة الأمريكية تجاه إيران على النحو التالى:" أن تسعى الولايات المتحدة بكل قوتها للحفاظ على استقلال إيران وعدم السماح بوقوعها تحت سيطرة الاتحاد السوفيتي" كما كانت سياستها تجاه منطقة الخليج تتلخص فى أنها تعتمد على الدولة التى تقع تحت التهديد المباشر وأن هذه الدولة تتولى بنفسها مسئولية الدفاع عن نفسها. وترى وزارة الخارجية الأمريكية أن الولايات المتحدة لديها مصلحة كبيرة فى مساعدة دول العالم فى الدفاع عن نفسها فى مواجهة عمليات التخريب الشيوعية.

ورغم أن الولايات المتحدة لم تكن فى هذه المرحلة فى ظروف تتيح لها توفير المصادر المالية الكافية لهذا الاحتياج الطارئ إلا أنها على أية حال بدأت فى إرسال المعدات العسكرية والمستشارين لتدريب العسكريين الإيرانيين، ووفقا لتقدير وزارة الخارجية الأمريكية كانت إيران تعتزم التعاون لإجراء عملية إحلال لقواتها المسلحة ويمكن أن نذكر فى هذا الصدد العديد من الوسائل منها عرض الأفلام ومحطات الإذاعة العسكرية المحلية والدعاية المكتوبة ونشر الكتب. فى النهاية أصبحت إيران عام ١٩٥٦ بعد سنوات قليلة من

أزمة تأميم النفط تتمتع باستقرار وقوة عسكرية ملموسة.

الحفاظ على المصالح البريطانية

فى الرابع والعشرين من فبراير عام ١٩٥٥ وقع المسئولون الأتراك والعراقيون تحالفا عسكريا ثنائيا فى بغداد وكانت تركيا منذ عام ١٩٥٢ حليفا غربيا وعضوا فى حلف شمال الأطلنطي.

وفى الرابع من ابريل عام ١٩٥٣ انضمت بريطانيا إلى التحالف العراقى التركى لتقوية دفاعها فى الخليج ومنع انتشار النفوذ السوفيتى وبعدها بعامين انضمت باكستان وإيران أيضا إلى الحلف الذى سمى فيما بعد باسم حلف بغداد الذى كان يشكل خطا دفاعيا فى مواجهة انتشار النفوذ السوفيتى فى الخليج. ورغم تأييد الولايات المتحدة لهذا الحلف بهدف الوقوف أمام النفوذ السوفيتى فى الشرق الأوسط إلا أنها لم تكن تميل إلى الانضمام إليه لأن بريطانيا كانت تتعرض لانتقادات شديدة من جانب الدول العربية الراديكالية بسبب دعم مواجهة الغرب للزعيم القومى المصرى جمال عبد الناصر وعزله دولياً. ولهذا كان انضمام الولايات المتحدة للحلف سيثير غضب الدول العربية الراديكالية المستقلة كما أن انضمامها إلى الحلف كان سيثير حفيظة إسرائيل أيضا لأسباب أخرى طبعا.

وقد قال وزير الخارجية البريطانى سلوين لويد إن هدف بريطانيا فى الخليج هو ضمان الحصول على النفط وتحقيق الاستقرار الضرورى لإنتاجه.

رغم هذا تحول توسيع نطاق النفوذ الأمريكى فى الخليج وتقوية العلاقات مع إيران إلى سياسة ثابتة للولايات المتحدة.

وكانت بريطانيا لا تزال ترى أن هناك مصالح كبيرة لها فى شرق السويس حيث كان فقدان النفوذ الإمبراطورى فى الهند لا يعنى أن بريطانيا يجب أن تترك هذه المنطقة فقد كانت لا تزال تمتلك قواعد عسكرية وتتمتع بعلاقات طيبة مع دول الخليج وكل هذه كانت من المصالح البريطانية. ورغم أن بريطانيا فقدت الهند إلا أنها كانت تتمتع بدور فعال فى مناطق مثل الملايو وهونج كونج وسنغافورة. فليس من الصحيح إذن أن نقول إن موقف بريطانيا فى منطقة الشرق الأوسط كان قد ضعف أو انتهى فى تلك المرحلة لأنها لم تكن ترى نفسها كقوة فى حالة أفول. فبعد الحرب العالمية الثانية كان الوجود البريطانى فى المحافل الدولية ضعيفا بسبب ما كانت تعانيه من مشكلات اقتصادية ومشكلات فى الشرق الأوسط ورغم أنها كانت لا تزال باقية ولم تفن تماما حيث لم تكن أية قوة مثل فرنسا أو ألمانيا أو الاتحاد السوفيتى تقوى على مواجهتها، إلا أن هذه القوة كانت متزعزعة وهو ما أدى بها إلى الاقتناع بأن الأوضاع سوف تتحسن وأن الإمبراطورية سوف تبقى فالملايو لا تزال من أهم مصالح بريطانيا وقد خاضت من أجل الحفاظ عليها حرب عصابات طويلة. ولكن إنتاج الاتحاد السوفيتى للقنبلة الهيدروجينية قلب الموازين تماما. وفى عام ١٩٥٧ نجحت بريطانيا فى إجراء تجاربها على القنبلة الهيدروجينية رغبة فى التوازن مع الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.

ولأسباب اقتصادية كانت الحكومة البريطانية تميل أكثر إلى القيام بإشراك الولايات المتحدة فى عملية الدفاع عن الخليج فرغم أن الولايات المتحدة لم تنضم إلى حلف بغداد إلا أن احتواء الاتحاد السوفيتى ومنع وصوله إلى مصادر النفط الخليجية الضخمة كان من الهواجس والأهداف المشتركة بين بريطانيا والولايات المتحدة. فقد أعلن الرئيس الأمريكى أيزنهاور رؤيته العسكرية إثباتا لحسن النية وإعلانا للاستعداد للتدخل فى المنطقة وكانت رؤيته التى حظيت بتأييد الكونجرس الأمريكى تتمثل فى إرسال قوات عسكرية أمريكية إلى كل جزء من الشرق الأوسط لمواجهة أى تجاوز من الشيوعية العالمية. كما تضمنت الرؤية توفير من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ مليون دولار معونات اقتصادية للدول الراغبة فيها بشرط أن توافق هذه الدول على دعوة الولايات المتحدة لإرسال قواتها إلى المنطقة فى حالة وقوع أى تهديد أو عدوان عسكرى من جانب الشيوعية العالمية. ولكن مشروع أيزنهاور واجه طريقا مسدودا حيث كان يعد نفوذا إمبرياليا وخاصة بعد تدخل الولايات المتحدة فى لبنان فى عام ١٩٥٨ وكانت الحكومات العربية تراه تدخلا من غير ذى صفة.

فى عام ١٩٥٨ انفصل العراق عن حلف بغداد بعد الانقلاب العسكرى والإطاحة بالملك فيصل وانتقل المكتب المركزى للحلف إلى تركيا وفى النهاية تحول حلف بغداد إلى حلف مركزى (سنتو) وقد انضمت الولايات المتحدة إلى الحلف الجديد فقط بسبب خوفها المتزايد من انتشار النفوذ السوفيتى والفكر الشيوعى فى الشرق الأوسط وتقرر أن تقدم الولايات المتحدة لإيران مساعدات عسكرية وغير عسكرية أكثر مما كانت تقدم من قبل بعدة أضعاف لكى يمكن أن تمثل درعا للدفاع عن مصادر النفط فى الخليج فى مواجهة التهديدات السوفيتية.

جمهورية إيران الإسلامية والعلاقات البريطانية - الأمريكية

بعد نجاح الثورة الإسلامية كانت سياسة بريطانيا فى المنطقة تسير فى ركاب الولايات المتحدة خطوة بخطوة ونذكر على سبيل المثال تعاون بريطانيا مع الولايات المتحدة فى فترة الحرب العراقية الإيرانية فى تأمين نقل النفط فى الخليج وتعاون بريطانيا مع

الولايات المتحدة فى حرب الخليج الأولى فى تسعينات القرن الماضى وكذلك تعاونها معها فى حرب الخليج الثالثة فى مارس ٢٠٠٣ . وقد استمرت العلاقات الخاصة بين البلدين فى المنطقة بالرغم من نجاح الثورة الإسلامية فى إيران. ووفقا لهذه السياسة لا تزال إيران دولة مهمة فى منطقة الخليج.

بعد نجاح الثورة الإسلامية فى إيران قامت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا بخطوات للسيطرة على الثورة بحيث حاولتا طرح قضية انتهاك حقوق الإنسان فى إيران للضغط عليها. كما عملتا على إحباط الدعاية الإيرانية المعادية للغرب فى المحافل الدولية ولدى الرأى العام العالمى وتشويه صورة إيران لدى شعوب العالم. كما حاولت الولايات المتحدة مواجهة السياسات الإيرانية المعادية عن طريق عزل إيران اقتصاديا وسياسيا وتبعتها بريطانيا فى هذا ليس فقط لأنها ترى أن مصالحها تتحقق فى إطار العلاقات الخاصة مع الولايات المتحدة ولكن أيضا لأن الدعاية الإيرانية المعادية لبريطانيا وكذلك الهجمات ضد المصالح البريطانية كانت مستمرة أيضا ويذكر هنا الهجوم على السفارة البريطانية فى طهران وإشعال النار فى جزء منها، وبعد احتلال السفارة الأمريكية فى طهران ازداد الموقف الأمريكى ضد إيران عنفا حيث مارست الضغوط على الدول الغربية وكندا واليابان لفرض حظر اقتصادى وسياسى ضد إيران وبالطبع كانت بريطانيا تتحرك تبعا للولايات المتحدة فى هذا الأمر. كما كانت الحرب العراقية الإيرانية فى عام ١٩٨٠ سببا فى اصطباغ استراتيجية العلاقات الخاصة بين الولايات المتحدة وبين بريطانيا تجاه إيران بصبغة أكثر حدة تمثلت فى تحسين العلاقات مع العراق وهى العلاقات ا لتى كانت مقطوعة منذ عام ١٩٦٧ وكان من نتيجة تحسين العلاقات استئناف تزويد العراق بالمعلومات العسكرية عن طريق طائرات الأواكس الأمريكية المباعة إلى المملكة العربية السعودية حيث كانت الولايات المتحدة ترحب بأى خطوة من شأنها إيذاء الجمهورية الإسلامية وكانت تساند العراق طوال الحرب مع إيران كما كانت بريطانيا تتخذ نفس موقفها. وفى أواخر فترة الحرب كانت السفن الحربية الأمريكية والإنجليزية موجودة فى الخليج بزعم الحفاظ على أمن الملاحة فى الخليج وقد تمكنتا من ترسيخ موقفهما فى الخليج بعد إبرام عدد من الاتفاقيات مع دول المنطقة وهو النهج الذى استمر بعد انتهاء الحرب أيضا. وفى مطلع القرن الجديد استمرت واشنطن فى انتهاج سياستها تجاه إيران فبذلت جهودا كبيرة لإثارة الرأى العام ضد الأنشطة النووية الإيرانية وتبعتها فى هذا بريطانيا. فى أعقاب نجاح الثورة الإسلامية فى إيران كان كل من الولايات المتحدة وبريطانيا تستشعران خطرا كبيرا على مصالحهما فى الخليج وقامتا بإعداد ترتيبات وأمنية جديدة فى المنطقة منها:

- الوجود المباشر للقوات ا لعسكرية الأمريكية والإنجليزية بهدف تطبيق استراتيجية الردع ضد الثورة الإسلامية فى إيران ومنع انتشار النفوذ السوفيتى نحو الجنوب.
- الاعتماد على الإمكانيات والقدرات الموجودة بالمنطقة والمنظمات الموجودة بها مثل مجلس التعاون الخليجي.

فمجلس التعاون الخليجي يتمتع بصبغة أمنية ودفاعية وكانت فلسفة إيجاده تتمثل فى الشعور بالاحتياج الأمنى للولايات المتحدة وبريطانيا فى إطار سياسة العلاقات الخاصة بين بريطانيا والولايات المتحدة وبين زعماء المنطقة للمحافظة على مصالح هؤلاء الزعماء ووجودهم أمام التهديدات المستقبلية التى طرحت من قبل الثورة الإسلامية فى إيران. فقد كان نجاح الثورة الإسلامية فى إيران واقتلاع أساس سلطة الولايات المتحدة فى المنطقة وإحساس الخطر وانعدام الأمن لدى حكام منطقة الخليج بالنسبة لمستقبل أنظمتهم فى مقابل الثورة الإسلامية سببا فى تكوين نظام بين الدول الخليجية الصغرى باسم مجلس التعاون الخليجى حيث تم التوقيع على وثيقة تأسيسه فى السعودية فى فبراير عام ١٩٨٠ وكان تشكيل هذا المجلس نقطة مهمة فى استراتيجية العلاقات الخاصة بين بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية مقابل إيران بعد نجاح الثورة الإسلامية وفى بداية القرن الحادى والعشرين. ففى هذا القرن تتمتع كل من بريطانيا والولايات المتحدة بعلاقات طيبة مع الدول العربية الخليجية فى إطار سياسة العلاقات ا لخاصة بينهما. وهما تعملان على المحافظة على مصالحهما فى الخليج عن طريق المحافظة على علاقاتهما مع الحكومات العربية الخليجية بأساليب عديدة مثل إقامة علاقات طيبة مع الأسر الحاكمة فى المنطقة بهدف تحقيق مصالحهما الاقتصادية والاستراتيجية والعسكرية وكانت دوافع المصالح الاقتصادية مثل الوصول إلى أسواق الدول العربية الخليجية الغنية وبيع الأسلحة والحصول على النفط واحتواء الجمهورية الإسلامية الإيرانية سببا فى أن استراتيجية العلاقات الخاصة بين الولايات المتحدة وبين بريطانيا تلعب دورا فعالا فى العلاقات الدبلوماسية مع دول مجلس التعاون الخليجي.

إيران والعضوية فى منظمة تعاون شنغهاى

■ ناد على باى ■ مردم سالارى (الديمقراطية) ٢٠٠٧/٥/١٥

عقدت القمة السادسة لقادة الدول الأعضاء بمنظمة تعاون شنغهاى فى الفترة من ١٥ إلى ١٧ يونيو ٢٠٠٦ فى شنغهاى بالصين وكان الاجتماع الأول لدول هذه المنظمة التى شاركت فيها إيران كعضو مراقب على مستوى رؤساء الحكومات. ومن المؤكد أنها تسعى مع بيلا روسيا لتكون عضواً كاملاً ولها حق التصويت، ويعد تشكيل الاتحادات الإقليمية التى تضع على أجندتها التنمية الاقتصادية ومكافحة الإرهاب مثل شنغهاى دفعة كبيرة للدول النامية لتقليل الفجوة بينها وبين الدول الصناعية. وقد تأسست منظمة تعاون شنغهاى فى ٢٠٠١/٧/١٥ عن طريق ست دول هى: الصين الشعبية وروسيا وأوزبكستان وقيرغيزستان وقازاستان وطاجيكستان وأهم أهداف هذه المنظمة هو دعم الثقة المتبادلة وعلاقات الجوار الطيبة بين الدول الأعضاء والتقدم على مستوى التعاون فى المجالات السياسية والاقتصادية والعملية والثقافية والتعليمية علاوة على الطاقة والشحن والسياحة والحفاظ على البيئة والأمن والاستقرار الإقليميين وتأسيس نظام سياسى اقتصادى عالمى جديد قائم على العدالة والديمقراطية. ولا تتبنى منظمة تعاون شنغهاى فى



علاقاتها الخارجية أى موقف ضد أى دولة أو منظمة. وفى مثل هذه الظروف تلعب المنظمات الإقليمية دوراً بارزاً وتدخل منظمة تعاون شنغهاى ضمن هذه المنظمات. وإيران باعتبارها عضواً مراقباً فى هذه المنظمة فى الوقت الحاضر تقدمت مؤخراً بطلب العضوية الكاملة، وقد قوبلت مشاركة الرئيس الإيرانى محمود أحمدى نجاد فى هذه الدورة لمنظمة تعاون شنغهاى فى يونيو ٢٠٠٦ بحساسيات كثيرة من جانب الغرب. ووجود إيران فى منظمة تعاون شنغهاى من الممكن أن يكون بمفهوم حلقة الوصل بين منطقة الشرق الأوسط ومنطقة آسيا الوسطى والقوقاز وربما يحول المنافسة فى المنطقة إلى شكل من أشكال التعاون.

وبالنظر إلى هذه المقدمة القصيرة سنتحدث فى هذه المقالة بداية عن بنية وأهداف ومبادئ منظمة تعاون شنغهاى ثم نناقش مستقبل هذه المنظمة ورؤية إيران لمنظمة تعاون شنغهاى، وأخيراً أهداف إيران من وراء العضوية فى هذه المنظمة.

بنية وأهداف ومبادئ منظمة تعاون شنغهاى:

فى عام ١٩٩٦ أسست الصين الاتحاد الدولى الذى كان يعرف باسم مجموعة شنغهاى الخمس. وكان هذا

الاتحاد يشمل الصين وروسيا وقازاقستان وقيرغيرستان وطاجيسكتان. وكان يركز فى البداية على مقاومة الإرهاب فى أفغانستان وسائر النقاط الحدودية مع أفغانستان وعمل على أن يقيم استقراراً إقليمياً، وفى يونيه ٢٠٠١م تم توجيه الدعوة لأورباكستان للانضمام إلى هذه المجموعة وفى ١٥ يوليو ٢٠٠١ سميت هذه المجموعة وبشكل رسمى باسم منظمة تعاون شنغهاى والتقى أعضاء هذه المنظمة فى ٢٠٠٢ فى سان بطرسبرج ووقعوا ميثاق تعاون شنغهاى وقد جعل هذا الميثاق منطقة نشاط تعاون شنغاهاى عامة وتم بحث موضوعات مثل الأهداف والمبادئ والبنية وطريقة الأداء وتوجه العلاقات الخارجية لهذه المنظمة. وبناءً على المادة واحد من ميثاق منظمة تعاون شنغاهاى وبيان تأسيسه فإن أهدافها الأساسية وواجباتها عبارة عن دعم الثقة المتبادلة وحسن الجوار والصداقة بين الدول الأعضاء وتنشيط التعاون المثمر فى الشئون السياسية والاقتصادية والتجارة والعلوم والتقنية والثقافة والتعليم والطرق والنقل والحفاظ على البيئة وكذلك أيضاً التعاون فى مجال دعم السلام والأمن والاستقرار الإقليميين ودعم وإنشاء نظم جديدة اقتصادية وسياسية دولية تكون مظهراً للديمقراطية والعدالة والعقلانية.

وبناءً على المادة ٢ من ميثاق هذه المنظمة فإن مبادئ هذه المنظمة عبارة عن الاهتمام بأهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة واحترام استقلال الدول ودعم سيادتها وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للآخرين وعدم التهديد بالاستخدام المزدوج للقوة والمساواة بين كل الأعضاء. وعدم الانحياز ضد دولة أخرى والانفتاح على العالم الخارجي والمشاركة مع سائر الدول والمنظمات ذات الصلة الدولية أو الإقليمية.

ويتكون الهيكل التنظيمى للمنظمة من الآتى:

(١) مجلس قادة الدول.
(٢) مجلس قادة الحكومات.
(٣) مجلس وزراء الخارجية.
(٤) مؤتمر قادة الوكالات.
(٥) مجلس المنسقين الوطنيين.
(٦) السكرتارية.
(٧) هيئة مكافحة الإرهاب الإقليمى.

- رؤية منظمة تعاون شنغهاى:

ظهرت منظمة تعاون شنغهاى للتعامل مع الأخطار الناجمة عن القوى العظمى على المنطقة الجغرافية السياسية فى آسيا الوسطى. وقد تم إعلان أن الهدف الأساسى لمنظمة تعاون شنغهاى هو تدعيم التعاون العسكرى على حدود المنطقة ومقاومة الحركات الانفصالية أما من حيث القطبية السياسية، فقد حولت مجموعة شنغهاى الخمس من اتحاد أمنى محدود إلى نواة لتكتل دولى الأمر الذى لم يتوقعه مؤسسو هذه المنظمة أنفسهم، ومع تفاقم مظاهر التوتر الدولى اتجهت الدول بشكل أكبر نحو منظمة تعاون شنغهاى وطالبت بعض الدول التى كانت عضواً مراقباً بالعضوية فى المنظمة باستيفاء كامل العضوية. ولكن بما أنه فى بداية تأسيس المنظمة لم يتصور نمو وتطور هذه المنظمة بالشكل الحالى لم يتم وضع لائحة تأسيسية وضوابط لقبول عضوية أعضاء جدد. وقد أدى هذا الأمر إلى أن يحضر طالبوا العضوية كأعضاء مراقبين فى القمم وقد قبل حتى الآن كأعضاء مراقبين باكستان والهند وإيران ومنغوليا، وقد تمثل أول ظهور لوجود منظمة تعاون شنغهاى بشكل مؤثر على مستوى السياسة الدولية فى إصدار بيان بخصوص القواعد العسكرية الأمريكية فى المنطقة حيث طالبت هذه المنظمة الولايات المتحدة الأمريكية فى بيان صادر فى عام ٢٠٠٥ بوضع جدول زمنى محدد لتصفية قواعدها العسكرية فى آسيا الوسطى، وقد تحول طلب شنغهاى بتصفية القواعد العسكرية الأمريكية فى قرغيرستان إلى عامل لاحتدام الصراع الخفى بين الصين وروسيا فى جانب والولايات المتحدة فى جانب آخر. وبهذا البيان تغير فجأة مشروع التعاون الحدودى بين الدول فى آسيا الوسطى إلى تعاون معسكر شرقى جديد فى مواجهة الغرب، ومن الممكن أن يسرع طلب الانضمام لمنظمة تعاون شنغهاى من جانب دول مثل الهند وإيران من ظهور وصعود أقطاب جديدة للقوة فى عالم الرأسمالية وتفاقم الصراع الدولى ولو أن منظمة تعاون شنغهاى تتبنى مسيرة اتحاد رأسمالى جديد فسيتبلور معسكر شرقى جديد وهذا الأمر بدوره سيغير موازيين القوى العالمية لصالح الاتحاد الأوربى وعلى الرغم من هذا فهناك حقيقة مفادها أن منظمة تعاون شنغهاى بدون الحصول على تكنولوجيا دول مثل اليابان وألمانيا لن تجد الفرصة للإعلان عن وجودها كقطب لكن من الناحية السياسية العسكرية من الممكن أن تلعب دوراً جغرافيا سياسياً مهما فى التطورات العالمية، وقد أحرزت هذه المنظمة خلال الأعوام الأخيرة نجاحات جديرة بالاهتمام فى مجال

مواجهة العالم الأحادى القطب ومكافحة المخدرات والإرهاب.

ويرى المراقبون أن العلاقات بين الولايات المتحدة ومنظمة تعاون شنغهاى يجب أن تقرأ فى اطار العلاقات الأمريكية الصينية والسبب فى هذا أن الموتور والمحرك الأساسى لهذه المنظمة هو الصين وقد لعبت الصين وستلعب الدور الأكبر فى نشاط وديناميكية هذه المنظمة، والتأكيد على هذا الموضوع لا يجب أن يعتبر تقليلا من أهمية سائر الأعضاء والمراقبين فى هذه المنظمة ومن بينهم روسيا، لكن دور أى دولة فى هذه المنظمة لا يقارن بدور الصين، وبالنظر إلى فاعلية نشاط الصين يجب القول أن منظمة تعاون شنغهاى لن تتحول إلى منظمة معادية للولايات المتحدة وعلى الرغم من التصريحات المتطرفة لبعض المحافل الأمريكية فإن الصينيين لن يختارو مسيرة المواجهة مع الولايات المتحدة فى آسيا الوسطى عن طريق عسكرة المنافسة وإضفاء الطابع العدائى على علاقات بكين مع الولايات المتحدة.

وليس من المنتظر تحويل هذه المنظمة إلى منظمة عالمية على الأقل فى هذه المرحلة من العلاقات الدولية.

- إيران والعضوية فى منظمة تعاون شنغهاى:

تنظر الجمهورية الإسلامية الإيرانية إلى منظمة تعاون شنغهاى باعتبارها نادى الدول المتقاربة ثقافياً واقتصادياً وأنها مهمة لمصالحها الاستراتيجية فى آسيا الوسطى وستدعم منظمة تعاون شنغهاى كذلك أيضا سياسة إيران الخارجية القائمة على الاتجاه شرقا. فإيران تمتلك علاقات تاريخية وثقافية واقتصادية قوية مع كثير من دول آسيا الوسطى، وكذلك أيضاً تريد إيران تنمية علاقاتها مع قوى كبرى مثل الصين والهند وتنظر إيران إلى منظمة تعاون شنغهاى باعتبارها ضمانة ممكنة لأمنها القادم، وقد طلبت العضوية الكاملة فى هذه المنظمة للتخلص من الضغوط الدولية فى برنامجها النووى. كذلك أيضاً فإن عضوية إيران فى هذه المنظمة ستسمح روسيا والصين أن تأثر وبشكل أكثر إيجابية على السياسة الخارجية الإيرانية خاصة إزاء العالم الإسلامى.

والسؤال الأساسى الذى يطرح هنا ماذا تريد إيران من وراء الانضمام لهذه المنظمة؟ لإلقاء الضوء على هذا الموضوع بداية لابد من طرح عدة نقاط هى:

١- تابعت إيران فى أعوام ما بعد الثورة الإسلامية باهتمام موضوع الانضمام إلى التكتلات الإقليمية، وقد توافقت هذه السياسة مع أهداف السياسة الخارجية الموجودة فى دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وتتمتع إيران بميزة جغرافية سياسية فريدة فإيران عضو من مجموعة دول الشرق الأوسط وفى نفس الوقت هى جزء من مجموعة جنوب غرب آسيا وعضو فى مجموعة دول الخليج الفارسى وبحر الخزر، كما أنها جزء من آسيا الوسطى الكبيرة التى تأخذ تعريفاً جديداً من نفس منطقة خراسان التاريخية الكبرى، وحتى ما قبل انهيار الاتحاد السوفيتى كانت إيران تستفيد من مزاياها فى الخليج والشرق الأوسط وبعد عام ١٩٩١ وانهيار الاتحاد السوفيتى فجأة توافرت فرص عديدة فى شرق وشمال شرق وشمال غرب على إيران ومنحت عشرة دول جديدة فى القوقاز وآسيا الوسطى وعلى بحر الخزر مرة واحدة مكانة جديدة، وانتفت تماماً مخاوف إيران الأمنية الناجمة عن جوارها مع إحدى القوى العظمى فى العالم.

٢- كانت إيران فى الأعوام الأخيرة من القرن العشرين تنظر بشكل أعمق إلى دول ما وراء الجوار الجديدة ورأت أن حماية عمقها الاستراتيجى تكمن فى التعاون مع الدول الآسيوية الصين والهند وماليزيا وإندونسيا الدول التى بالنظر إلى هويتها الآسيوية وتعداد سكانها الكبير والنمو السريع والتقدم فى قطاعات الصناعة والتكنولوجيا قد اجتذبت اهتمام إيران، وكذلك أيضاً فى الأعوام الأولى من القرن الحادى والعشرين اتجه وبشكل تدريجى سوق الطلب على الطاقة بشكل عام والطاقة الفسيولوجية بشكل خاص من أوروبا والولايات المتحدة إلى الشرق وبالنظر إلى الطلب المتزايد على النفط والغاز فى دول الصين واليابان والهند رأت إيران أن توازن العرض والطلب سيكون مع الدول الآسيوية.

٣- خلافات إيران مع الغرب من جملة المشاغل الدائمة للسياسة الخارجية الإيرانية فى سنوات ما بعد الثورة الإسلامية، وبالأساس فإن عوامل الثقافة والمذهب والتقاليد التاريخية وإمكانيات إيران المحتملة تجعل السياسة الخارجية الإيرانية وبشكل ما محددة وفريدة. وبعد الثورة أدت سياسة إيران الاستقلالية إلى تفاقم خلافاتها مع الدول الغربية لكن على مدى عقدى الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضى تمت إدارة هذه الخلافات بحكمة من الطرفين خاصة فى ظل الرؤية الواقعية لبعض الدول الأوربية، لكن منذ عام ٢٠٠٣ ومع إصرار الولايات المتحدة على

تأزيم علاقات إيران مع الدول الغربية وصلت الخلافات السياسية والاقتصادية حد المنازعات الأمنية وأدى ملف إيران النووى إلى تفاقم الضغوط الغربية لتقييد إيران فى عملية الوصول إلى التقنيات المتقدمة وعدم الوصول إلى مكاسب أساسية مثل اتفاقية التعاون والتجارة بين الاتحاد الأوربى وإيران وإحالة الملف النووى الإيرانى إلى مجلس الأمن وفرض عقوبات أساسية تكنولوجية وعلمية ومالية والتهديد باستخدام العقوبات على نطاق أكبر. فى مثل هذه الحالة فإن الاتجاه إلى الدول الآسيوية من الممكن أن يمنح إيران مجالاً لـ:

أولاً، التخطيط للاستفادة من إمكانية التعاون مع الدول الشرقية والشمالية خلال الأوقات الحرجة

ثانيا، الاستفادة من قدرات هذه الدول لمواجهة العقوبات والتهديدات والآن فإن الاستفادة من إمكانيات بحر الخزر وآسيا الوسطى من الممكن أن تكون كمكملات أو بدائل للقنوات التقليدية لاتصال إيران فى الخليج الفارسى وهذا التغيير يتزامن مع تشجيع دول مثل الصين للاستفادة من الوسائل الجديدة لتأمين الطاقة والوصول إلى أسواق جديدة بالنسبة للبضائع الصينية. وكانت الصين لسنوات قلقة من الاتجاه الأحادى لوصول النفط الخام والغاز السائل عن طريق المحيط الهندى الذى بمروره فى مضيق مالاكا الذى يخضع لمراقبة بل وتدخل محتمل من جانب القوات الأمريكية المتمركزة فى المنطقة، ولذا فإن الاستفادة من خطوط الأنابيب الجديدة التى تمر من روسيا وكازاخستان إلى الصين وما وراء جبال الهمالايا ويتانشان التى هى بعيدة عن متناول القوات والرقابة الأمريكية سيأمن الطاقة للصين بشكل أفضل. ويعتقد الصينيون الأمل فى أن يصل خط أنابيب من إيران أو بحر الخزر عن طريق اليابس إلى الأجزاء الغربية من الصين، كما أن الأسواق الاستهلاكية فى دول أفغانستان وآسيا الوسطى وإيران تتمتع بجاذبية أكبر وتجعل ميزانية إنشاء طرق جديدة من سينج يانج إلى قيرغيرستان وقزاقستان وطاجيسكتان وأفغانستان وباكستان باتجاه الغرب اقتصادية.

– إيران والقمة السادسة لقادة منظمة تعاون شنغهاى:

كانت الجمهورية الإسلامية قبل القمة السادسة لقادة الدول الأعضاء فى منظمة تعاون شنغهاى تشارك فى هذه القمم على مستوى النائب الأول لرئيس الجمهورية ومن بينها قمة قادة المنظمة المنعقدة فى ٢٠٠٥/٧/٥ فى كازاخستان والتى كان قد شارك فيها حسين عارف النائب الأول لرئيس الجمهورية خاتمى، والقمة الثانية فى ٢٦ أكتوبر ٢٠٠٥ فى موسكو والتى حضرها النائب الأول للرئيس أحمدى نجاد.

وكانت قمة قادة تعاون شنغهاى فى الصين فرصة لكى يستطيع رئيس الجمهورية الإيرانية أن يتحاور ويتبادل وجهات النظر عن قرب مع بعض رؤساء الدول الكبرى كما كانت هذه الرحلة فرصة لكى يوضح أحمدى نجاد مرة ثانية للرأى العام الأهداف والمقاصد السلمية لإيران فى مجال الطاقة النووية.

وكانت القمة السادسة للدول الأعضاء فى هذه المنظمة قد انعقدت فى ٢٠٠٦/٦/١٥ فى مدينة شنغاهاى شرق الصين، وقد حضرت الدول الست الأعضاء الصين وروسيا وأوزبكستان وطاجيسكتان وكازاخستان وقيرغيرستان وشاركت أيضا أربع دول بصفتهم أعضاء مراقبين هم الجمهورية الإسلامية الإيرانية والهند وباكستان ومنغوليا، على الرغم من أن الصين وروسيا كانتا قد اقترحتا العضوية الدائمة لطهران فى حلف تعاون شنغهاى. وقد حضر أحمدى نجاد على الرغم من معارضة الولايات المتحدة ومساعى واشنطن لعدم حضور إيران هذه القمة لكنه شارك بناء على دعوة رسمية من نظيره الصينى هوخبتاو. وقد أثار وجود إيران كعضو مراقب فى هذه المنظمة وسعيها للحصول على العضوية الدائمة مخاوف المسئولين الأمريكيين من هذه المنظمة.

وقد شارك أحمدى نجاد رئيس الجمهورية الإيرانية فى القمة السادسة لمنظمة تعاون شنغهاى والتى عقدت على مدى ثلاثة أيام من ١٥ إلى ١٧ يونية ٢٠٠٦ فى شنغهاى بالصين وكانت القضايا الاقتصادية ثم الأمنية وتحليل القضايا الإقليمية والعالمية يشكل أهم المحادثات التى تمت فى هذه القمة. وعلى مدى الجلسات الجانبية والرئيسية توصلت إيران مع المسئولين الحضور فى هذه الجلسة إلى اتفاقيات ومحادثات إيجابية للغاية. وقد صرح أحمدى نجاد فى حديث مع الصحفيين أن هذا الحلف الاقليمى يتمتع بعضوية دول مهمة وبعض أعضاء هذه المنظمة أعضاء بشكل كامل. والبعض مثل إيران أعضاء مراقبون. وبصفة عامة فإن أكثر من نصف سكان العالم يحتشدون فى منظمة تعاون شنغهاى التى خلقت فرص وإمكانيات هائلة.

- **أهداف إيران من العضوية فى منظمة تعاون شنغهاى:**

ويبدو أن إيران تميل للغاية لتطوير علاقاتها مع روسيا والصين لأن هاتين الدولتين تمتلكان إقتصاداً قوياً ولهما مواقف أكثر قرباً مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية فى مجال القضايا الإقليمية والدولية وإيران بانضمامها إلى هذه المنظمة سوف تتمكن من إحراز مكانة أفضل فيها.

وإيران لديها القدرة على لعب دور وساطة بين الجماعات الإسلامية المعارضة والحكومتين الروسية والصينية وبناء على هذا تستطيع خفض التوترات الإقليمية وتساعد فى السلام والاستقرار العالميين، وكذلك أيضا على الساحة الاقتصادية تستطيع إيران أن تتمتع بالمزايا الاقتصادية لمنظمة تعاون شنغهاى مثل المناطق المعفاة من الضرائب وخفض التعريفة الجمركية والمشاركة فى مشروعات النفط والغاز وفى الصراع النووى من الممكن أن تعقد الأمل على كسب دعم هاتين الدولتين باعتبارهما أعضاء دائمين فى مجلس الأمن مع أنه بناء على المصالح القومية الروسية والصينية لم يحدث هذا الأمر ولا تعتبران نفسهما شركاء استراتيجيين لإيران، بناء على هذا فى حالة الانضمام لهذه المنظمة تستطيع إيران أن تستفيد بشكل أفضل من قدرتها على المساومة الدولية ووجود إيران فى هذه المنظمة سيهئ لها الفرصة حتى تقدم عن طريق هذه المنظمة الإقليمية ببسط ونشر نفوذها فى آسيا الوسطى وأحد القواسم المشتركة الأهم بين إيران وروسيا والصين هو مواجهة الأحادية الأمريكية فى النظام الدولى. وستهئ منظمة التعاون هذه الإمكانية لإيران حتى تحقق هذا الهدف المشترك ببلورة محور إيران روسيا الصين. وبما أن الدول العربية تقيد وبشدة إمكانية لعب إيران دور فى منطقة الخليج الفارسى وبما أن إيران أيضاً هى قوة ولاعب إقليمى فاعل إذاً على إيران أن توسع من مجالها الحيوى وتعتبر آسيا الوسطى بعد انهيار الاتحاد السوفيتى أفضل مجال حيوى بالنسبة لإيران، وإيران نظراً لعدم وجود الأدوات الكافية ومعارضة الولايات المتحدة تستطيع أن تحقق طموحها هذا عن طريق العضوية فى منظمة تعاون شنغهاى فقط. وعلى أية حال فإن دراسة ميزانية وفائدة القبول ولاعضوية الدائمة لإيران فى منظمة تعاون شنغهاى من الممكن أن تكون مفيدة لاقتصاد إيران ومكانتها الدولية، ودور إيران يشتمل على الوساطة فى الصراعات وخفض التوترات فى المنطقة وتستطيع أن تقوم باستثمارات فى البنى الاقتصادية فى المنطقة مما يؤدى إلى تقوية الأواصر السياسية والاستثمار فى مشروعات النفط والغاز والاستفادة من طريق الحرير لنظام قوى للنقل من الممكن أن يحيل قدرة المنافسة فى المنطقة إلى شكل من التعاون. كذلك أيضا فإن منظمة تعاون شنغهاى من المكان أن تتحالف مع منظمة التعاون الاقتصادى "اكو" لتؤدى إلى رفاهية المنطقة واستقرارها، والواقع إن وجود إيران فى منظمة تعاون شنغهاى من الممكن أن يكون بمثابة حلقة وصل بين منطقة الشرق الأوسط ومنطقة آسيا الوسطى والقوقاز.

لكن تظل هناك نقطة وحيدة فقط هل انضمام إيران لمنظمة تعاون شنغهاى يرتقى بمنزلة ومكانة إيران الأمنية؟ والجواب مما لاشك فيه أن أى نشاطات تحالفية مع الدول المستقلة يؤدى إلى وضع أفضل بالنسبة لإيران. لكن مخاوف إيران الأمنية هى أقل من النقاط التى تقع تحت مظلة هذه المنظمة وفيما عدا تهديد التطرف الإسلامى من نوعية طالبان والقاعدة ونشاط منظمات مثل حزب التحرير فى آسيا الوسطى الذى تستطيع شنغهاى أن تلعب دوراً مؤثراً فى السيطرة عليه أو تقييده، فإن مخاوف إيران الأساسية هى فى مناطق أخرى مستقبل العراق موضوع الحرب الداخلية والتقسيم المتحتمل لهذه الدولة. ووجود القوى الأجنبية خاصة باعداد كبيرة وتجهيزات عسكرية معقدة واتصال أمريكى بالخليج الفارسى والدول العربية المجاورة لإيران، وسعى الولايات المتحدة لخلق معسكر جديد يتكون من العرب وإسرائيل لمواجهة خطر نفوذ إيران فى منطقة الشرق الأوسط وتفاقم الخلافات ما بين الشيعة وأهل السنة وازدياد الضغوط على الدول المنتجة للنفط لزيادة الانتاج وخفض الأسعار و.... كلها من جنس آخر.

وفى مناطق أخرى ومن المحتمل الا تتمكن شنغهاى من مساعدة إيران فى هذه المواضع ويبدو أن إيران للارتقاء بمستوى أمنها القومى علاوة على العضوية فى منظمة شنغهاى يجب أن تفكر فى الاستفادة من لاعبين آخرين وآليات أخرى. السياسة التى من المؤكد أنها ستكون موضع اهتمام ومتابعة.

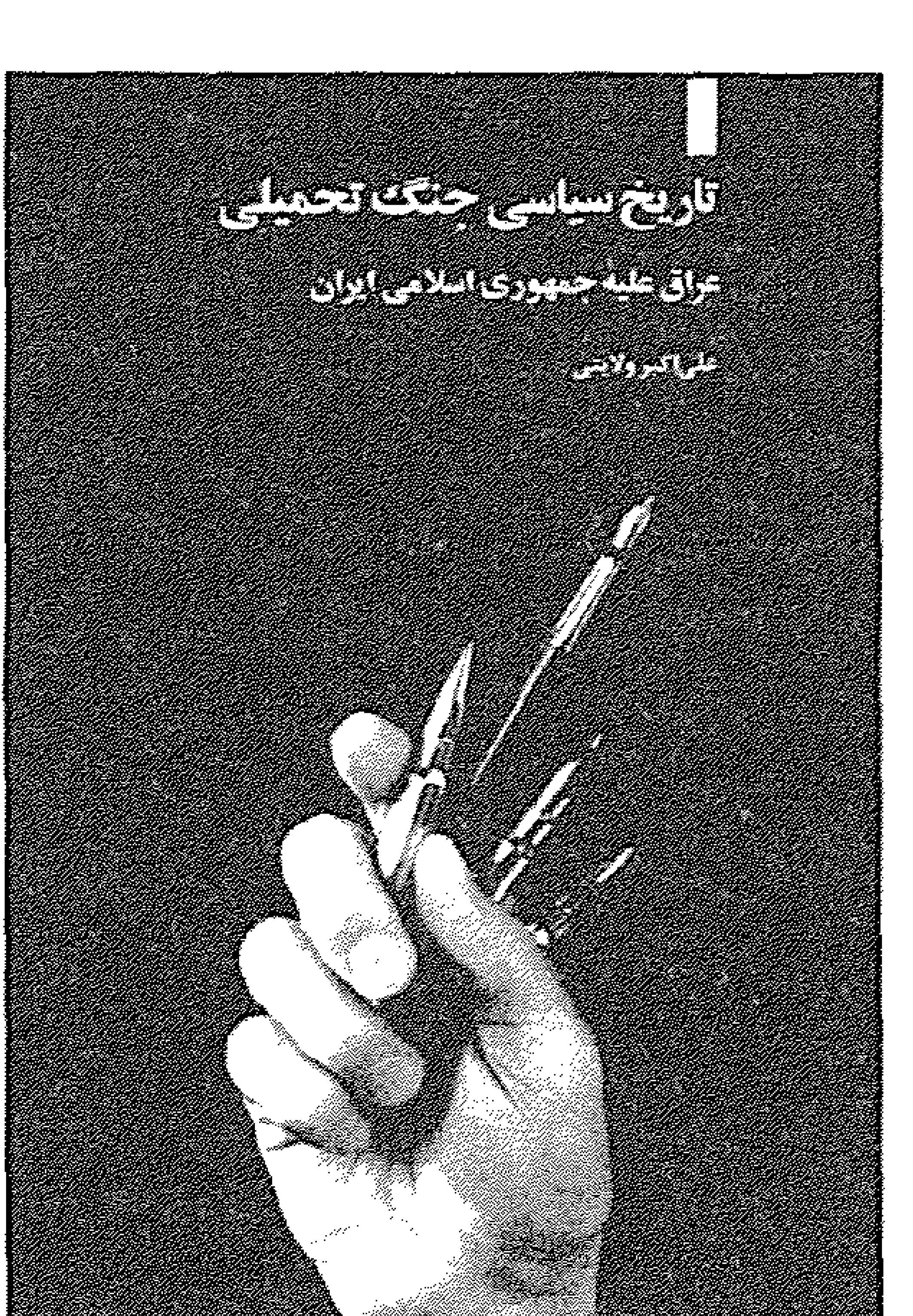
قراءة فى كتاب

التاريخ السياسى للحرب المفروضة التى شنها العراق على الجمهورية الإسلامية الإيرانية

د/ يحيى داوود عباس
الأستاذ بكلية اللغات والترجمة - جامعة الأزهر

ترجع أهمية هذا الكتاب - الذى صدرت طبعته الأولى فى طهران فى عام ١٩٩٧م - إلى أن مؤلفه هو الطبيب على أكبر ولايتى الذى تقلد منصب وزير خارجية الجمهورية الإسلامية الإيرانية طوال ست عشرة سنة (١٩٨٠م - ١٩٩٦م)، وهو الآن مستشار مرشد الثورة الإسلامية للشئون الدولية، وهو صاحب تجربة ثرية فى إجراء المباحثات الخاصة بقرار الأمم المتحدة رقم (٥٩٨)، وفى إنهاء وإغلاق ملف الحرب العراقية - الإيرانية. أما "الحرب المفروضة" فهو الوصف الذى دأبت إيران على إطلاقه على حربها مع العراق.

يذكر المؤلف فى التمهيد أنه أطلع على جميع الوثائق الموجودة فى وزارة الخارجية الإيرانية وفى مندوبيات إيران فى جنيف ونيويورك، وأنه سجل جميع المباحثات والحوارات والفعاليات المنوطة بملف الحرب العراقية - الإيرانية. ويبدأ مقدمته بقوله: إن يوم (١٩٨٠/٩/٢٢) يوم لا ينسى فى تاريخ إيران المعاصر، فهو اليوم الذى بدأ فيه الاعتداء العسكرى من جانب العراق على الجمهورية الإسلامية الإيرانية، بالقصف الجوى لمطارات إيران ومدنها الكبرى بواسطة الطائرات العراقية، والهجوم الذى شنته القوات



البرية العراقية على الأراضى الإيرانية على طول الحدود المشتركة بين البلدين. وكانت العراق طوال فترة الحرب التى استمرت ثمانى سنوات تبرر اعتداءها بوجود اختلافات تاريخية قديمة حول الأرض والحدود، واستمرار التوتر السياسى والعسكرى بين البلدين فى العقود السابقة.

ويشير المؤلف إلى أن العراق ورثت عن العثمانيين (٦٩٩ - ١٣٤٢ هـ) الاختلافات الحدودية مع إيران، وإلى أنه حتى شهر مارس عام ١٩٧٥م - الذى عقدت فيه اتفاقية الجزائر بين شاه إيران (١٩٤٢ - ١٩٧٩م) ونائب رئيس الجمهورية العراقية - أبرمت اتفاقيات سلام وصداقة وترسيم حدود عديدة، لإزالة الاختلافات الحدودية بين البلدين. وفى اتفاقية الجزائر تم بحث جميع أوجه الاختلاف، وتم التوصل إلى حلول ترضى الطرفين. إلا أن العراق انتهزت فرصة إبرام معاهدة كامب ديفيد وانعقاد مؤتمر القمة العربى فى نوفمبر ١٩٧٨م، لرفض المعاهدة وشجب ما فعلته الحكومة المصرية والرئيس السادات (١٩٧٠ - ١٩٨١م)، وحاولت ملء الفراغ الناتج عن خروج مصر من الميدان، وتهميش دورها وانزوائها سياسياً عن العالم العربى، كما حاولت أداء دور الشرطى فى المنطقة،

وأبعدت مصر عن زعامتها القديمة للعالم العربي. وخطت حكومة البعث العراقي خطوة مهمة لزعامة العرب، وحسنت علاقاتها مع الدول العربية المحافظة والمعتدلة، واعتبرت نفسها - حينئذ - الملجأ والحامي للحكومة الرجعية في المنطقة التي تشعر بالقلق تجاه اتساع نطاق الثورة الإسلامية التي قامت في إيران في (١١/٢/١٩٧٩م).

وفي الشهور الأولى للثورة الإسلامية والنظام الجمهوري الوليد تظاهرت العراق بصداقتها للنظام الجديد وللشعب الإيراني، وأعربت عن أملها في إقامة علاقات وطيدة مع جيرانها. إلا أنها قامت مرتين خلال أربعة أيام بقصف قرى الأكراد الإيرانيين في (يونيه عام ١٩٧٩م)، ثم اعتذرت في مذكرة رسمية، وأعلنت عن استعدادها لتعويض الخسائر ودفع الغرامات. ثم طرحت مسألة ضرورة إعادة النظر في اتفاقية عام ١٩٧٥م (الجزائر)، وأعلنت أنها ترغب في استرداد جميع حقوقها في شط العرب. واشتدت الاضطرابات في المدن الحدودية، وتزايدت الخصومة، حتى تم استدعاء سفيرى البلدين إلى عاصمتيهما في (٩/٣/١٩٨٠م)، وبدأت التهديدات العراقية بالحرب ضد إيران، وتم طرد آلاف الشيعة العراقيين من أصل إيراني في (مارس ١٩٨٠م) وكانت إيران قد اكتشفت خلال صيف ١٩٧٩م خطة انقلاب، قامت على إثرها بعمل تصفية كبيرة للقوات المسلحة الإيرانية، وهذا شجع العراق على الهجوم على إيران، وسافر صدام حسين إلى السعودية لجلب مساندة إقليمية لمشروع حزبه ضد إيران.

وكانت هناك عوامل أخرى شجعت العراق على الإسراع في الاستعداد من أجل الاعتداء العسكري على إيران، ومن هذه العوامل: استمرار أزمة الرهائن (أعضاء السفارة الأمريكية في طهران) بين إيران وأمريكا، وقطع العلاقات بين البلدين في إبريل ١٩٨٠م، واحداث طبس (قيام أمريكا بعمل عسكري لإنقاذ الرهائن الأمريكيين) واتسع نطاق الاشتباكات الحدودية من جانب العراق، وكثر التهديد باستخدام القوة، وبالتقدم بشروط وطلبات غير معقولة ومخالفة لاتفاقية (١٩٧٥م)، وبخاصة إدعاء السيادة الكاملة على شط العرب.

ثم يذكر ولايتي في الفصل الأول من الكتاب أنه تم في (١٠ أغسطس ١٩٢٠م) تأسيس دولة تحت الحماية تحمل اسم "العراق"، وأنه في عام ١٩٢١م حصلت العراق على استقلالها من بريطانيا، لكن الخلافات استمرت بين إيران والعراق، وتحسنت العلاقات بعد إبرام معاهدة الجزائر عام ١٩٧٥م. وكان احتلال الطلاب الإيرانيين للسفارة الأمريكية واحتجاز الرهائن الأمريكيين أثر سلبي على الرئيس الأمريكي كارتر، فقد كانت هذه المسألة أهم مشكلة واجهت سياسته الخارجية، وكان لها دور رئيسي في نشوب الحرب العراقية ضد إيران. وانتهزت العراق فرصة وجود مشكلات وقلاقل داخلية في الفترة التي أعقبت قيام الثورة الإسلامية، وفرصة انتقال إيران من نظام إلى نظام آخر مختلف، وقامت بشن هجمات برية وجوية وبحرية على الحدود على فترات متباعدة وفي أوقات مختلفة، وطلبت من إيران الانسحاب من جزر: (أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى) الاستراتيجية، وإعادتها إلى أصحابها (الإمارات العربية المتحدة) وقامت - عن طريق عملائها - بسلسلة من الأعمال التخريبية عن طريق زرع القنابل في ربوع إيران المختلفة، وقامت بتكوين جبهة تحرير عربستان (خوزستان)، للإطاحة بالحكومة المركزية الإيرانية وضم عربستان إلى العراق، وشجعت على عمل تفجيرات في الميادين العامة ووسائل النقل العام وغيرها من الأهواز، مما أجبر المسئولين الإيرانيين على إعطاء الأوامر للجيش النظامي وجيش الحرس الثوري بالاستعداد للحرب. واتصلت العراق - رسمياً - بجميع الهيئات الدولية، وأرسلت رسائل إلى شخصيات عالمية وهيئات دولية وإقليمية، ومنها: السكرتير العام للأمم المتحدة ومنظمة المؤتمر الإسلامي وفيدل كاسترو والجامعة العربية ومنظمة الوحدة الإفريقية وواشنطن، وهيأت أذهان الجميع مدعية أنها هي المجني عليها، وأن إيران هي المعتدية، وأن من حقها الرد بهجوم مماثل. وأعلن صدام حسين إلغاء معاهدة الجزائر (التي كانت قد أبرمت في السادس من مارس عام ١٩٧٥م) من جانب واحد، وذلك في (١٧/٩/١٩٨٠) أي قبل الهجوم الشامل بخمسة أيام. وقد برر صدام حسين هذا الإلغاء بخرق إيران للاتفاقية، وعدم استرداد الأراضي التي كان يجب أن تستردها العراق بموجب اتفاقية الجزائر، وسوء معاملة إيران لعرب خوزستان (تسميها العراق عربستان)، وعدم استرداد الجزر الإماراتية الثلاث في الخليج.

ويبدأ ولايتي الفصل الثاني بقوله: في (٢٢/٩/١٩٨٠م) بدأت أطول حروب العالم بعد الحرب الثانية وأكثرها دموية وتخريباً، لكنها - في الوقت نفسه - أكثر الملاحم فخراً وعزة في تاريخ إيران الحديث. ويسترسل السيد ولايتي قائلاً: اجتمع مجلس الأمن في اليوم التالي، وأصدر بياناً طلب فيه من البلدين وقف أعمال الحرب، وحل الخلاف بينهما سلمياً، لكن رد فعل البلدين كان سلبياً، واستمرت الحرب في البر والبحر والجو. وصدر القرار رقم (٤٧٩) في (٢٨/٩/١٩٨٠) عن مجلس الأمن، وأعلنت العراق قبولها للقرار، ورفضته إيران بذريعة أن الاعتداء مستمر من جانب القوات العراقية ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وزاد توغل القوات العراقية المعتدية في الأراضي الإيرانية، واحتلت أجزاء مهمة من هذه الأراضي، وأشاعت العراق أن إيران

أغلقت "مضيق هرمز" في وجه السفن التي تحمل البترول، وكذبت إيران هذه الشائعة، وأصدر مجلس الأمن أكثر من بيان، وعقد أكثر من جلسة لحل المشكلة. كما عقدت منظمة المؤتمر الإسلامي جلسة في (١٩٨٠/٩/٢٦م) وقررت تشكيل لجنة باسم: لجنة "حسن النوايا" لإنهاء الحرب، وسافر أعضاء اللجنة إلى طهران وبغداد غير مرة لمقابلة المسئولين وإنهاء الأزمة، لكنهم لم يصلوا إلى نتائج إيجابية. واستمرت الحرب، لكن الكلفة بدأت تميل لصالح إيران.

أما حركة عدم الانحياز، فكونت لجنة "حسن نوايا" أيضاً من أجل إنهاء الحرب، وتمسكت إيران ببنود معاهدة ١٩٧٥م، ورفضت إجراء أية مباحثات حتى تنسحب القوات العراقية انسحاباً كاملاً من الأراضي الإيرانية. وأكدت العراق لأعضاء اللجنة في بغداد على تمسكها بالاعتراف رسمياً بحقوقها وسيادتها على أراضيها ومياهها الوطنية التي تشتمل على شط العرب.

وقبل أن ينتهي الفصل الثاني يشير السيد ولايتي إلى الأوضاع في جبهات القتال، فيقول: حققت القوات العراقية نجاحات في بداية الحرب، لكن بعد بضعة أسابيع ظهرت آثار انسجام وتماسك المقاومة الشعبية، وتم التنسيق بين الجيش النظامي وجيش الحرس الثوري، وتمكنت القوات الإيرانية في فك حصار "آبادان" خلال عمليات "ثامن الأئمة في ١٩٨١/٩/٢٧م، وتم تحرير نقاط استراتيجية، مثل: مدينة "بستان" وحوالي ٦٠٠ كم من الأراضي الإيرانية خلال عمليات طريق القدس التي بدأت في ١٩٨١/١١/٢٩م، وبعد عمليات "الفتح المبين" في ١٩٨٢/٣/٢٢م تم تحرير ٢٢٠٠ كم من الأراضي الإيرانية وتم طرد العدو من ديزفول وشوش، ثم بدأت عمليات "بيت المقدس" التي انتهت بتحرير خرمشهر "المحمرة" في ١٩٨٢/٥/٢٤م.

ويشير الدكتور ولايتي في الفصل الثالث إلى أن التغيير الملموس في التوازن العسكري ترك أثره على المشهد السياسي، مما كان سبباً في زيادة نشاط الأطراف الموالية للعراق، فبدأت هذه الأطراف في الحديث عن خطر إيران على المنطقة، ومارست الضغوط على إيران عن طريق فرض نظرياتها الخاصة بإنهاء الحرب، وزاد النشاط الدبلوماسي. ووصفت بعض الصحف الأجنبية هزيمة العراق في فرمشهر (المحمرة) بأنها كارثة كبرى، وسعى أصدقاء العراق إلى زيادة المساعدات السياسية والعسكرية وغيرها للعراق، وبعد اثنين وعشرين شهراً من الصمت أدرج مجلس الأمن موضوع الحرب في جدول أعماله مجدداً، وأعلن صدام حسين في ١٩٨٢/٧/٢٢ وقف إطلاق النار من جانب العراق، وأصدر أوامره بانسحاب القوات العراقية في الجبهات الغربية. وفي الوقت نفسه استكملت إسرائيل هجومها على جنوب لبنان، حتى يتم توجيه ضربة إلى الأطراف الموالية لجمهورية إيران الإسلامية، وإضفاء أهمية على ضرورة وقف إطلاق النار بين إيران والعراق. ورفعت إيران شعار الصمود في الجبهتين: السياسية والعسكرية حتى تحقق أهدافها. وزاد الضغط عليها من أجل قبول وقف إطلاق النار، وقويت إرادة إيران في الاستمرار في الدفاع والقتال، حتى تنتصر في النهاية انتصاراً كاملاً.

ويشير الدكتور ولايتي إلى الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية والعسكرية لـ"خرمشهر" ويقول: نظراً لأن الادعاءات العراقية الواهية انصبت على هذه المنطقة الرئيسية، فقد تعرضت هذه المنطقة للقصف العراقي المكثف منذ اليوم الأول للحرب، وسقطت "خرمشهر" بعد خمسة وثلاثين يوماً من المقاومة الباسلة. لكن القوات الإيرانية قامت بتحريرها في عمليات "بيت المقدس" في ١٩٨٢/٥/٢٤ على ثلاث مراحل، ويذكر الدكتور ولايتي أن العراق تكبدت خسائر فادحة في الأفراد والمعدات، مما جعلها - طبقاً للتقارير الإخبارية التي وصلت من بغداد آنذاك - تطلب المساعدة من مصر. ولم يسعد الغرب بهذا الانتصار، ونادى بوقف إطلاق النار، وإعادة السلام والوئام إلى المنطقة. وكانت أمريكا قد حذفت - قبل تحرير خرمشهر - اسم العراق من قائمة الدول المساندة للإرهاب، وهكذا تم إلغاء الخطر على صادرات أمريكا للعراق. وبعد تحرير خرمشهر زاد اقتراب أمريكا من العراق، وباعت أمريكا الأسلحة لدول الخليج، وسمحت لها بتقديمها إلى العراق. وروج الغرب مقولة إن تداعيات انتصار إيران تسبب القلق لدول الخليج، وشاع في هذا الوقت أن دول الخليج على استعداد لدفع جزء من التعويضات الحربية إلى إيران. وكانت دول الخليج معرضة لتهديدات من جانب العراق بصفة دائمة قبل الحرب الإيرانية العراقية، لكن الخوف من اتساع نطاق الحرب ومن سريان وتصدير الثورة الإسلامية كان قد قرب دول الخليج العربية من العراق البعثي، وقد لعب إعلام الغرب دوراً بارزاً في اتساع نطاق هذا الخوف. واستمرت الحرب على الرغم من محاولات الوساطة وحسن نوايا المجتمع الدولي. وكانت مسألة عودة مصر إلى الجامعة العربية من تداعيات تحرير "خرمشهر" وكان الكثيرون من العرب على قناعة بأن تدخل مصر العسكري أو - على الأقل - تهديدها بالتدخل العسكري في الحرب الإيرانية - العراقية من الممكن أن يكون سبباً في إنقاذ العراق من الهزيمة. وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تحاول الاستفادة من مكانة مصر السياسية والعسكرية في الأحداث غير المتوقعة، وتقوى بذلك جبهة الدول العربية المعتدلة. وذكرت إذاعة الـ(بي بي سي) أن مصر أرسلت معدات عسكرية إلى العراق، ونشرت

جريدة السياسة الكويتية أن الأوضاع مهيئة تماماً من أجل إقامة علاقات دبلوماسية بين مصر والعراق، والتقى وزير خارجية السعودية سراً فى القاهرة بالسيد حسنى مبارك، وتباحث معه حول عودة مصر إلى الصف العربى، وبيع أسلحة مصرية للسعودية.

وفقدت العراق الورقة الرابحة التى كانت ستساعدها فى مباحثات الصلح والسلام، وذلك بعد الانتصارات التى حققتها إيران فى جبهات القتال، وبعد التغير الذى طرأ على التوازن السياسى والعسكرى لصالح إيران. وتشككت الدول العربية فى مقدرة العراق العسكرية على الرغم من أنها قدمت لها خمسة وعشرين مليار دولار كمساعدة مالية، وانتقلت إيران من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم.

وعن موقف الأمم المتحدة يقول الدكتور ولايتى إن الأمم المتحدة صمتت طويلاً بعد صدور القرار (٤٧٩)، لكن بعد هزيمة القوات العراقية، بحثت المنظمة موضوع الحرب الإيرانية - العراقية بطلب من الأردن وبمساندة من الولايات المتحدة، مما أدى إلى صدور القرار (رقم ٥١٤) فى ١٩٨٢/٧/١٢ بإجماع الآراء أيضاً (مثلما حدث فى القرار ٤٧٩)، وهو عبارة عن "توصية". ولأول مرة يتم الحديث عن وقف إطلاق النار وانسحاب القوات وتشكيل قوات دولية لحفظ السلام، واحترام السيادة والاستقلال وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول. وقبلت العراق القرار، ورفضته إيران وأعلنت أنها ستواصل نضالها ودفاعها المشروع، حتى تحصل على جميع حقوقها، وحتى تتم إزالة جميع آثار العدوان العراقى. وفشلت محاولات حركة عدم الانحياز ومنظمة المؤتمر الإسلامى، وكان أداء الجمعية العمومية ضعيفاً بالمقارنة بأداء مجلس الأمن.

ولم تتوقف المعارك بين القوات الإيرانية والعراقية، وأصدرت الأمم المتحدة قرارها (رقم ٥٢٢) فى (١٩٨٢/١٠/٤) الذى قبلته العراق، ورفضته إيران لأنه لم تكن له قيمة ولا أهمية من وجهة نظرها. واشتدت الهجمات العراقية على المدن والمناطق السكنية الإيرانية، وضد السفن التجارية وناقلات البترول. وفى هذه الفترة باعت فرنسا طائرات "سوبر أتاندارد" المجهزة بصواريخ "أجزوسة" للعراق. كما صدر قرار الأمم المتحدة (رقم ٥٤٠) فى ١٩٨٣/٢/٢١م، وهو القرار الذى طالب بتوقف جميع العمليات العسكرية ضد الأهداف المدنية، وأكد على حرية الملاحة، وعلى وقف جميع الهجمات على الخطوط البحرية الخاصة بالطرق الصالحة للملاحة، وعلى الموانى والمنشآت البحرية. وذكر الدكتور ولايتى أنه على الرغم من أن إيران لم تقبل هذا القرار أيضاً، إلا أنها - اقتنعت - لأول مرة أنه من الممكن أن يتم إحقاق الحق من جانب مجلس الأمن.

وفى الفصل الرابع يقول الدكتور ولايتى:

بعد تحرير إيران لـ "خرمشهر"، اشترطت الانسحاب الكامل من جانب العراق، ودفع تعويضات حربية لإيران، وإعادة المطرودين العراقيين إلى منازلهم، ومحاكمة المعتدى ومجرم الحرب. وقامت إيران بعمليات هجومية عديدة، منها: عمليات رمضان - والفجر - خيبر - عاشوراء - بدر - كربلاء - وغيرها من العمليات الناجحة. وكانت عملية "والفجر ٨" أهم هذه العمليات، وقد بدأت هذه العملية فى ١٩٨٦/٢/٩ واحتلت إيران فيها حوالى ثمانين كم من منطقة شبه جزيرة الفاو، وقتلت وجرحت حوالى خمسين ألف، وأسرت حوالى ثلاثة آلاف. وكانت هذه العملية نقطة فارقة فى تاريخ الحرب الإيرانية العراقية.

واتسع نطاق المساعدات التى تقدمها الولايات المتحدة للعراق فى المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية، وكانت الولايات المتحدة تزود العراق بالمعلومات العسكرية عن القوات الإيرانية عن طريق أقمارها الصناعية وطائرات "الآواكس" الأمريكية، وكانت تقدم لها القروض والمساعدات المالية. أما الاتحاد السوفيتى فقد ساند العراق، وباع أسلحة له، وضغط على كوريا الشمالية وغيرها من الدول الشيوعية، لكى تمتنع عن بيع أسلحة لإيران.

وأصدرت الأمم المتحدة قرارها رقم ٥٨٢ فى ١٩٨٦/٢/٢٤، أعرب فيه الأعضاء عن قلقهم من طول مدة الاشتباكات، وعن أسفهم بسبب استخدام الأسلحة الكيماوية، وقصف المناطق المدنية، والهجوم على السفن المحايدة والطائرات المدنية، وطالبوا الطرفين بوقف إطلاق النار، وتبادل الأسرى. وأعلنت إيران أن الجزء الخاص بالحرب وإنهاء الخصومة ناقص ولا اعتبار له وغير قابل للتنفيذ، لكنها فى الوقت نفسه مستعدة للتعاون مع السكرتير العام فى مجال مراعاة تنفيذ المقررات الدولية. وأعلن العراق أنه مستعد للامتثال للقرار إذا كانت إيران مستعدة لتنفيذه، وهكذا لقى القرار رقم ٥٨٢ نفس مصير القرارات السابقة. أما القرار رقم ٥٨٨ الذى صدر فى ١٩٨٦/١٠/٨م بإجماع الآراء، فإنه يمكن وصفه بأنه كان بمثابة الإنذار الأخير للطرفين لقبول توصيات مجلس الأمن. وقبل العراق القرار ورفضت إيران وقف إطلاق النار، لكنها أكدت على استعدادها للامتثال ومراعاة تنفيذ القوانين الدولية والإنسانية.

وعن استخدام العراق للأسلحة الكيماوية، يقول الدكتور ولايتى إن العراق بدأ استخدام الأسلحة الكيماوية منذ بداية الحرب فى ١٩٨١/١/١٣م، ثم استمر فى استخدامه لها. وطلبت إيران من السكرتير العام للأمم المتحدة فى ١٩٨٣/١٠/٢٨ إرسال لجنة من الخبراء لتقصى الحقائق فى هذا الموضوع، وكررت هذا الطلب غير مرة. وفى ١٩٨٤/٣/٧ أصدر السكرتير العام

بياناً أدان فيه استخدام الأسلحة الكيماوية وقرر إرسال وفد لتقصى الحقائق، وقد تأكد أعضاء الوفد من استخدام العراق لغاز "الخردل" وغاز "التابون" المدمر للأعصاب عن طريق القصف الجوى. وطالب القرار بضرورة احترام "بروتوكول عام ١٩٢٥م"، وأدان نقض حقوق الإنسان فى الحرب، وطالب بتنفيذ قرار المجلس وأيد محاولات الوساطة.

ولم يكن رد فعل مجلس الأمن مناسباً ولا كافياً، وهذا ساعد على تكرار ارتكاب هذه الجريمة، وأيضاً لم يذكر اسم العراق صراحة. وفى ١٩٨٤/٦/٢٩م طالب السكرتير العام البلدين بالالتزام بعدم استخدام الأسلحة الكيماوية فى الحرب، وأكدت له إيران أنها لم تستخدم الأسلحة الكيماوية فى الحرب حتى الآن، وواصل العراق استخدامه للأسلحة الكيماوية، بل وتوسعت فى استخدامها، على الرغم من أن إيران تقدمت بشكوى إلى الأمم المتحدة فى هذا الصدد، وعلى الرغم من البيانات التى أصدرتها الأمم المتحدة والتى أدانت فيها هذا العمل.

وعلى الرغم من أن العراق هى التى كانت تستخدم الأسلحة الكيماوية فى الحرب، إلا أنها كانت تتهم إيران باستخدام الأسلحة الكيماوية، وقد ساعدت سكوت المجتمع الدولى وعدم اكتراثه على زيادة جرأة العراق على التوسع فى استخدام هذه الأسلحة، على الرغم من صدور قرار مجلس الأمن (رقم ٦١٦) فى ١٩٨٨/٧/٢٠م) وفى هذا الصدد. وفى نهاية هذه المرحلة زادت الضغوط على إيران لإنهاء الحرب، ولجأت الأمم المتحدة إلى سياسة التهديد والترغيب والتخويف من آثار وتبعات استمرار الحرب فى المنطقة، واقتربت الدول الأعضاء فى مجلس التعاون الخليجى من بعضهم البعض، وتم التمهيد لعودة مصر إلى العالم العربى، وتمت الاستفادة من البترول، وواجهت إيران مشكلة كبيرة فى تصدير بترولها، وصل سعر البترول إلى أدنى سعر له. وفى هذه المرحلة كانت إيران ترفض مقترحات الوساطة ووقف إطلاق النار فى قالب شروط، مثل: محاكمة صدام حسين. وبعد كارثة "حلبجه التى وقعت فى ١٩٨٨/٣/١٧م بدأت مرحلة جديدة من مراحل الحرب المفروضة على إيران.

وفى الفصل الخامس يقول الدكتور ولايتى إن إيران كانت فى حاجة دائماً إلى الأسلحة الغربية، وكانت توفر هذه الأسلحة عن طريق السماسرة، وكانت تواجه بعض الصعوبات فى هذا المجال أحياناً. ويتحدث الدكتور ولايتى عن سياسات وردود أفعال القوى العظمى: الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وفرنسا، ويقول عن سياسة الولايات المتحدة إزاء إيران: فى بداية الحرب أعلنت الولايات المتحدة عن حيادها فى الظاهر، وكانت استراتيجيتها قائمة على حصر نطاق الحرب فى حدود البلدين، لكن علاقات العراق وأمريكا أصبحت رسمية وعلنية شيئاً فشيئاً، ولم تر أمريكا انتصارات إيران موافقة لمرادها، واستخدمت مصادر معلوماتها لتغذية وتقوية العراق فى الحرب عن طريق طائرات "الآواكس" والأقمار الصناعية، وكانت تقوم بإبلاغ العراق بتنقلات القوات الإيرانية فى الجبهات العسكرية، وكانت تبلغها بمواضع السفن فى حرب الناقلات فى الخليج. وأدى فشل العراق وانتصار إيران فى الحرب إلى أن تعيد الولايات المتحدة النظر فى سياستها بشكل جدى، وإلى أن تسعى إلى الاقتراب من إيران (الطرف المنتصر)، فشجعت الولايات المتحدة حلفاءها الغربيين على مساعدة إيران وتلبية احتياجاتها المسلحة من العتاد الحربى، لكن بشرط ألا يخل هذا بتوازن القوى فى المنطقة. وكانت مصالح الولايات المتحدة تكمن فى الآتى:

١-الحيلولة دون تجزئة إيران، والمحافظة عليها كدرع واق بين الاتحاد السوفيتى والخليج.

٢-تقليل الفرص السياسية للاتحاد السوفيتى فى إيران.

٣-المحافظة على الوصول إلى بترول الخليج، والمرور فى "مضيق هرمز".

٤-إنهاء مساندة إيران للعناصر والجماعات الثورية والإسلامية.

٥-استمرار مقاومة إيران للتوسع السوفيتى، وبخاصة فى أفغانستان.

٦-إنهاء الحرب بدون أن يتوسط الاتحاد السوفيتى، ويغير توازن القوى فى المنطقة.

٧-اعتدال إيران فى سياسة تسعير بترول منظمة الأوبك.

وأرسلت الولايات المتحدة أربع شحنات من الأسلحة الأمريكية إلى إيران، وقالت الولايات المتحدة إنها أرسلت هذه الأسلحة على أمل قيام إيران بالوساطة فى مسألة إطلاق سراح الرهائن الأمريكيين السبعة الذين اعتقلتهم حركة الجهاد الإسلامي اللبنانية. وقد نفى السيد/ خامنئى – رئيس الجمهورية آنذاك – أن صفقة الأسلحة تمت فى مقابل إطلاق سراح الرهائن، وقال: لقد دفعنا ثمن الأسلحة التى وصلت إلينا ضعفين أو ثلاثة أضعاف، لكن باعة هذه الأسلحة طلبوا منا استخدام نفوذنا لإطلاق سراح الرهائن، ووافقنا، ولم نجد غضاضة فى المساعدة فى مسألة إطلاق سراح الرهائن. وأغضب هذا الموضوع الدول العربية، وأفقدها الثقة فى تصريحات المسئولين الأمريكيين، لأنها أرسلت أربع شحنات أسلحة إلى إيران، وكانت دائماً تمنع الدول من إرسال أسلحة إلى إيران. وأدى النقد الشديد الذى وجهه حلفاء الولايات المتحدة، وضغط الرأى العام الأمريكي الدائم، وعدم

إطلاق سراح جميع الرهائن الأمريكيين من جانب حركة الجهاد الإسلامي اللبنانية إلى زيادة تأييد الولايات المتحدة للعراق، ووقف من إيران موقفاً عدائياً، واستمر هذا الوضع حتى نهاية الحرب.

ويلخص الدكتور ولايتى سياسة الولايات المتحدة إزاء إيران، ويقول: جدير بالذكر أنه فيما يتعلق بسياسة أمريكا إزاء إيران، كان رأى وزارة الخارجية الأمريكية يختلف عن رأى وكالة المخابرات الأمريكية (سيا)، وكان إرسال الشحنات الأربع إلى إيران بتوصية من الـ (سيا)، وقال ريجان - رئيس الجمهورية آنذاك - إن الهدف من إرسال أسلحة وقطع غيار لإيران سراً: هو إنهاء الحرب الإيرانية العراقية بشرف.

ويذكر الدكتور ولايتى أن طائرات التجسس الأمريكية (آواكس) ساعدت القوات العراقية على قصف جزيرة "خارك" عام ١٩٨٦م، مما ألحق بإيران خسائر فادحة، وقلل من قدرة الجزيرة على تصدير البترول. كما ساعدتها على ضرب جزيرة "سيرى" - أهم ميناء تصدير بعد جزيرة "خارك" فى أغسطس ١٩٨٦م، وعلى ضرب المنشآت البترولية فى جزيرة "لارك" فى ١٩٨٦/١٢/٥م، وعلى ضرب محطة كهرباء "نكا" فى مازندران فى ١٩٨٦/١٢/١٣م. كما ساعدت العراق فى هجومها على ناقلات البترول بعد أن قدمت المعلومات والصور لها. مما أدى إلى خفض صادرات إيران من البترول، وكان سعر البترول قد انخفض فى صيف عام ١٩٨٦م إلى أقل من عشرة دولارات فى البرميل، وانخفضت عائدات البترول فى عام ١٩٨٦م إلى ستة مليارات دولار، وكانت ١٦ مليار دولار فى عام ١٩٨٥م. كما ساعدت المعلومات والصور التى قدمتها الولايات المتحدة إلى القوات العراقية على استخدام الأسلحة الكيماوية، وقتل الجنود الإيرانيين فى أماكن تجمع القوات.

وعن موقف الاتحاد السوفيتى، يقول الدكتور ولايتى: أعلن الاتحاد السوفيتى عن حيادة منذ بداية الحرب، حتى يحافظ على علاقاته بالبلدين، لكن الروس كانوا يساعدون العراق عن طريق دول صديقة، واستمر هذا حتى عام ١٩٨٢م. وحاول الاتحاد السوفيتى خلال هذه المدة توفير جزء من احتياجات إيران من السلاح عن طريق حلفائه العرب (سوريا وليبيا)، لكن محاولته فشلت لأن إيران أوقفت تصدير الغاز للاتحاد السوفيتى، وقامت بتخفيض عدد الدبلوماسيين فى طهران، وأغلقت القنصلية السوفيتية فى "رشت"، وأغلقت بنك إيران روسيا، وأوقفت نشاط جمعية العلاقات الثقافية بين البلدين، وزادت العلاقات سوءاً فى عام ١٩٨٢م بعد اعتقال زعماء "حزب توده" بتهمة التجسس لصالح الاتحاد السوفيتى. وبسبب سوء العلاقات زاد تعاون الاتحاد السوفيتى مع العراق، وقدم الاتحاد السوفيتى للعراق قرضاً طويل الأجل قيمته (٢ مليار دولار فى عام ١٩٨٤م، وزاد معدل شراء البترول من العراق، وتسلمت العراق من الاتحاد السوفيتى طائرات ميج ودبابات تى ٧٢ وصواريخ أرض / أرض مقابل البترول، وأرسل الاتحاد السوفيتى ألفين من المستشارين العسكريين لتدريب العراقيين على كيفية استخدام الأسلحة السوفيتية الصنع. ويمكن القول إن الاتحاد السوفيتى كان هو المزود الرئيسى للعراق بالأسلحة طوال الحرب، فقد قدم للعراق أكثر من ٧٠٪ من الأسلحة التى كانت تحتاج إليها. ومع تولى إدوارد شيفارد نادزه منصب وزير الخارجية فى عام ١٩٨٦م تغيرت سياسة الاتحاد السوفيتى تجاه القضايا الدولية والإقليمية، حيث رأى الاتحاد السوفيتى أن استمرار الحرب بين إيران والعراق لمدة غير معلومة من الممكن أن يكون ذريعة للتواجد العسكرى الغربى فى منطقة الخليج.

وعن سياسة فرنسا وموقفها، يقول الدكتور ولايتى: لقد ساندت فرنسا العراق منذ بداية الحرب، وأخذت هذه المساندة أبعاداً أخرى طوال الحرب من الناحيتين الاقتصادية والتجارية. وزودت فرنسا العراق بطائرات مجهزة بالصواريخ وهى الطائرات التى ساعدت العراق فى حرب ناقلات البترول، كما مكنتها من مواصلة الحرب. وقدمت لها قروضاً فى (عامى ١٩٨٥، ١٩٨٦م) بحوالى خمسة مليارات دولار، هذا فى الوقت الذى لم تسدد فرنسا فيه ديونها وقيمتها مليار دولار لإيران، وقطعت العلاقات مع إيران فى ١٩٨٧/٧/١٧م من جانب واحد.

وعن موقف بريطانيا ذكر الدكتور ولايتى أن العلاقات ساءت بين البلدين منذ قيام الثورة الإسلامية، وأن توتر العلاقات تصاعد، حتى أغلقت السفارة البريطانية فى طهران فى ١٩٨٧/٥/٢٨م، واقتصر عدد الدبلوماسيين الإيرانيين فى بريطانيا على عدد قليل، وفى الوقت نفسه استمرت المساعدات العسكرية البريطانية للعراق. وكانت بريطانيا قد بنت سياستها - مثل فرنسا - فى منطقة الخليج على أساس علاقاتها المتوافقة مع الولايات المتحدة.

وعن قرار مجلس الأمن رقم (٥٩٨) الذى صدر فى ١٩٨٧/٧/٢٠م يقول الدكتور ولايتى إن إيران رأت أن المؤدى التنفيذى لهذا القرار منطقى ومعقول، وإنه من القرارات التى أدخلت فيها إيران بعض مطالبها ورغباتها قبل أن تصدر، فقد أدخلت بعض الإصلاحات على البنود (٦، ٧، ٨) فى نص المسودة. وكانت الظروف العسكرية والسياسية قد تغيرت لصالح إيران، بعد أن حققت انتصارات عسكرية ملحوظة، واستعادت "خرمشهر"، واستولت على جزر "مجنون"، وفتحت "شبه جزيرة الفاو" وبعض الأجزاء من كردستان العراقية، ونجت - سياسياً - فى إفشال محاولة العراق مرتين لرئاسة حركة عدم

الانحياز، واستطاعت بالمناورات السياسية والدعاية أن تجعل الرأى العام العالمى يقبل أن العراق هى المعتدية، وأن المجتمع الدولى تساهل وتهاون فى هذه المسألة. وقد ربطت العراق قبولها للقرار ٥٩٨ بقبول إيران لهذا القرار بدون قيد أو شرط. ولم ترفض إيران ولم تقبل، وذكرت أنها شاهدت نقاطاً إيجابياً فى هذا القرار، وأنها مستعدة للتباحث حولها، لكن يجب تحديد من هو المعتدى وتقديمه للمحاكمة، كما يجب أن يدفع تعويضات الحرب. ووافقت إيران على المشروع التنفيذى الخاص بالقرار ٥٩٨ الذى تقوم به السكرتير العام، وعلى التعاون معه لتنفيذ هذا المشروع، وكان هذا دليلاً على حسن نية الجمهورية الإسلامية الإيرانية، واعتقدت الولايات المتحدة أن موافقة إيران محاولة منها للهروب من قرار مقاطعة بيع الأسلحة لإيران.

ويذكر الدكتور ولايتى أنه تم إطلاق ثلاثة صواريخ صوب الكويت فى (أغسطس ١٩٨٧م)، ونفت إيران مسئوليتها عن إطلاق هذه الصواريخ، إلا أن الكويت ادعت أن الصواريخ من نوع: "دودة القز" التى باعتها الصين لإيران. وفى ١٩٨٧/٩/٤م تم إطلاق صاروخ آخر، فطلبت الكويت من البعثة الدبلوماسية الإيرانية مغادرة أراض الكويت. وفى ١٩٨٧/٩/٨م قصفت العراق (١٢) هدفاً إيرانياً: مدن ومنشآت بترولية وناقلات بترول فى الخليج وعدد من المصانع الإيرانية التى تعمل فى مجال صناعة الأسمنت والسكر والورق والسيارات، وأطلق صاروخ آخر على الكويت فى ١٩٨٧/١٠/١٦م على ناقلة بترول كويتية تحمل العلم الأمريكي، وكانت الكويت هى التى طلبت من الولايات المتحدة أن تضع علمها على السفن الكويتية، وهذا العمل من وجهة نظر الدكتور ولايتى يدل على مساندة الولايات المتحدة للدول العربية فى جنوب الخليج، وعلى مساندة الولايات المتحدة للعراق فى حرب الناقلات، وهو إجراء كان ضد إيران، وحد من العمليات البحرية والجوية الإيرانية فى الخليج.

ويضيف الدكتور ولايتى قائلاً: إن الولايات المتحدة قصفت - بذريعة الانتقام - جزيرة "رستم" ورصيفها البترولى (رشادت)، كما قصفت حقل (رسالت) البترولى مدعية أن هذه المناطق بها "رادار" وأجهزة اتصال، وألحقت بالأفراد والمنشآت خسائر فادحة. وقد استخدمت الولايات المتحدة أربع مدمرات أمريكية فى هذا القصف. وكان هذا الاعتداء الأمريكي المسلح اعتداء على سيادة إيران، ويعد نقضاً لميثاق الأمم المتحدة وللحقوق الدولية. وفى ١٩٨٨/٤/١٨ قامت ثلاث سفن حربية أمريكية بقصف الرصيف البترولى (ساسان) فى الخليج، وأغرقت بارجة وزورقاً سريعاً وسفينتين حربيتين صغيرتين بزعم أن إيران أصابت بارجة حربية أمريكية كانت ترافق ناقلة بترول كويتية بلغم.

وفى ١٩٨٨/٧/٣م أسقطت الصواريخ الأمريكية التى أطلقتها البارجة الأمريكية (ويتسنس) طائرة ركاب إيرانية من طراز (إيرباص) تابعة لشركة الطيران الإيرانية، كانت قد أقلعت من "بندر عباس" متجهة إلى دبى. ومات جميع الركاب وعددهم (٢٩٠) راكباً منهم عدد من الركاب الهنود والباكستانيين والإماراتيين واليوغسلافيين، وجميع أفراد طاقم الطائرة. وطالبت إيران مجلس الأمن بتشكيل لجنة لبحث الموضوع، وأصدرت اللجنة فى (١٩٨٨/٧/١٤م) بياناً أدانت فيه استخدام السلاح ضد طائرات الركاب المدنيين.

وعن القبول النهائى للقرار رقم (٥٩٨) يقول الدكتور ولايتى: فى شهور الحرب الأخيرة زادت المساندة الدولية للعراق، ودخلت الولايات المتحدة ميدان المعركة عملياً وبشكل مباشر، وقصفت أرصفة البترول الإيرانية، وسهلت قصف الناقلات بإرشادها للطائرات العراقية. وقدمت فرنسا الطائرات المتطورة للعراقيين، وقدم الاتحاد السوفيتى أحدث الطائرات المقاتلة للعراق، وأرسلت الكويت والسعودية الدولارات إلى العراق، وقدمت ألمانيا السلاح الكيماوى للعراق، وقصفت العراق المناطق السكنية الإيرانية بضراوة، وأيدت المجامع الدولية هذه الجرائم بالتزامها الصمت. وقد اطلع الإمام الخمينى على هذه الأمور جميعها، وتلقى تقارير مختلفة فى هذا الصدد، وتوصل إلى نتيجة مؤداها: قبول القرار رقم (٥٩٨)، وقال إن هذا كان بمثابة تجرع السم. وعقدت فى (١٩٨٨/٧/١٦م) جلسة مهمة حضرها رؤساء السلطات الثلاث: التشريعية والتنفيذية والقضائية وأعضاء مجلس الخبراء ومجلس صيانة الدستور ومجلس القضاء الأعلى، وذلك لبحث مسألة وقف إطلاق النار فى مقر رئاسة الجمهورية، وطرحت فى هذه الجلسة فكرة وساطة الجزائر وباكستان والمؤتمر الإسلامي، لكن المجتمعين لم يوافقوا على هذه الفكرة. وفى نهاية الاجتماع تقرر قبول القرار رسمياً وإبلاغ السكرتير العام للأمم المتحدة به بعد توقيع رئيس الجمهورية (السيد خامنئى) عليه. وأذاع راديو طهران الخبر فى تمام الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الاثنين (١٩٨٨/٧/١٨م)، وكان لهذا الخبر ردود أفعال واسعة النطاق فى الداخل والخارج، وقد نقله عدد من الدبلوماسيين وهم غير مصدقين له. وكانت موافقة إيران على القرار (٥٩٨) مفاجأة غير متوقعة للعالم بأسره.

وتم تسليم مذكرة بهذا المعنى للسكرتير العام للأمم المتحدة فى منزله، وقام مندوب إيران الدائم فى الأمم المتحدة بتسليمها فى (١٩٨٨/٧/١٧م). وصرح السيد هاشمى رفسنجانى (نائب القائد العام للقوات العسكرية الإيرانية آنذاك) فى المؤتمر الصحفي الذى عقده فى (١٩٨٨/٧/١٨م) قائلاً: إن الظروف جعلتنا نتوصل إلى

نتيجة وهى: إن مصلحة الثورة ومصلحة الشعبين: الإيرانى والعراقى ومصلحة المنطقة تكمن فى قبول القرار (٥٩٨). وأصدر الإمام الخمينى بياناً تاريخياً فى (١٩٨٨/٧/٢٠م) جاء فيه:

"لأسباب وعوامل أمتنع عن ذكرها الآن، وسوف تتضح فى المستقبل بإذن الله، وافقت على (القرار ٥٩٨) وعلى وقف إطلاق النار بعد أخذ رأى جميع الخبراء العسكريين والسياسيين فى البلاد، وأنا أثق فى هؤلاء الخبراء، واعتبر هذه الموافقة فى مصلحة الثورة والنظام، وأشكر أبنائى المقاتلين فى جميع الجبهات، وأشكر جميع أفراد الشعب الإيرانى على صبرهم ومقاومتهم. لقد كان قبول هذا الأمر بالنسبة لى أشد إيلاماً من تجرع السم، لكننى راض بما ارتضاه الله، ومن أجل إرضائه تجرعت هذا السم، لكن يجب أن نتذكر أن قبول هذا القرار كان على مسئولية المسئولين الإيرانيين فقط، وقد اعتمد هؤلاء المسئولون على أنفسهم فى اتخاذ هذا القرار المصيرى، ولم يتدخل أى شخص أو أية دولة فى هذا الأمر".

وكلف الإمام الخمينى وزارة الخارجية بتولى مسألة المباحثات، وأعدت الوزارة خطة المباحثات، للمحافظة على مصالح إيران، وسافرنا إلى نيويورك بعد أن فوضنى الإمام الخمينى تفويضاً كاملاً فى إجراء المباحثات. والحق أن القوى العظمى لم تكن ترغب فى استمرار الحرب، والدول العربية وحماة صدام أيضاً كانوا يعتبرون استمرار الحرب خطراً على مصالحهم، لهذا بدأوا جميعاً فى الضغط على العراق من أجل قبول وقف إطلاق النار وقبول القرار (٥٩٨)، وبدأ النضال السياسى والجهود الدبلوماسية والمباحثات الطويلة والمعقدة بين إيران ومجلس الأمن والسكرتير العام للأمم المتحدة، وانتهت المباحثات بتبنى وجهات نظر الجمهورية الإسلامية الإيرانية الخاصة بتطبيق وقف إطلاق النار والبدء فى تنفيذ القرار (٥٩٨) بدون المساس باتفاقية الجزائر (١٩٧٥م)، وبدون ضياع مصالح إيران.

ويتحدث الدكتور ولايتى عن تفصيلات لقاءاته العشرة مع السكرتير العام، حتى تم الاتفاق النهائى - بعد أسبوعين من المباحثات المغنية - على وقف إطلاق النار فى (١٩٨٨/٨/٢٠)، ويتحدث عن الجلسات التى عقدها السكرتير العام مع وزيرى خارجية البلدين لتنفيذ بقية بنود القرار فى (١٩٨٨/٨/٢٤)، وهى الجلسات الثلاث التى دار فيها الحديث حول تطهير شط العرب وحرية الملاحة والانسحاب وتوقيتاته. كما يشير إلى استئناف المباحثات فى نيويورك وعودتها إلى جنيف مرة أخرى، حيث تم عقد سبع جلسات ثلاثية شارك فيها الدكتور ولايتى ووزير خارجية العراق والسيد الياسون (الممثل الشخصى للسكرتير العام).

ويذكر الدكتور ولايتى أنه لم يتم التوصل إلى نتيجة ملموسة فى تنفيذ بقية بنود القرار لأن العراق كانت تضغط من أجل إطلاق سراح الأسرى، وكانت إيران تؤكد على ضرورة انسحاب القوات إلى الحدود الدولية. وحدث تقدم بسيط فى مسألة تبادل الأسرى المرضى والمصابين. وحاولت العراق إلغاء اتفاقية الجزائر ١٩٧٥م، وضغطت إيران من أجل بقائها، وظل الخلاف على تطهير شط العرب وحرية حركة السفن فى شط العرب قائماً. وطلب السكرتير العام سلطات أوسع من "مجلس الأمن" لإنجاح المباحثات ودفعها إلى الأمام. وعقدت ثلاث جلسات فى جنيف ونيويورك بين السكرتير العام ووزيرى خارجية البلدين. وتم تبادل اللقاءات بين المسئولين الإيرانيين والعراقيين فى طهران وبغداد من أجل تنفيذ (القرار ٥٩٨)، وفتح حدود البلدين، وافتتاح مكاتب طيران فى بغداد وطهران، والتمهيد لزيارة الأماكن المقدسة فى البلدين.

ويشير الدكتور ولايتى إلى أن المباحثات طالت لأن العراق كانت تضع العراقيل والموانع فى مسألة تنفيذ بنود القرار، وأنها كانت تسعى إلى استبدال المباحثات الثلاثية بمباحثات ثنائية ومباشرة بعيداً عن إشراف الأمم المتحدة، وذلك من أجل الحصول على امتيازات فى شط العرب مستفيدة من ميزة احتلالها لجزء من أراضينا. لكن إيران رفضت المباحثات المباشرة، وأرسل صدام حسين بضعة رسائل إلى السيد هاشمى رفسنجانى رئيس الجمهورية اقترح فيها اللقاء المباشر بين زعماء البلدين فى مكة المكرمة أو أى مكان آخر يتم الاتفاق عليه، لكن الرئيس رفسنجانى رحب بأية مبادرة تؤدى إلى السلام الكامل بين البلدين، لكنه رفض عقد اللقاء فى السعودية للموقف السلبى الذى يتخذه المسئولون السعوديون من الثورة الإسلامية الإيرانية، وأكد على ضرورة خروج القوات العراقية من الأراضى الإيرانية التى لازالت تحتلها. وفى رسالة أخرى لجأ صدام حسين إلى التهديد والتحذير من تجدد أعمال الحرب بين البلدين، واقترح مشروعاً للسلام من (١٣) بنداً تغفل القرار (٥٩٨) واتفاقية ١٩٧٥م تماماً. لكن الجيش العراقى احتل دولة الكويت بعد ثلاثة أيام فقط من إرسال لرسالة الأخيرة، وأدانت إيران هذا العمل، وطالبت بانسحاب العراق من الأراضى الكويتية. وفى (١٩٩٠/٩/٣م) أرسل صدام حسين الرسالة الخامسة إلى السيد هاشمى رفسنجانى، وانتقد موقف إيران، وحذرها من أى تدخل من جانبها فى هذه المسألة، وطالب بالإسراع بعقد جلسة الزعماء لحل المشكلات الموجودة بين البلدين. وفى الرسالة التى أرسلها السيد هاشمى رفسنجانى إلى صدام تم رفض ما ذكره صدا فى رسالته عن شط العرب وتمت المطالبة بعدم إغفال

معاهدة ١٩٧٥م فى مباحثات الصلح، وبالإسراع فى تنفيذ الانسحاب. وكانت الظروف الخاصة بأزمة احتلال العراق للكويت سبباً فى عدول العراق عن موقفها من معاهدة ١٩٧٥م، ووافق صدام على الالتزام ببنود هذه المعاهدة، وعلى انسحاب القوات العراقية من المناطق المواجهة لإيران على طول الحدود فى (١٧/٩/١٩٩٠م)، وعلى تبادل الأسرى، ورحب السيد هاشمى رفسنجانى فى رسالة له بقبول صدام لمعاهدة ١٩٧٥م، وبالبدء فى الانسحاب من جانب القوات العراقية من الأراضى الإيرانية المحتلة، وباستقبال مندوبى رئيس الجمهورية العراقية فى طهران. وهكذا انتهت مرحلة الاتصالات والمباحثات التى استمرت حوالى مائة وعشرين عاماً، والتى تبادل فيها الرئيسان عشر رسائل، وبدأت مقدمات الدخول فى مرحلة جديدة، وهى مرحلة تطبيع العلاقات بين البلدين.

وأدركت إيران أن صدام حسين كان يهدف إلى عدم الانشغال بالحدود الشرقية أى الحدود المشتركة مع إيران، لكى يتفرغ للحدود الجنوبية مع الكويت، والاستفادة من احتلال هذه الدول الصغيرة التى تملك مصادر بترولية عظيمة.

ويتحدث الدكتور ولايتى عن طمع صدام حسين فى الكويت، ويقول: عندما تأكد صدام حسين من عدم تحقيق أهدافه من الاعتداء على إيران، ومن أنه فشل فى الاستيلاء على مصادر البترول الغنية الموجودة فى جنوب إيران وفى السيطرة على المزيد من السواحل والطرق الموصلة إلى المياه المفتوحة فى الخليج، قرر الاتجاه صوب الكويت مستنداً إلى ادعاءات تاريخية وذرائع مختلفة، ومعتمداً على قواته العسكرية التى سلحها وجهزها الشيوخ العرب فى المنطقة، ومتصوراً أن ما لم يستطع الحصول عليه طوال ثمانى سنوات من الحرب ضد إيران، سيحصل عليه باحتلال الكويت عسكرياً فى مدة تقل عن ساعتين. وكانت الكويت قد قدمت إلى العراق مساعدات مالية تقدر بمائة مليون دولار، لإعادة اعمار مدينة الفاو، وعرضت مشاركة المؤسسات الاقتصادية الكبرى فى الكويت فى إعادة اعمار العراق وفى إقالة الاقتصاد العراقى من عثرته، وذلك لتشجيع العراق على حل الخلافات الحدودية بين البلدين، كما كانت الكويت من المساندين والداعمين الرئيسيين للعراق فى حربها ضد إيران على أمل أن تصرف العراق النظر عن أطماعها السابقة فى الكويت. وبعد احتلال العراق للكويت، وافق صدام حسين على اتفاقية ١٩٧٥م، وقد صرح صدام أثناء لقائه بالسكرتير العام فى (١٣/١/١٩٩١م) قائلاً: "جميع أفراد شعبنا يعرفون أننا أعطينا نصف شط العرب لإيران، وأطلقنا سراح أسرى الحرب دون أن ننتظر إطلاق سراح أسرانا، وعندما سألنى العراقيون: لماذا كل هذا؟ أجبتهم قائلاً: من أجل السلام. الآن الكويت جزء من العراق، فلا حاجة لنا - إذن - فى أن نشتبك مع الآخرين بسبب شط العرب، وسحبنا جيشنا من هذه الجبهة، وأرسلناه إلى الكويت".

وتم تبادل ثمانين ألف أسير من الجانبين على مراحل وطبقاً لجدول زمنى، وتم انسحاب جميع القوات العراقية من كل الأراضى الإيرانية التى احتلتها العراق إلى الحدود الدولية المتفق عليها فى اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥م.

وتحت عنوان نظرة على المستقبل يقول الدكتور ولايتى: إن أفكاراً عديدة تهدد السيادة العراقية، وإن المحافظة على هذه السيادة ضرورية لأمن المنطقة، وإن حل المشكلات لن يكون إلا عن طريق المباحثات والطرق السلمية، وإن تضافر الجهود والتعاون من أجل تحسين الظروف الاقتصادية والسياسية والحيلولة دون تدخل القوى الخارجية هو أنسب الطرق لتحقيق التنمية والرخاء والعدالة والتعايش السلمى. وفى مجال العلاقات السياسية بين إيران والعراق، تم حل القضايا الأساسية، وتتبقى قضايا فرعية قابلة للحل. أما فى المجال الاقتصادى فهناك مانعان: الأول: مقاطعة الأمم المتحدة للعراق، وإيران تعتبر نفسها ملزمة بالالتزام بهذه المقاطعة، لكنها فى الوقت نفسه ترى أنه يجب العمل على تخفيف عبء المشكلات والمعضلات التى تواجه الشعب العراقى.

الثانى: القضايا السياسية التى لم تحل حتى الآن. إلا أن العلاقات الثقافية والتاريخية بين البلدين توفر جواً مناسباً للتعاون، فالشعبان لديهما مشتركات عديدة، والبلدان يملكان أماكن مقدسة يشتاق الشعبان إلى زيارتها، ووجود الحوزات العلمية وعلماء الدين فى قم ومشهر والنجف وسائر المدن فى البلدين من العوامل المساعدة على التعاون الثنائى. إن تحسن العلاقات الإيرانية - العراقية لصالح جميع شعوب المنطقة. والقوى الخارجية التى تعتبر أن مصلحتها فى التفرقة بين دول المنطقة، والقوات التى جاءت من خارج المنطقة إلى الخليج لتنفيذ سياسة "الاحتواء المزدوج" هى التى تعارض التقارب والتفاهم بين دول المنطقة، وتقف حجر عثرة فى طريق تحقيقه.

يجب على العراق أن تترك التوسع والطمع جانباً، وأن تثق فى جارتها الكبيرة إيران، وأن تطالب بحقوقها العادلة والمشروعة فقط، وفى هذه الحالة، فإن حسن الجوار من الممكن أن يهئ المجال للتعاون فى المستقبل. والمستقبل ملك للشعوب الإسلامية، وليس أمام هذه الشعوب طريق آخر سوى التقارب والتفاهم والاتحاد، والحكومات - فى النهاية - ليس لديها طريق سوى تحقيق هذه الرغبات المشروعة لشعوبها. ونحن فى انتظار ذلك اليوم.

افتتاحيات الصحف الإيرانية

الصادرة باللغة الفارسية فى شهر خرداد ١٣٨٦هـ.ش. الموافق مايو/يونيو٢٠٠٧م

تشير افتتاحيات الصحف الإيرانية الصادرة باللغة الفارسية خلال شهر خرداد ١٣٨٦هـ.ش. الموافق مايو/يونيو٢٠٠٧م إلى أن الاهتمام بأداء الحكومة فى كافة المجالات كان الشغل الشاغل لكل من الإصلاحيين والأصوليين على السواء، وهو ما انعكس على اهتمامات الصحف القومية والحزبية، مع متابعة مستمرة لأحداث المنطقة، وخاصة فى العراق ولبنان وفلسطين.

انبرت الصحف ذات التوجه الإصلاحى مثل صحيفة الشمس (آفتاب) والتضامن (همبستكي) وشرق والاعتماد الوطنى (اعتماد ملي) واطلاعات لنقد حكومة الرئيس محمود أحمدى نجاد من خلال عدة محاور، كان أهمها المحور الاقتصادي، حيث مازالت معالجة قضية سعر البنزين واستهلاكه موضع أخذ ورد، إذ تقاوم الحكومة بشدة اتجاه الخبراء الاقتصاديين تعويم سعر البنزين، وتطرح بدلا من ذلك وضع عدة مستويات لتسعيره، ويبدو أن قضية معالجة أزمة البنزين قد أصبحت قضية محورية تلقى بظلالها على أداء الحكومة فى المجال الاقتصادي، حيث تنبرى هذه الصحف لنقد الحكومة بشدة، مؤكدة على عدم خبرتها فى هذا المجال، وعنادها فى عدم الأخذ بنصائح الخبراء الاقتصاديين، مشيرة فى ذلك إلى عقد جلسات مجلس الوزراء فى المحافظات المختلفة شهريا، ومتسائلة عن جدوى هذه الرحلات، وإلى أى مدى نجحت فى معالجة مشاكل المحافظات، وتلبية احتياجات المواطنين، خاصة فى المناطق النائية والمحرومة من الخدمات، ومؤكدة أن ارتفاع الأسعار والتضخم مؤشران واضحان على فشل سياسة الحكومة الاقتصادية، وطالبت الحكومة بقبول النقد والاستفادة منه، كما طالبت الأصوليين بعدم الاستئثار بالسلطة أو استغلالها من خلال التواطؤ بين مجلس الشورى الإسلامى والحكومة، أو جعل نفسه وكيلا للحكومة، والابتعاد عن السيطرة على القطاع الخاص أو القطاع التعاوني، والعودة إلى القيادة الشعبية الدينية، والتعامل بواقعية مع الأحداث خاصة فيما يتعلق بالسياسة الخارجية.

فى الوقت الذى تسعى فيه الصحف ذات التوجه الأصولى مثل صحيفة الدنيا (كيهان) ورسالت وجمهورى اسلامى إلى الدفاع عن مسلك الحكومة، والتماس الأعذار والمبررات من خلال أنها تقوم بعملية إصلاح

جذرية للمشكلات التى تراكمت خلال عدة عقود، مشيرة إلى قرار الحكومة بخفض سعر الفائدة على ودائع البنوك، ومؤكدة أن محاولات الصحف الإصلاحية تشويه عمل الحكومة من خلال نقدها المتعسف ليس فى مصلحة البلاد والتضامن الوطني، ولن يعيد ثقة الجماهير للإصلاحيين أو تأييدهم فى الانتخابات التشريعية القادمة، وقد استفادت هذه الصحف من ذكرى رحيل الإمام الخمينى لتؤكد على أن الأصوليين متمسكون بفكر زعيم الثورة وسائرون على خطاه فى المحافظة على النظام من الانحراف عن أهدافه.

حظيت أحداث العراق أهمية كبيرة فى افتتاحيات الصحف الإيرانية على اختلاف توجهاتها، خاصة فيما يتعلق بالمحادثات التى دارت بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية فى حضور القيادة العراقية، مؤكدة أن إيران تبذل ما فى وسعها من أجل استقرار حكومة ديمقراطية واستقرار الأمن والتنمية فى ربوع العراق، وتعتبر وحدة العراق وأمنه وحكومته الديمقراطية والتصالح بين طوائفه وقومياته فى صالحها وصالح المنطقة كلها. وأن وجودها فى العراق يماثل وجود القوات الأمريكية، ولذلك فإن المفاوض الإيرانى كان مستعدا لهذه المباحثات حيث طرح اقتراحين جديدين، أحدهما يتعلق باستمرار الحوار من خلال لقاء آخر قبل مضى شهر، والثانى يتعلق بإيجاد آلية أمنية ثلاثية من إيران وأمريكا والعراق، وهما اقتراحان قبلتهما الولايات المتحدة، مما يعكس رغبة الولايات المتحدة فى تقليل اللاعبين الأساسيين فى العراق، وقصر الحركة الفعالة عليها بالإضافة إلى الحكومة العراقية وإيران. وقد انتقدت الصحف عرض أمريكا على إيران أن تكف عن دعم الميليشيات المسلحة فى العراق وعدم تمويلها أو تدريبها، وأن تغير من سلوكها، وأن تتعاون بدلا من ذلك مع القوات العراقية وقوات الائتلاف فى مكافحة الإرهاب، وأن تكون تحركاتها فى العراق أكثر إيجابية، باعتبار أن هذا يساعد فى نقل مسألة أمن العراق إلى الحكومة العراقية فى أسرع وقت، مشيرة إلى أن على أمريكا أن تقوم بوضع جدولى زمنى للانسحاب من العراق. وقد أكدت الصحف أن الإيرانيين يدركون أن عمق العلاقات بين إيران والشعب العراقي، خاصة الجماعات المسيطرة النشطة أحد التحديات التى تواجهها الولايات المتحدة الأمريكية فى نشاطها من أجل إقرار نظام ترضاه فى العراق، يحقق لها تواجدا مستمرا يجعل العراق أحد أهم قواعدها فى المنطقة، والتى تساعدها على إقرار نظام شرق أوسطى جديد فى المنطقة، لذلك فإن إيران تعمل على تحقيق رغبة العراقيين فى جلوس إيران على مائدة المفاوضات مع أمريكا، وهو ما يجعل الولايات المتحدة تدرك أنها إذا أرادت أن تحقق أهدافها فى العراق والمنطقة، عليها أن تضع الوجود الإيرانى فى حسبانها، وأن تسمح له بدور يحقق مصالح إيران. وقد اهتمت الصحف بالتفجيرات التى حدثت فى العتبات المقدسة متهمة الولايات المتحدة والقاعدة بتدبيرها، وألقت مسئوليتها على القوات الأمريكية فى العراق.

وقد علقت الصحف الإيرانية فى افتتاحياتها على المناورات الأمريكية الإسرائيلية، مع تزايد الحديث عن هجوم عسكرى أمريكى إسرائيلى على المؤسسات النووية الإيرانية فى أجهزة الإعلام العالمية، فأكدت أن إيران واثقة من أن أى من إسرائيل أو الولايات المتحدة لن تستطيع توجيه هذه الضربة فى الوقت الحاضر، لأسباب كثيرة، ورغم إقرارها بأن الهجوم على المؤسسات الحيوية فى إيران أحد الخيارات المتاحة للولايات المتحدة الأمريكية، إلا أنها تصنفه على أنه خيار أخير لن تسمح لها بالوصول إليه، وتعتبر الحديث عنه نوعا من الحرب النفسية، وإن تبادر للأذهان مقدمات احتلال العراق، فإن إيران لا تعتبر نفسها مثل العراق، وإن سماح القيادة الأمريكية لقواتها بإطلاق النار على العناصر الإيرانية أو اعتقالها، أو تشكيل وحدة مكافحة أمريكية لهذا الغرض، ووضع ملف أمنى لإيران إلى جانب الملف النووي، بل إن الاستراتيجية الجديدة للولايات المتحدة فى العراق كلها، هى بمثابة مشروع لتشديد الضغط على إيران، وليس لحل المشكلة الأمنية العراقية.

أبدت الصحف الإيرانية على اختلاف توجهاتها تعاطفها مع حركة حماس فى ما وصفته بانقلاب الرئيس محمود عباس على الشرعية الفلسطينية، وإقالته حكومة حماس الشرعية وتشكيل حكومة طوارئ غير شرعية، مؤكدة أنه ينفذ تعليمات إسرائيل وأمريكا اللذان سارعا بالاعتراف بهذه الحكومة ودعمها ووقف الحصار عنها، وتشديد الحصار على منظمة حماس وحكومتها فى قطاع غزة الذى تسيطر عليه، كما أكدت الصحف أن السلام المزعوم فى فلسطين يحقق نتائج معكوسة.

تابعت الصحف الإيرانية على اختلاف توجهاتها مباحثات لاريجانى وسولانا حول الملف النووى الإيراني، مشيرة إلى أنها مفيدة وإيجابية، إلا أنها أكدت أن هذه المباحثات سوف تكون الخطوة الأخيرة فى التعامل مع الاتحاد الأوربي، وتقدير دوره ومصالحه مع إيران.

كما أشارت الصحف الإيرانية إلى تفجيرات لبنان، مبدية تعاطف إيران مع شعب لبنان، ومؤكدة أن هذه الأحداث المؤسفة تؤكد قيمة وجود وعمل حزب الله فى لبنان، وطالبت الشعب اللبنانى ألا ينزلق إلى شرك الفتنة ويمنع اشتعال الحرب الأهلية من جديد.

قضية العدد

تداعيات الحوار الإيراني - الأمريكي

أ.د. محمد السعيد عبد المؤمن
أستاذ الدراسات الإيرانية بجامعة عين شمس

كان السؤال المطروح حول لقاء السفير الأمريكي في العراق ريان كروكر وسفير إيران لدى بغداد حسن كاظمي يوم الإثنين ٢٨-٥-٢٠٠٧م بالعاصمة العراقية بغداد هو: هل يمثل هذا اللقاء تحولاً من جانب الولايات المتحدة التي قطعت العلاقات مع إيران عام ١٩٨٠م، وسعت إلى حد كبير لعزل الجمهورية الإسلامية على مدى السنوات الماضية. بل دعا الرئيس الأمريكي جورج بوش في الأسبوع السابق فقط إلى فرض عقوبات أقوى على إيران، بسبب برنامجها النووي الذي تقول واشنطن إنه يستخدم لصنع قنبلة نووية وهو ما تنفيه طهران. وكان الجيش الأمريكي في العراق قد عرض منذ أشهر قليلة نوعًا مدمرًا من القنابل التي تزرع على جانب الطرق وأسلحة أخرى، وقال إن إيران تزود بها الميليشيات الشيعية كي تهاجم الجنود الأمريكيين، وهو ما نفته إيران. كما أعلن الجيش الأمريكي أيضًا أن الميليشيات الشيعية تتلقى تمويلاً وتدريبًا في إيران.

من الواضح أنه رغم أن الولايات المتحدة كانت تخطط لمباحثات مع إيران كما اتضح في مؤتمر شرم الشيخ، من السؤال الذي طرحه المتحدث بلسان وزارة الخارجية الأمريكية، معلقا به على الخروج المفاجئ للسيد متكي وزير خارجية إيران من مأدبة العشاء التي أقيمت في ختام أعمال مؤتمر شرم الشيخ حول العراق، من أية امرأة يخاف الوزير متكي؟ واستمرارا لاستثمار الحادثة استثمارا يساعد الولايات المتحدة على تغيير صورتها المتعنتة تجاه إيران، أكدت وزيرة الخارجية الأمريكية رايس أن أمريكا مازالت راغبة في الحوار مع إيران، وأن الإيرانيين هم الذين يهربون من التعامل معها، وليس العكس، وأن المناورات التي أجرتها أمريكا مع إسرائيل في صحراء النقب مناورات تقليدية مخطط لها منذ عامين، إلا أنه من الواضح أن الولايات المتحدة كانت راغبة في أن تدير مع إيران حوارا على عدة مستويات ومن أنواع أخرى، منها حوار المناورات العسكرية، حيث دفعت بمزيد من قواتها في مياه الخليج وقامت بمناورة استعراضية قبالة السواحل الإيرانية، وكذلك فإن زيارة ديك تشيني نائب الرئيس الأمريكي للمنطقة لاستعداء دولها ضد إيران في نفس الوقت، يشير إلى حوار آخر على مستوى الضغط السياسي. ثم كان تقرير الوكالة الدولية للطاقة النووية الذي يشير إلى عدم تعاون إيران، وجاءت التهديدات والمناورات العسكرية الأمريكية متزامنة مع هذا الأمر كحوار على مستوى الضغط الاقتصادي.

في لقاء بغداد تحدث مندوبا إيران والولايات المتحدة بصراحة على أمل إيجاد أرضية مشتركة للتعاون بين الطرفين، ويعتبر هذا في حد ذاته تطورا إيجابيا في موقف الدولتين، ورغم أن الطرفين ليسا راضيين تماما عن حكومة المالكي في العراق باعتبارها تنحاز إلى جانبين متناقضين، فضلا عن عدم قدرتها على إقرار الأمن في العراق، إلا أنهما قد أكدا على دعمها باعتبارها أفضل الخيارات المتاحة في العراق. وعقب انتهاء المحادثات قال كروكر للصحفيين: سارت المحادثات بشكل إيجابي.. ما نريد أن نلمسه هو تحرك إيراني على الأرض، وصرح بأنه طرح على الجانب الإيراني خلال المحادثات عددًا من بواعث القلق المباشرة والمحددة بشأن مسلكهم في العراق، ومنها دعمهم لميليشيات تقاتل قوات الأمن العراقية وقوات التحالف، والحقيقة هي أن الكثير من المتفجرات والذخائر التي تستخدمها هذه الجماعات تأتي من إيران.. ولم يرد الإيرانيون بشكل مباشر على ذلك، وشددوا مرة أخرى على أن سياستهم تقوم على تأييد الحكومة، وأوضح كروكر أن الطرفين متفقان على عراق مستقر، قائلا: كان هناك تطابق جيد جدًا في كل القضايا مثل دعم عراق مستقر ديمقراطي وفيدرالي يسيطر على أمنه ويعيش بسلام مع جيرانه. وأضاف: جو اللقاء مشابه لمحادثات عمل.. فقد طرحنا - وكذلك الإيرانيون - المبادئ التي توجه السياسة الخاصة لكل من بلدينا تجاه

العراق، وأوضحنا من وجهة نظر أمريكية أن الأمر يتعلق بالأفعال لا بالمبادئ، وعرضت أمام الإيرانيين قلقنا حيال سلوكهم في العراق. أما السفير الإيراني فقال في مؤتمر صحفي: بشكل عام يمكننا القول إن هذه المفاوضات الأولية أثمرت نتائج ايجابية فهي تشكل خطوة أولى بين الطرفين.

لقد ركز ممثل إيران على تعديد رصيد إيران في العراق رغم ماعانته إيران في فترة حكم صدام، حيث ساعدت على انهياره، ودعمت معارضيه من شيعة وسنة وأكراد، ودعمت الخطوات التي اتخذت على أرض العراق لإيجاد حكومة وحدة وطنية ومجلس وطني يضم كافة العناصر الوطنية مما جعل الدور الإيراني في العراق دورا فعالا وضروريا، كما أنه يساعد على حل المشكلات المتعددة في العراق، خاصة مع استمرار المناخ غير الآمن وقتل الأبرياء وتخريب البنية التحتية وعدم وجود بنية دفاعية وأمنية قوية، مع وجود قوات الاحتلال. ولأن إيران لها حدود مع العراق يزيد طولها عن ١٣٠٠ كيلومترا، إضافة إلى وجود مشتركات دينية وتاريخية وثقافية وتأثير متبادل ومصالح مشتركة وآمال وآلام مشتركة، فإنها تعمل ما في وسعها من أجل استقرار حكومة ديمقراطية واستقرار الأمن والتنمية في ربوع العراق، وتعتبر وحدة العراق وأمنه وحكومته الديمقراطية والتصالح بين طوائفه وقومياته في صالحها وصالح المنطقة كلها.

ولاشك أن المفاوض الإيراني كان مستعدا لهذه المباحثات حيث طرح اقتراحين جديدين، أحدهما يتعلق باستمرار الحوار من خلال لقاء آخر قبل مضي شهر، والثاني يتعلق بإيجاد آلية أمنية ثلاثية من إيران والولايات المتحدة والعراق، وهما اقتراحان قبلتهما الولايات المتحدة، مما يعكس رغبة الولايات المتحدة في تقليل اللاعبين الأساسيين في العراق، وقصر الحركة الفعالة عليها بالإضافة إلى الحكومة العراقية وإيران. وقد كان هذا واضحا منذ البداية حيث عرض على إيران لكي تكون أحد اللاعبين الرئيسيين الثلاثة أن تكف عن دعم الميليشيات المسلحة في العراق وعدم تمويلها أو تدريبها، وأن تغير من سلوكها، وأن تتعاون بدلا من ذلك مع القوات العراقية وقوات الائتلاف في مكافحة الإرهاب، وأن تكون تحركاتها في العراق أكثر إيجابية. وسوف يكون هذا مساعدا في نقل مسألة أمن العراق إلى الحكومة العراقية في أسرع وقت، وبالتالي يسمح للولايات المتحدة بوضع جدولي زمني للانسحاب من العراق رغم نفي المفاوض الأمريكي التعرض لهذا الموضوع في المباحثات.

لاشك أن الإيرانيين يدركون أن عمق العلاقات بين إيران والشعب العراقي، خاصة الجماعات المسيطرة النشطة أحد التحديات التي تواجهها الولايات المتحدة الأمريكية في نشاطها من أجل إقرار نظام ترضاه في العراق، يحقق لها تواجدا مستمرا يجعل العراق أحد أهم قواعدها في المنطقة، والتي تساعدها على إقرار نظام شرق أوسطي جديد في المنطقة، لذلك فإن إيران تلعب على وتر رغبة العراقيين في جلوس إيران على مائدة المفاوضات مع الولايات المتحدة، وهو ما يجعل الولايات المتحدة تدرك أنها إذا أرادت أن تحقق أهدافها في العراق والمنطقة، عليها أن تضع الوجود الإيراني في حسبانها، وأن تسمح له بدور يحقق مصالح إيران، ولا يتقاطع مع مصالحها، ومن ثم فإن إيران تسعى لاستثمار أوراق ضغط أخرى لتحقيق هذا الهدف. إن تبادل الزيارات بين الرئيس الإيراني وبين رؤساء دول أمريكا الجنوبية يأتي في إطار محاولة تشكيل جبهة في مواجهة تسلط الغرب والولايات المتحدة، ويأتي التجاوب الأمريكي الجنوبي نتيجة إحساس هذه الدول بأن الولايات المتحدة الأمريكية في ظل رؤيتها السياسية ونظامها المالي والنقدي لا يمثل فائدة حقيقية لدول أمريكا الجنوبية، فضلا عن التبعية السياسية، وإضعاف البنية الوطنية وزيادة الديون الخارجية، لذلك فقد وجدت إيران في عدد من دول أمريكا الجنوبية مثل كوبا ونيكاراجوا وفنزويلا أرضا خصبة لإيجاد جبهة مواجهة مع الولايات المتحدة تجعل الضغط الإيراني يقترب من حدودها، وهي مستعدة لدعم هذه الجبهة إلى أقصى حد، بدليل الموافقة على منح كوبا قرضا ميسرا قيمته ٣٠٠ مليون دولار.

مع تزايد الحديث عن هجوم عسكري أمريكي إسرائيلي على المؤسسات النووية الإيرانية في أجهزة الإعلام العالمية، تبدو إيران واثقة من أن أي من إسرائيل أو الولايات المتحدة لن تستطيع توجيه هذه الضربة في الوقت الحاضر، لأسباب كثيرة، ورغم إقرارها بأن الهجوم على المؤسسات الحيوية في إيران أحد الخيارات المتاحة للولايات المتحدة الأمريكية، إلا أنها تصنفه على أنه خيار أخير لن تسمح لها بالوصول إليه، وتعتبر الحديث عنه نوعا من الحرب النفسية، وإن تبادر للأذهان مقدمات احتلال العراق، فإن إيران لا تعتبر نفسها مثل العراق، وإن سماح القيادة الأمريكية لقواتها بإطلاق النار على العناصر الإيرانية أو اعتقالها، أو تشكيل وحدة مكافحة أمريكية لهذا الغرض، ووضع ملف أمني لإيران إلى جانب الملف النووي، بل إن الاستراتيجية الجديدة للولايات المتحدة في العراق كلها، هي بمثابة مشروع لتشديد الضغط على إيران، وليس لحل المشكلة الأمنية العراقية.

يأتي هذا في إطار زيادة القطع البحرية الأمريكية في مياه الخليج، مع زيادة النشاط الدبلوماسي الأمريكي في المنطقة لاستعداء حكوماتها ضد إيران، ومحاولة تشكيل جبهة من هذه الدول ومنها إسرائيل لهذا الغرض، ومن الواضح أن هذا السيناريو يتزامن مع سيناريو آخر في اتجاه معاكس تفسح له إيران مجالا لا يقاوم من جانب الولايات المتحدة الأمريكية، رغم الخلافات الكبيرة الموجودة بينهما، لأن تحقيق المصالح هو غاية كل منهما.

لكن السؤال الذي ينبغي طرحه هو: ما حجم الآثار الضارة على دول المنطقة من تداعيات الحوار الإيراني الأمريكي؟!

مجلس تنسيق قوى الثورة بين البقاء والرحيل

■ شرق (الشرق) ٢٠٠٧/٦/١٢

تحول الحديث عن إعادة تفعيل مجلس تنسيق قوى الثورة إلى موضوع ساخن بين الناشطين السياسيين من الجناح الأصولي.

لقد رحب بعض الأصوليين بفكرة إعادة إحياء مجلس تنسيق قوى الثورة فى المحافظات الإيرانية فى حين يرى طيف آخر من الأصوليين أنه يمكن الحديث عن انتهاء عمر مجلس التنسيق بمنطلق أنه لا حاجة إلى مواصلة نشاطه، وكان القائم بأعمال السكرتير العام لحزب المؤتلفة الإسلامي قد أعلن عن احتمالية تغيير مجلس تنسيق قوى الثورة، وصرح قائلاً: من الممكن فى هذه المرحلة أن يدخل مجلس التنسيق الانتخابات تحت اسم جديد أو تركيب مختلف وأضاف أسد الله باد متشيان أن أحداً لم يرفض تنشيط مجلس التنسيق قائلاً: إن أعضاء مجلس التنسيق يخططون فيما بينهم للقضايا الحالية كما أنهم يتجمعون ويتكاتفون لدخول الانتخابات ويسعون إلى الوصول إلى قائمة انتخابية موحدة، وما من شك أن هذا الأمر موجود فى كل التيارات والجماعات السياسية لكن نظراً لأن الأصوليين يريدون عادة أن يتحركون ونقد أسس ومبادئ فإنه يلفتون إليهم الأنظار على نحو أكبر وأضاف أن أهم النقاط فى هذا الأمر هو أن شخصيات قانونية رفيعة المستوى ذات نفوذ فى تكوين الرأى العام الإيرانى وشخصيات مفكرة تحليلية قد استطاعت الانتظام داخل مجموعة واحدة.

وأضاف بادامتشيان معبراً عن أن طبيعة مجلس التنسيق تختلف فى كل معركة انتخابية: من الممكن أن يدخل مجلس التنسيق الانتخابات القادمة تحت اسم جديد أو تركيب مختلف.

من ناحية أخرى صرح سكرتير عام الجمعيات الإسلامية للحرفيين ورجال البازار أنه لا حاجة لمجلس تنسيق قوى الثورة الإسلامية لأنه قد أتم بالفعل دوره ونشاطه.

وصرح أحمد كريم اصفهان أن مجلس التنسيق كان له نشاطه فى الماضى وأن السبب وراء اتصال مجلس التنسيق فى طهران ومجالس التنسيق الأخرى فى المحافظات هو التمسك بالأصول والمبادئ الثورية مثل الحاكمية الإلهية وولاية الفقيه ونظام الجمهورية الإسلامية ولذلك فإن مجلس التنسيق قد بقيت قوته كما كانت ولم يكن الأصوليون فى أى وقت من الأوقات بحاجة إلى إحيائه وينبغى عليهم من أجل التوحد والنجاح فى الوصول إلى أهدافهم أن يبذلوا جهوداً كبيرة ونحن حالياً بصدد تدعيم وحدة الأصوليين ولذا ستتزايد أنشطة وفعاليات مجلس تنسيق قوى الثورة الإسلامية.

فى نفس الوقت صرح غلام حسين أمير نائب نقيب المهندسين قائلاً نحن نرحب بإعادة إحياء مجلس التنسيق بالمحافظات ولكن ينبغى إتباع آلية أخرى فيما يتعلق بطهران، ففى الوقت الحالى معظم الجماعات السياسية الأصولية فى المحافظات تتمتع بقدر عالى من الانسجام والتوافق ولديها وحدة تنظيمية.

فى طهران أيضاً تستطيع الجماعات الأصولية أن تحل مشاكلها من خلال إتباع آلية خاصة لأن الرغبة فى الحصول على نصيب من السلطة أحد موانع توحد الأصوليين.

الاتحاد الوطنى فى حاجة إلى خطاب جديد

■ **محمد على مشفق** ■ اعتماد ملى (الثقة الوطنية) ٢٠٠٧/٦/١١

كانت مقولة توحيد الكلمة والوحدة بين الفرق الإسلامية المختلفة مصدر قلق للمصلحين والمفكرين الإسلاميين سنة أو شيعة على طول التاريخ الإسلامي. وإن كانت ضرورة فى ظروف الأزمة ووقت الخطر الذى يهدد الأمة الإسلامية. مما يجعل النظرة لمسألة الوحدة نظرة استراتيجية وتكتيكية.

ولا شك أنه فى صدر الإسلام وخاصة فى عصر النبى (ص) حظى المسلمون بهوية واحدة . فكان سلوكه وسيرته أساسا لسلوك كل المسلمين. فلم يكن هناك أى مجال للفرقة.

وبعيداً عن هذا فإننا نريد أن نبحث فى المصادر والمراجع والعوامل السياسية والتاريخية والثقافية والدينية والعوامل الداخلية لتزيل الافتراق الموجود بين الأمة الإسلامية ليتناسب مع ما كان موجودا فى عهد النبى (الأكرم).

ومما لا شك فيه أن خطاب الثورة الإسلامية كان يحمل فى طياته عناصر الوحدة بين المسلمين. وحتى وقت استقرار النظام. فقد جذبت الثورة الإسلامية قلوب المسلمين وغير المسلمين داخل الدولة وخارجها.

والجميع بعيداً عن القومية والعرقية والدين قد التفوا حول مبادئ الثورة الإسلامية التى وحدتهم وجمعت كلمتهم ضد النظام الشاهنشاهى الظالم. وتشكل بفضل الثورة الإسلامية اتحاد ما فوق القومية والعنصرية لتدمير الخطاب البهلوى الذى استحكم على العنصرية. وظهر للوجود خطاب جديد جمع المسلمين وغير المسلمين، وشمل كل القوميات والعرقيات وهو خطاب الثورة الإسلامية.

ولكن مع تبديل خطاب الثورة الإسلامية ليصبح خطاب النظام وتشكيل حكومة أيدلوجية، وجد تقسيم وتوزيع السلطة صيغة أيدلوجية.

وعلى طول العقود الثلاثة الماضية اتسعت نظرة الآخر والتمييز وخاصة بين التيارات السياسية المختلفة.

وانتشر هذا التمييز داخل الدولة منذ العقد الأول حتى أنه شمل الأوجه الثورية والمنظرين الأوائل للثورة الإسلامية ولنظرية ولاية الفقيه، مع العناصر الغير دينية ومؤيدى النظام السابق وعناصر جهاز السناك. على نحو أنه مع نهاية العقد الثالث للثورة، شكل هذا تمييز آخر الأوجه القوية المضيئة للثورة.

وتشير تجربة الثلاثة عقود الماضية أن الجمهورية الإسلامية لم تستطع أن تكون ذلك الشكل الملائم الذى دعا إليه خطاب الثورة الإسلامية ودعى إليها حضرة الإمام لتخطوا خطوات رئيسية فى الاتحاد القومى والتقريب بين المذاهب الإسلامية.

ولا شك أن المسلمين اليوم يحتاجون إلى العودة إلى عصر النبوة لينهلوا من منبع النبى (ص). ليعودوا من جديد بالوحدة والتوحد لأنه لا طريق دون الاعتماد على سنة البنى الأكرم (ص) والاعتصام بحبل الله. وهو الأمر الذى سيعجل بظهور خطاب جديد يكون قادر على القضاء على التمييز وتغير الخطاب، ويهيئ الظروف للأمة الإسلامية للاستفادة من الظروف المادية والمعنوية وعالمية الإسلام.

ضرورة الهدوء على أعتاب صيف ساخن

■ **عماد بهاور** ■ شرق (الشرق) ٢٠٠٧/٦/١٠

فى المعتاد تبدأ القصة بإصدار هيئة الإشراف على الاتحادات الطلابية قراراً بحل الاتحاد ويعقب هذا الأمر تجمهر عدد من الطلاب فى اعتراض على قرار الجامعة ويبدأ الاعتصام ثم يستدعى مسئولو الجامعة عدداً من الطلاب المعتصمين إلى لجنة الانضباط وحينئذ يتجمع عدد أكبر من الطلاب اعتراضاً على قرارات لجنة الانضباط ويتزايد الاحتمال بحدوث مصادمات وترديد شعارات حادة متشددة ونتيجة لذلك يعتقل عدد آخر من الطلاب بسبب الإخلال بالنظام العام والأمن أو أن يتم تقديمهم إلى المحاكمة وكرد فعل يتجمع عدد أكبر من الطلاب اعتراضاً على سجن أصدقائهم ويضربون عن الطعام

ويصدرون بيانات شديدة اللهجة وفى إطار عملية التصعيد تستدعى لجنة الانضباط عدداً أكبر من الطلاب أو تقدمهم إلى المحكمة وهكذا تنشأ هذه العملية الراديكالية.

السؤال هنا ألم يتوقع هؤلاء الأشخاص الذين كانوا قد أصدروا فى البداية قراراً بحل اتحاد الطلاب هذا المنوال التصاعدى للتفاعلات قبل إصدار قرارهم؟

الثورة الدستورية

القرار الذى صدر فى إيران فى عقد الثمانينات تحت مسمى الثورة الثقافية والذى أدى إلى إغلاق الجامعات كان له مقدمتان أديتا إلى إصداره، الأول هو أن الجامعات كانت قد تحولت إلى ساحة للاشتباكات بين الجامعات السياسية المختلفة وفى مثل هذه الظروف بدأت الثورة الثقافية فى أول الأمر بهدف فتح أجواء هادئة وعلمية داخل الجامعات وانتهت إلى استبعاد بعض الأساتذة والطلاب المعارضين لأسلمة المناهج الجامعية. المقدمة الثانية طبقاً لقول حسن آية هى أن الثورة الثقافية قد بدأت من أسفل بمعنى أن عدد من الطلاب قد بدأوها بالفعل وطالبوا بها بحيث دخل أعضاء الجمعيات الإسلامية إلى الجامعة وكذلك أعضاء مجلس الثورة لحماية أولئك الطلاب.

فى الوقت الحالى يطالب عدد من الطلاب الأصوليين (من اسفل) بثورة ثقافية ثانية ويطرحون الفكرة فى مجتمعاتهم فى المناسبات المختلفة. هذا الأمر يشير إلى أن جماعة (من أعلى) تؤيد هذا التحرك، لكن كما قيل لا يمكن بدء هذا التحرك بدون توفر المقدمة الأولى أى حدوث أزمة واشتباكات داخل الجامعات، لذا فالنتيجة المنطقية ستكون أن عدداً من أعلى سيكونون راضين بحدوث اشتباكات داخل الجامعات ليس هذا فحسب بل إنهم سيهيئون ظروف ملائمة لحدوث ذلك أيضاً.

من خلال دراسة الوقائع التى وقعت خلال العامين الماضيين فى الجامعات لوحظ أن مستوى التعامل مع الأنشطة الطلابية قد تحول إلى شكل غير مألوف، على سبيل المثال فى رد فعل على تجمع محدود حدث كاعتراض على المستوى غير المناسب لجودة الطعام تم استدعاء عدد كبير من الطلاب إلى لجنة الانضباط وصدر قرار ضد البعض بالحرمان من الدراسة وهناك حالات كثيرة من هذه الحالة، وأدنى مخالفة تحدث من المنشورات التى يعدها الطلبة يؤدى إلى إيقافها ولعل تلك المخالفات كانت قد حدثت نتيجة لنقص الخبرة أو ما شابه ذلك ولم يكن من المتعارف عليه فى الماضى اعتقال الطلاب وهو الأمر الذى حدث فى جامعة مازاندران ولم يسمح لعدد آخر بدخول الجامعة وتم اعتقال خمسة عشر طالباً كانوا قد اعتصموا فى ساحتها، هذا النوع فى التعامل مع الطلاب عنيف جداً ويحملهم بأعباء نفسية كبيرة ويترتب على ذلك فى أن ينظر الطالب إلى نفسه على أنه شخص بلا ملجأ عديم القدرة مما يدفعه إلى تصرفات متطرفة راديكالية.

فى مثل هذه الأجواء نقول إن الجامعة قد تحولت بالفعل إلى ساحة للاشتباكات والعنف وينبغى القيام بثورة ثقافية أخرى.

ضرورة الحفاظ على ضبط النفس

مع النظر إلى الظروف سابقة الذكر نقول بأن الحفاظ على الهدوء البعد عن العنف فى هذه المرحلة يمكن أن يكون مؤثراً فى إحباط مخططات الراغبين فى إثارة الطلاب وزيادة التوتر فى الجامعات.

على الرغم من هذا ينبغى الالتفات إلى النقاط التالية:

١-صحيح ما يقوله عباس عبدى من أن انتقادات الإصلاحيين لأداء وقرارات الحكومة التاسعة لم تكن فعالة ليس هذا فحسب وإنما لم تحدث أدنى تأثير فى تغيير سلوك الحكومة وإنما أدت إلى إصرار الحكومة على مواصلة نهجها على نحو أشد.

هذا الحكم يمكن تعميمه على التيارات الطلابية أيضاً فعندما لم تؤدى معظم الاعتصامات الطلابية على مدار العامين الماضيين لأى رد فعل أو نتيجة إيجابية من قبل وزارة العلوم وإنما اتخذت كزريعة لتعامل أكثر مدة مع الطلاب من قبل الدولة لم يفكر الطلاب فى اتخاذ نوع آخر من السلوك فى مواجهة القرارات غير الديمقراطية للحكومة.

لاشك أن تكرار النماذج السلوكية لفترة الإصلاحات فى عهد الحكومة الأصولية هى أمر خاطئ ولربما كان إقامة التجمعات والاعتصامات وأنشطة من هذا القبيل أمر مفيد ويؤدى إلى نتائج إيجابية فى عهد حكومة الإصلاحات. ويمكن أن نشير على سبيل المثال إلى نموذج من عشرات النماذج وهو ما حدث فى اعتصام الستة أيام عام ٢٠٠٢ بجامعة يازد وفى ذلك الاعتصام التقى مساعد وزير العلوم للشئون الثقافية بالطلاب المعتصمين وحضر المدير العام للشئون الثقافية بالوزارة إلى يازد للتباحث مع الطلاب فضلاً عن تباحث مجلس الجامعة والإداريين معهم، هذا النموذج ونماذج أخرى مشرفة توضح أن حكومة الإصلاحات على الرغم من كل نقاط الضعف التى كانت بها كانت تعترف رسمياً بالإضرابات والاعتصامات ولم تكن تصطدم معها "لكن التجربة

قد بينت أن تكرار ذلك النموذج من السلوكيات فى حكومة الأصوليين لم يؤدى إلى نتائج إيجابية ليس هذا فحسب، وإنما سيؤدى إلى الاصطدام بالكيان الطلابى ككل.

كانت أغلب التجمعات التى حدثت اعتراضاً على لجان الانضباط قد أدت إلى جر عدد أكبر من الطلاب إلى تلك اللجنة وبالتالى اعتقال كثير منهم.

٢-لقد تحول القيام بالمظاهرات والاعتصامات الطلابية إلى أمر يومى معتاد لكن الأهم من اعتيادية هذا النوع من النشاط بشكل يومى هو انخفاض تأثير تلك النشاطات على الرأى العام الإيرانى وينبغى تأمل صفة تكراريته.

أهم خصائص السلوك التكرارى هو قابلية توقعه والتنبؤ به، والسلوك التكرارى القابل للتوقع فى المعادلات السياسية من السهل جداً وضع خطة للتعامل معه.

اليوم الجميع يعلم أن أولى خطوات الطلاب بالقيام بمظاهرة اعتراضاً على أمرها هو التجمهر والاعتصام، قبل هذا وفى السنوات الماضية لم يكن سلوك الطلاب على هذا النحو وإنما كانت الاعتراضات الراديكالية آخر خطوة فى برامجه، على هذا النحو كان الطلاب يضعون مجموعة من ردود الأفعال والسلوكيات فى إطار برامجهم المختلفة وكانوا يخصصون الخيار الأخير للتجمع والاعتصام أو الإضراب عن الطعام كنوع من التهديد للسلطة الحاكمة وعلى هذا النحو فإن سلوك الطلاب كان يتأرجح بين سلوك الإصلاحيين والراديكاليين ولذلك لم يكن من الممكن توقع مراحل تطوره لكن اليوم فإن أول خطوة تخطر على أذهان الطلاب هى إقامة تجمعات راديكالية وتسيير المظاهرات وكما قلنا سابقاً أن ذلك الأمر لم يحدث أى تأثير على الدولة أو الرأى العام.

السلوك الطلابى القابل للتوقع أتاح للمحافظين إمكانية توجيه الأنشطة الطلابية لصالح أهدافهم، بمعنى أن توقع رد الفعل الطلابى تجاه أى قرار من الدولة يمكن المحافظين من اختيار رد الفعل المناسب. على سبيل المثال يعلم جميع الإيرانيين أن طلاب جامعات أمير كبير والعلامة الطباطبائى يميلون إلى ممارسة الأنشطة الراديكالية أكثر من غيرهم من الطلاب فى بقية الجامعات وأجواء هاتين الجامعتين أكثر توتر من غيرهم.

السؤال هنا لماذا تم حل الجمعيات الطلابية الإسلامية فى هاتين الجامعتين وتم تصعيد جمعية طلابية مصطنعة ينتمون إلى أنفسهم فحسب؟

أو لم يكن هذا التصرف قد تم التخطيط له بهدف إثارة الطلاب الراديكاليين؟

أو لم يفكر متخذو هذا القرار فى أن إثارة الناشطين الطلابيين بهاتين الجامعتين سيؤدى إلى نقل أجواء التوتر والصراع منهما إلى بقية الجامعات الأخرى وفى النهاية ستتهيأ الأجواء اللازمة لإحداث ثورة ثقافية أخرى.

ربما يعتقد البعض أن هذا التحليل نوع من نظرية المؤامرة لكن الواقع أن عدد من الشواهد على هذا النوع من السلوكيات الغير معهودة وغير العقلانية والخارجة عن القاعدة تزيد من احتمالية صحة التحليل السابق.

٣-يوجد تحليل أخر يقول إن زيادة راديكالية أجواء المجتمع ستؤدى إلى انخفاض النشاطات الإصلاحية وبالتالى انخفاض المشاركة السياسية للشعب فى الانتخابات حتى يحدث شئ شبيه كما حدث فى الدورات الانتخابية السابقة.

الحقيقة أنه مع إخلاء الساحة للطلاب الراديكاليين والمؤيدين لمقاطعة الانتخابات فإن قسماً من الشعب والذى يؤيد بشكل منطقى الإصلاحيين سيبتعد عن المشاركة فى الانتخابات ولن يؤدى هذا إلى شئ سوى نجاح الأصوليين وإخراج الإصلاحيين من الحكومة والمجلس.

إن إعادة إنتاج ظروف وأجواء الانتخابات السابقة التى لم يشترك فيها الجزء الأعظم من الشعب أحد الأهداف الرئيسية للمحافظين لأن نجاحهم فى العمليات الانتخابية مرهون بالظروف التى تضمن مقاطعة قطاع عريض من الشعب الإيرانى للانتخابات.

من ثم يبدأ المحافظون فى إعادة إنتاج ملابسات اليأس والإحباط داخل المجتمع الإيرانى من خلال الجامعات، وإذا كانت أجواء اليأس قد ظهرت فى عهد الإصلاحات بعد أحداث المدينة الجامعية والتعامل العنيف مع الطلاب إذا فالمفترض أن هذا النوع من الملابسات يمكن أن يؤدى إلى نوع من الإحباط لدى الطلاب وظهور حالة من اليأس والفتور فى التعامل مع الحياة السياسية.

على الرغم من أن بعض التحليلات ترى أن زيادة التشدد والعنف سيكون هذه المرة لصالح الإصلاحيين على عكس فترة الإصلاحات وسيؤدى إلى مشاركة أكبر من الشعب فى الانتخابات.

على الرغم من هذا فإن الهدف من طرح الأفكار السابقة القول بأنه لا ينبغى أن تتحول السلوكيات الأساسية للطلاب إلى ذريعة أو وسيلة للسيطرة على الأجواء السياسية لانتخابات مجلس الشورى الإسلامى القادمة.

قرار باعث على التوتر

■ آفتاب (الشمس) ٢٠٠٧/٦/٣

سيطر نهج خاص على أداء المحافظين خلال السنوات القليلة الماضية، لدرجة أن بعضهم أعتبر أن محدداته هى أهم معيار للتعرف على موضوعات من قبيل: الانتقاد، والتخريب، ومواجهة النظام أو مهادنة المؤسسات الحكومية وغيرها من الموضوعات المماثلة. وطبقاً لهذا النهج، بات النقد الموجه لمجلس صيانة الدستور، بمثابة تصدى لقداسة وشرعية هذا المجلس فى حالة رفضه لصلاحيات عدد من الشخصيات الإصلاحية المعروفة، أما إذا شكك عدد من مدعى الأصولية، فى نزاهة تأييد الصلاحية بشأن إصلاحيين من جانب مجلس صيانة الدستور، فإن ذلك ليس مشكلة وإنما هو دفاع خالص عن النظام. كذلك إذا تساءل الإصلاحيون عن أداء قطاع من السلطة القضائية وعن مساعدته لأطراف دولية شنت هجوماً على إيران بسبب بعض عمليات الاعتقال غير المجدية، فإن أصوات بعض المحافظين تتعالى بالقول "لا تضعفوا السلطة القضائية"، فى حين إذا اتهمت بعض الصحف ومواقع الإنترنت الداعمة لمجلس الشورى والحكومة الأصولية أو عدد من هاتين المؤسستين، السلطة القضائية بالتنسيق مع مفسدى الاقتصاد فإن عملهم هذا يعد عين الصواب.

وإذا أرادت وزارة الداخلية فى حكومة خاتمى الاستفادة من فرصتها القانونية من أجل تأييد حكم محافظ منتخب، يكون للصحف الأصولية الحق فى اتهام المسئولين الإصلاحيين بالوقوف فى مواجهة رأى الشعب، وبينما تكرر هذا الموقف مراراً خلال تولى الحكومة الأصولية، إلا أنه قوبل بصمت مطلق من جانب المعترضين بالأمس.

وإذا أنفقت حكومة الإصلاحات جزءاً من الاحتياطى النقدى لاستكمال مشروعات لم تستكمل، يمكن اعتبار ذلك خيانة، فى حين كان أخذ أضعاف هذا المبلغ، من جانب الحكومة الأصولية بعد موافقة مجلس الشورى الأصولى، أمر طبيعى ولم يلقى أى معارضة.

بدون شك توجد أمثلة عديدة ولا تحصى فى هذا الشأن، لكن سبب الخوض فى هذه التفاصيل ما تم مؤخراً عندما اتخذت الحكومة الأصولية قراراً سيؤدى بالقطع إلى توترات بين النشطاء السياسيين وبين وسائل الإعلام. هذا القرار لو اتخذ فى السابق من جانب الحكومة الإصلاحية ومجلس الشورى الإصلاحى فإن أصابع الاتهام من الأصوليين ستشير إلى الإصلاحيين، بوصفهم دعاة التوتر داخل المجتمع الإيرانى. لكن حالياً وبينما أعلن قرار الحكومة التاسعة بإجراء انتخابات مجلس الشورى الثامن فى أسوأ توقيت، فإن هذا القرار لن يلقى أى معارضة من الأصوليين. وقد شهدنا على مدى الأعوام القليلة الماضية أن أكبر تحدى وصراع فى الساحة السياسية بالدولة يتمثل فى مواعيد إجراء الانتخابات خاصة انتخابات مجلس الشورى. والقضية هنا مرتبطة بفترة بحث الصلاحيات وما يعقبها من وقت حى إجراء الانتخابات وإعلان نتائجها. فالتوقيت الجزئى للانتخابات والذى يؤدى إلى تغيير نتيجة الانتخابات، وعدم التعامل مع آراء بعض المرشحين تجاه الرقابة على فرز الأصوات جميعها قضايا لم تقتصر سلبياتها على تيار سياسى بعينه خلال الأعوام الأخيرة.

على سبيل المثال وخلال انتخابات مجلس الشورى الماضية وفى محافظة طهران حيث تولى الأصوليون مهمة إجراء الانتخابات والرقابة عليها شاهدنا اعتراض أحد أبرز الشخصيات الأصولية على عملية فرز الأصوات، وخلال انتخابات المجالس المحلية التى تزامنت مع انتخابات مجلس الشورى سالفة الذكر، كان حجم الاعتراض الأصولى على عمليات الفرز وإعلان النتائج أكبر من حجم الاعتراض الإصلاحى.

ومع التغاضى عن هذه التجربة، يبدو أن تحديد موعد الانتخابات قد جرى على نحو يجمع بين موعد إعلان نتائج فرز الأصوات وموعد الاجازات الرسمية نهاية العام الحالى وبداية العام الجديد فما معنى ذلك؟

فضلاً عن توجيه الاتهام إلى القائمين على العملية الانتخابية، ألا يؤدى ذلك إلى سريان أجواء التوتر داخل الساحة السياسية وبين أوساط الشعب؟

لذلك يمكن القول أن أحداث العام الماضى أثبتت فعلياً أن معظم المسئولين فى الحكومة لا يستفيدون من أخطائهم حتى أن الاعتراضات الموجهة من التيارين الإصلاحى والمحافظ لن تشجعهم على التراجع أو التعديل بشأن قراراتهم.

لكن هذه التجربة لا تعفى قادة الجبهة الأصولية أو المحافظة من المسئولية، فهم مكلفون بإعلان اعتراضهم حتى يغلقوا الطريق أمام أدنى احتمال لضياع حقوق المرشحين أولاً، ثم عليهم ثانياً، الحد من استمرار تلك المهزلة التى من الممكن أن تشعل توترات لا حد لها فى الساحة السياسية بالدولة.

الاكتفاء الذاتى فى تصنيع أنظمة الصواريخ الدفاعية

■ **حوار مع : مسعود أورعى**
رئيس إدارة الحماية والترميم بالحرس الثورى
صبح صادق (الصباح الصادق) ٢٠٠٧/٣/٢٨

يحظى الحرس الثورى فى إيران بدور ومكانة مرموقة على المستويين الرسمى والشعبى، خاصة أن مهامه تتعدى حماية الأمن، إلى المشاركة فى تأسيس وتطوير البنية الأساسية وتقديم خدمات اقتصادية واجتماعية للجماهير، كما أنه يمارس دورا فى صنع القرار السياسى لاسيما إذا كان يتعلق بقضية حيوية تمس الأمن القومى للبلاد. فى هذا السياق، أجرت صحيفة صبح صادق حوارا مع الجنرال مسعود أورعى رئيس إدارة الحماية والترميم بالحرس الثورى، حول طبيعة عمل الإدارة، وإسهامها فى عملية التطوير المستمر فى بنية الحرس الثورى. وفيما يلى نص الحوار:

◆ منذ متى تشكلت إدارة الحماية والترميم وعلى أى أساس كان وجودها ضروريا فى الحرس الثورى؟

– تشكل الحرس الثورى بعد نجاح الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩، وبعدها حدث الهجوم العراقى على الأراضى الإيرانية، وكان الحرس الثورى آنذاك حديث العهد، إذ لم يشارك فى أى حرب من قبل وكل ما يعرفه بعض التدريبات الكلاسيكية وبعض العلوم العسكرية النظرية.

وبناء عليه وبسبب عدم وجود الخبرة، وعدم وجود علوم مدونة، كانت أنشطتهم فى إطار الحماية والترميم. ومحدد بإزالة العيوب من المعدات والأسلحة. ولكن مع طول فترة الحرب، تزايدت معرفتهم بأهمية ضرورة الرعاية والترميم السليم والصحيح للتجهيزات والمعدات الحربية.

وبعد الحرب ومع دخول معدات وتجهيزات جديدة والتى وضعت تبعاً لاحتياجات الحرس الثورى. والتزايد والتنامى العلمى لقدرات العاملين فى هذه المؤسسة، أخذ موضوع صيانة وحماية التجهيزات شكل أعمق فى الحرس الثورى. وعليه فقد تشكلت مجموعة الصيانة والترميم بمعاونة من المهندسين والباحثين فى عام ١٣٦٩ هـ. ش (١٩٩٠).

◆ فى هذه الإدارة ما هى المباحث والأقسام المرتبطة بالبنية التحتية ؟

– فيما يتعلق بالبنية التحتية فإن إدارة الحماية والصيانة عملت على إيجاد بنية تحتية مناسبة لتهيئة الساحة اللازمة للصيانة والترميم فى كل ساحات الجيش، وبذلت مساعى بشأن جذب وتعليم القوى البشرية باعتبارها ركن أساس لأنشطة هذه الإدارة.

◆ فيما يتعلق بإعادة البناء والتعمير للمعدات والتجهيزات ما هى الأنشطة التى تمت فى هذا الشأن؟

– استطاعت إدارة الحماية والترميم من خلال مركز إعادة البناء والتعمير فى كل ساحات الجيش فى القيام بإجراءات مؤثرة من خلال الخبراء المتخصصين لهذه الإدارة. وحققت أهداف عملية مثل تصنيع وتحديث الأنظمة الصاروخية خاصة صواريخ أرض – أرض. لأننا نمتلك قدرات وخبرات علمية كبيرة ولا نعانى أى نقص فيها وهذه إحدى نقاط القوى لقواتنا العسكرية (قوات الحرس الثورى) والحقيقة أن مجموع العوامل المذكورة كان سبباً فى اننا فى قطاعات مثل نظم الدفاع الصاروخى للقوات الجوية التابعة للحرس الثورى قد طلب الخبراء الأجانب من أجل تصميم هذه النظم ما يقرب من ١٥ مليون دولار. فى حين أن مصممى هذه المنظومة من خبرائنا الوطنيين قد طوروها خلال عام واحد وبتكلفة لا تتعدى ثمن المبلغ الذى طلبه الخبراء الأجانب. وحدث نفس الأمر مع القوات البحرية والجوية.

وهذا يمثل إنجاز لهذه الإدارة، أن تكون لدينا خبرات كبيرة تكفينا ذاتياً. ولا تتحكم فينا أى قوى أخرى فى العالم. وعلى النحو السابق ففى الخطة الخمسية الرابعة وبسبب الدفع التام لمراكز التعمير والبناء فى كل الساحات التابعة للجيش فإن قوات الحرس الثورى قد حققت اكتفاء ذاتى فى إعادة بناء وتعمير المعدات والتجهيزات التابعة لها خاصة فى تصنيع أنظمة الدفاع الصاروخية.

◆ وما هى المجالات الأخرى التى حققتم فيها اكتفاء ذاتى؟

– فى بحث معدات وتجهيزات الحرب ليست لدينا محددات فيها بل إننا نسعى فى كل الموضوعات.

أما بالنسبة لنظم الدفاع الصاروخية فقد حققنا

فيها اكتفاء ذاتى كامل، وفى القوات البحرية فلدينا مراكز داخلية. ونعمل على تحقيق هذا الاكتفاء الذاتى.
وفى الواقع ومن مجموع أنشطة هذه الإدارة فإنه يمكننا القول أننا لن يكون لدينا اتصال خاص بالخارج بشأن إعادة بناء وتعمير التجهيزات العسكرية.
ويمكننا القول أننا فى مجال قدرات إعادة البناء والتصنيع قد حققنا نسبة نجاح من ٨٥ إلى ٩٠٪، وفى قسم قطع الغيار حققنا نجاح بنسبة ٧٠٪.

◆ هل هناك أوجه تعاون مع الأفرع الأخرى للقوات المسلحة؟
- فى هذا الخصوص لدينا تعاون قوى مع سائر القوات المسلحة وعلى سبيل المثال أننا فى شركة الخدمات الجوية (بارس) المسئولة عن تصنيع نظم طائرات الجيش قد قدمنا خدمات كبيرة فى مجال ترميم الطائرات البرية الثقيلة مثل طائرات يوشين، وبالطبع هذا التعاون متبادل.

معوقات تشكيل الدولة الحديثة والتنمية الاقتصادية فى إيران

■ إيران ٢٠٠٧/٦/١٥

مع انتصار الجمهورية الإسلامية بدأ فصل جديد فى تطور وتغير هيكل السلطة فى الدولة الإيرانية كما دخلت تجربة إقامة الدولة الحديثة والتنمية الاقتصادية مرحلة جديدة فى إيران واجهت فيها العديد من التحديات والعقبات خاصة فيما يتعلق بعملية - أو بمجالات- فصل المؤسسة الدينية عن الدولة أى مؤسسة الحكومة أو الحكم، مركزية أو تمركز السلطة، التدخل الحكومى فى الدوائر الخاصة للأفراد، السيطرة الاقتصادية للحكومة على المجتمع، السقوط المدوى لمستويات الاستثمار وتوجيه الاقتصاد والصراعات أو التحديات الدولية.
من أهم السمات الشاخصة والبارزة للدولة المدنية الحديثة بعد الثورة فصل المؤسسة الحكومية- الحكومة- عن المؤسسة الدينية وفصل السياسة عن الأخلاق وهو ما أسفر عن تحول فى "مصدر" قانونية ومشروعية مؤسسة الدولة- الحكومة- لتنتقل من السماء والقوى الإلهية إلى الأرض والقوة الشعبية.
فى الدول المدنية الحديثة تنبع مشروعية المؤسسة الحكومية من "الإرادة الشعبية" وليس من "القوة الإلهية" وينظر إلى الدولة بوصفها تجسيد ومظهر لمطالب الشعب.
هذا ليس معناه أنه لزام على الدول الحديثة أن تكون دائماً مظهراً مبيناً لتجلى إرادة شعوبها، بل معناه أن الدولة الحديثة ملزمة بالعمل فى إطار تنبع فيه مشروعية مؤسسة الدولة من "إرادة الشعب".
السمة البارزة الأخرى للدولة الحديثة هى العلاقة المتبادلة بين المؤسسات الحكومية والمجتمع المدنى فوجود هذه العلاقات والروابط يعطى لمؤسسة الدولة إمكانية إدارة وقيادة وتوجيه المجتمع بالشكل المطلوب والملائم ويسمح فى الوقت نفسه للمجتمع المدنى أن يكون قادراً على مراقبة ومتابعة مؤسسة الحكومة بشكل مؤثر وفعال وذلك فى إطار كامل من الديمقراطية فى الدولة الحديثة، الحكومة لا تجلس على قمة المجتمع بشكل "فوقى" وليس لها عليه أى سيطرة اقتصادية وسياسية لكن بينها وبين المجتمع المدنى علاقة وارتباط متبادلين.
بناءاً على العلاقات التبادلية السابقة وكذلك الملاحظات المذكورة عالياً فإن هيكل السلطة فى الجمهورية الإسلامية بما أصابه من دمج رسمى وكامل للمؤسسات الدينية والحكومية، التوسع الكبير لسلطات الدولة على الدائرة الفردية الخصوصية، إيجاد السيطرة الاقتصادية للحكومة على المجتمع قد صار يعانى من عقبات كبيرة تمنع تكوين الدولة المدنية الحديثة وكذلك التنمية الاقتصادية. ففى الجمهورية الإسلامية لازالت تجربة الدولة -الحكومة- المطلقة، لازالت قائمة وبقوة مع اختلاف مفاده أنه فى الجمهورية الإسلامية، التى يعد "الله" فيها هو مصدر القانون، تعمل الحكومة المطلقة من أجل أسلمة المجتمع.
إن تدخل الدولة فى الدوائر الفردية الخاصة قد اتسع كثيراً، كما اتسعت وتعمقت أكثر وأكثر السيطرة الاقتصادية والسياسية لمؤسسة الدولة على المجتمع، والأكثر من هذا أن النظرة أو الرؤية الثقافية

والأيديولوجية للجمهورية الإسلامية قد أسفرت عن - على المستوى الداخلي- إنزواء واغتراب "الطبقة المودرن- الحديثة" فى الدولة وعلى المستوى الخارجي أدت تلك الممارسات إلى انزواء وعزلة الدولة فى المجالين الاقتصادى والسياسى العالميين. مجموعة هذه العناصر أسفرت عن جعل التنمية الاقتصادية والسياسية فى إيران أكثر صعوبة بشكل حال ويحول دون تكوين الدولة الحديثة وكذلك دون حدوث التنمية الاقتصادية والسياسية للدولة.

قبل قيام الجمهورية الإسلامية كانت العلاقة- أو الصلة الرابطة- بين المؤسسة الدينية والمؤسسة الحكومية أى الدولة قائمة على نمط من التعاون المحكم، ولم تحصل المؤسسة الدينية فى أى وقت قط على تفوق ما أو سلطة ما يمكنها من الإدعاء بتفوقها على الدولة أو المؤسسة الحكومية.

الحقيقة أنه حتى بعد قيام الجمهورية الإسلامية فإن الحكومة فى إيران كانت تتصف- أو تتمتع- بخصلتين أو سمتين وبعبارة أكثر دقة كان تتصف بخصلة ذات صفة مزدوجة.

فهى من ناحية كانت تعتبر أن المذهب الشيعى هو المذهب الرسمى للبلاد. كان ذلك مجرد اعتراف ومن ثم كانت تقوم بتهميشه واستبعاد دوره أو أن تقوم- فى أحسن الأحوال- بعمل تعاون مشروط معه من أجل استقرار الأمن وحفظ الدين وحمايته. هذه الثنائية بدورها كانت واحدة من الموانع القوية التى حالت دون تأسيس وإقامة وتنمية الدولة المدنية فى إيران. الجمهورية الإسلامية من جانبها قامت بإزالة هذه الثنائية أو الازدواجية. لكن الطريقة التى استخدمتها فى إتمام هذا العمل والمتمثلة فى دمج المؤسسات الدينية والحكومة معاً بدلاً من أن تقضى تماماً على إزالة مصدر خطير من مصادر عدم تنمية الدولة الحديثة، أسفرت عملياً عن إقامة وتشييد حوائط أكثر ارتفاعاً.

فى الجمهورية الإسلامية الحكومة هى رمز ومظهر المشروعية الإسلامية بمعنى أن الولاية السياسية تنبع من الولى الفقيه وأن المنافسة السياسية بين الأجنحة الوفية للحكومة التى هى من أجل كسب الإشراف الحكومى محدودة فقط فى إطار تنفيذ القوانين ومن أجل تنفيذ أفضل وأنجح لأحكام "الإسلام" وأوامر وتعليمات الولى الفقيه.

بعبارة أخرى فى الجمهورية الإسلامية تقع مؤسسة الجمهورية (أى رئاسة الدولة الحقيقية) تحت سيطرة مؤسسة ولاية الفقيه. فى العصر البهلوى ثم استبعاد وتهميش المؤسسة المذهبية بواسطة "المؤسسة الملكية" وذلك عن طريق "التحديث الأبوى الفوقى" القادم من أجهزة الدولة الملكية كما تم عزل واستبعاد المجتمع من ساحة السلطة السياسية.

ما حدث بعد الثورة الإسلامية أن المؤسسة الدينية مع إخراجها ماكينة الحكومة من قبضة السلطة أو المؤسسة السلطانية - الملكية وكذلك الحال بالنسبة لأتباعها، ثم قامت بحصر السلطة السياسية فيها وحدها. لقد قامت المؤسسة الدينية باستبعاد "المؤسسة الملكية" من الساحة السياسية وبدلاً من ذلك صارت المؤسسة الجمهورية تابعة بدورها للمؤسسة الدينية على نحو لم يكن موجوداً قبل ذلك فلم تعد مثل المؤسسة الملكية قادرة على الاستمرار ولم تعد أيضاً مستقلة مثل الجمهوريات العلمانية من التبعية المطلقة للمؤسسة الدينية بحيث يكون بمقدورها استعادة القدرة والسلطة من جديد بما يهدد المؤسسة الدينية. الواقع يقول إن الجمهورية الإسلامية فى إيران ليست جمهورية بالمفهوم السائد أو الصحيح ولكنها تعنى مؤسسة ولاية الفقيه. بعبارة أكثر دقة وتحديداً صارت الجمهورية مصطلحاً مرادفاً لـ مؤسسة ولاية الفقيه التى حلت محل المؤسسة الملكية ولكن مع فارق كبير هو أن مؤسسة ولاية الفقيه تتمتع بمراتب أعلى وأكبر بكثير من حيث السلطة مقارنة بما كان قائماً للمؤسسة الملكية.

فى دستور الجمهورية الإسلامية تعتبر مؤسسة الجمهورية هى المؤسسة الشعبية الأولى أو لنقل هى مؤسسة الحاكمية الشعبية الأولى. لكن عند وضع مؤسسة الجمهورية إلى جوار مؤسسة ولاية الفقيه، التى تتمتع بماهية كلاسيكية، نجد أن طبيعة خاصة أو ماهية خاصة قد رسمت ووضعت بخصوص مؤسسة الجمهورية بما يجعلها متمايزة ومختلفة تماماً عن نظائرها فى الهيكل الحديث للسلطة.

مجلس الشورى الإسلامي الذى يعد ثانى مؤسسة مجسدة للحاكمية الشعبية فى الجمهورية الإسلامية، هذا المجلس صار هو الآخر أسيراً لمصير مشابه لمصير رئاسة الجمهورية. قبل ذلك واستناداً للمادة الثانية من الدستور الملكى الإيرانى الذى وضع فى عام ١٩٠٥ فإن رقابة المؤسسة الدينية على المجلس والدستور كانت متمثلة فى رقابة خمس فقهاء جامعى الشرائط مع ضرورة أن يكونوا أعضاءاً فى المجلس نفسه. بعبارة أخرى كان الاجتهاد آنذاك يقوم على أساس ألا تكون رقابة المؤسسة الدينية على المجلس مناقضة ومخالفة لمبدأ الحاكمية الشعبية. فى عصر الجمهورية الإسلامية زادت رقابة المؤسسة الدينية على المجلس وعملياً صار المجلس خاضعاً لسيطرة المؤسسة الدينية.

ففى إطار دستور الجمهورية الإسلامية فإن السلطات والاختصاصات التشريعية الصادرة عن

المجلس يتم التصديق عليها من جانب مجلس صيانة الدستور وبشكل مباشر بصفته ممثلاً للسلطة الدينية وباعتبار أن أعضائه يتم اختيارهم بشكل مباشر بواسطة المرشد وذلك فى إطار قانون الشرع. الأكثر من هذا أن القول بصلاحية المرشحين لخوض انتخابات المجلس من مسئولية مجلس صيانة الدستور. من هنا فإنه فى الجمهورية الإسلامية تعد مؤسسة الحاكمية الشعبية (رئاسة الجمهورية، مجلس الشورى الإسلامي) فقد فقدت استقلالها الكامل وأسيرة لغيرها من المؤسسات أو السلطات، وهو ما جعل من ماهيتها وطبيعتها أمراً مغايراً تماماً لما هو قائم فى نظيراتها فى النظم السياسية الأخرى. بشكل عام يمكن القول أن مفهوم "الأمة" الذى هو "المفهوم المؤسس" للدولة الحديثة غير مطروح بالمرة، بل صار المفهوم المؤسس هو الجمهورية الإسلامية على النحو المرتبط بالمفاهيم والأسس والمفاهيم الكلاسيكية الأخرى.

كما سبق القول فإن واحدة من أهم الشخصيات الرئيسية للدولة الحديثة هى العلاقات المتبادلة بين المؤسسات الحكومية وبين المجتمع المدنى. هذا الأمر يعنى من الناحية الاقتصادية أن الحكومة لا يجب أن تجلس على رقبة المجتمع وألا تسيطر على شئونه الاقتصادية ولكن يعنى أن ثمة علاقة تبادلية ما ومسئولية مشتركة تجاه بعضهم البعض. من هنا ومن هذه الزاوية يمكننا القول بأن التطورات الاقتصادية التى أصابت الهيكل الاقتصادى الإيرانى بعد الثورة الإسلامية تعكس أو تكشف عن تحرك معكوس يتنافى ومقتضيات ومتطلبات الدولة الحديثة وأنها قد ابتعدت - أى إيران- عهد نموذج الدولة الحديثة.

فمع بداية الجمهورية الإسلامية أصبح جزء رئيسي وكبير من اقتصاد الدولة تحت ملكية الحكومة وتحت سيطرة المؤسسات الحكومية لدرجة أنه فى عام ٢٠٠٢ بلغت حصة الشركات والمؤسسات الحكومية من إجمالى ميزانية الدولة حوالى ٦٦٪. ومن ناحية القوى البشرية العاملة فإن عدد موظفى الحكومة فى سنوات حكم الجمهورية الإسلامية قد تضاعف أربع مرات وأكثر وهو ما يعنى أن نسبة الزيادة فى الموظفين الحكوميين قد زادت ثلاث مرات النسبة التى شهدتها الزيادة السكانية.

الأكثر من هذا أن مجموعة من السياسات والقوانين غير المدروسة قد أصابت الهيكل التشريعي- القانونى للدولة بالاضطراب الشديد لدرجة أن الهيكل القانونى- التشريعى للدولة فى مجالات اقتصادية مهمة مثل قوانين السوق وسوق العمل، الاستثمار، خاصة الاستثمار الأجنبى، السيطرة على الاحتكارات وتنظيم المنافسة قد صارت معرقلة لأية إنجازات أكثر من كونها سبباً لإحداث التنمية الاقتصادية المطلوبة.

اقتصادياً تعتلى الآن مؤسسة الحكم- الحكومة- قمة الاقتصاد والمجتمع المدنى ولها تدخل كبير فى الشئون الاقتصادية كما شوهت نظام الحوافز الاقتصادية بشكل شديد وهو ما صار سبباً لانتشار الفساد والرشوة وانخفاض القدرات الإنتاجية. بلا شك لقد أسفر التغيير فى الهيكل الاقتصادى عن ضعف شديد فى الأداء فصار الأداء الاقتصادى منخفضاً أو ضعيفاً وازدادت حالات الهبوط، وظهرت العجوزات فى الموازنة العامة للدولة وازدادت الأزمات الاقتصادية وارتفعت تكاليف الإنتاج وازداد التضخم واشتدت أزمة البطالة وانتشر الفساد الإدارى بشكل سرطانى واستفحلت الرشوة.

بشكل عام يمكننا القول بأن تجربة الحكومة المطلقة لازالت قائمة بطريقة مختلفة فى ظل الجمهورية الإسلامية مع اختلاف مهم أن وجهتها تسير باتجاه العودة إلى الأنماط القديمة للحكومة المطلقة أى للسلطة.

فى مقارنة مع هيكل السلطة فى العصر البهلوى يمكننا ذكر النقاط المهمة التالية:

أولاً.. فى العصر البهلوى كانت الحكومة المطلقة تتمتع بماهية علمانية بشكل أساسى. لكن فى عصر الجمهورية الإسلامية فإن السلطة - فى التحليل النهائى- تنبع هى والقانون من عند "الله" وهى مودعة إلى ممثل الخالق، أى المؤسسة الدينية وتحديداً الولى الفقيه.

ثانياً.. فى العصر البهلوى كانت الحكومة المطلقة تعمل تحت إمرة وفى خدمة التحديث الأبوى- الفوقى أى الذى مصدره الملك لكن الحكومة المطلقة فى عصر الجمهورية الإسلامية تعمل من أجل تحقيق "أسلمة" المجتمع.

ثالثاً.. النظام السياسى البهلوى كان يعتبر أن الغرب حامي ومؤيد لأهدافه السياسية وفى هذا الإطار كان قد يعمد إلى تقديم نفسه والتعريف بهويته السياسية، ولهذا فإنه انتهج سياسة خارجية تتفق مع أهدافه الرامية إلى جذب دعم الدولة الغربية والكتلة الشرقية بشكل لائق من جهة واستخدام هذا الدعم من أجل الاستمرار فى تحقيق برامجه الاقتصادية فى الدولة الإيرانية من جهة أخرى. لكن الجمهورية الإسلامية بنت هويتها السياسية على أساس مقاومة الغرب ومواجهته ولهذا فهى تعتبر أن رؤيتها للعالم ولماهية أهدافها تختلف كلية مع مصالح العالم الغربى. ولهذا السبب نفسه تبدو تجربة الحكومة المطلقة فى عصر الجمهورية الإسلامية مصحوبة دائماً وبشكل منتظم بالأزمات الدولية ولازالت هكذا. هذا الأمر أسفر عن خلق مشكلات صعبة ومتجذرة كبرى باتجاه التنمية الاقتصادية- السياسية.

رابعاً.. فى العصر البهلوى باستثناء مرحلة- دورة - من فترة حكم رضا شاه والتى تم خلالها تنفيذ برامج وخطط بشكل جبرى وفوقى مثل كشف الحجاب وخلعه، فإنه -وبشكل عام- يمكن القول بأن تدخل الحكومة فى الشئون الخاصة لأفراد الشعب كان محدوداً بشكل نسبى.

لكن فى عصر الجمهورية الإسلامية اختلطت وتداخلت الحدود بين الدوائر الخاصة للأفراد وبين الدوائر العامة للشعب أو الدولة ككل، حيث لازالت مؤسسة الدولة تتدخل بشكل واسع ودورى ومنتظم فى الشئون الخاصة للأفراد بهدف أسلمة المجتمع.

خامساً.. فى العصر البهلوى أسفرت مسيرة التحديث المتعجلة والمتسرعة عن تهميش واستبعاد الطبقات والفئات الاجتماعية التقليدية، لقد أسفرت عملية التحديث تلك عن تعميق الهوة بين تلك الطبقات وبين الحكومة ولهذا تزلزلت الأسس والمرتكزات الاجتماعية للحكومة.

من ناحية أخرى فإنه فى عصر الجمهورية الإسلامية فإن مسيرة أسلمة المجتمع، التدخل الواسع للحكومة فى الدوائر الشخصية للأفراد، المواجهة الدائمة للحكومة مع العالم غير الإسلامي، قد جعلت من الطبقات والفئات الحديثة المتمدنة، والتى تعد هى موتور التنمية الاقتصادية والسياسية للمجتمع، جعلتها تشعر بالغربة والاغتراب عن الحكومة ومن هنا فقط تحول هذا الأمر إلى عامل رئيسى من العوامل التى صعبت تحقيق تنمية اقتصادية وسياسية للدولة.

عملياً وجدت الجمهورية الإسلامية نفسها مضطرة إلى القبول بجزء من مفاهيم الدولة الحديثة. لكن مجموعة العوامل والأسباب والمحددات سالفة الذكر صارت سبباً لجعل هيكل السلطة فى الجمهورية الإسلامية بشكل مائلاً أمام تكوين الدولة الحديثة والتنمية الاقتصادية والسياسية للدولة.

الشئ المؤكد والثابت أن وجود وانقسامات حادة لا تقبل المعالجة فى المجتمع من شأنه أن يؤدى إلى الحيلولة دون تشكيل الإطار الاجتماعى اللازم للتضامن، المشاركة، المنافسة السياسية وأخيراً تكوين "الهوية القومية الواحدة" لأمة أو لمجتمع ما. من جانب ومعوق هام أمام تحقيق تنمية اقتصادية وسياسية لهذا المجتمع أو لتلك الأمة.

هذا الأمر يمكن أن ينتج عن الانقسامات أو الفجوات الطبقية، القومية، الثقافية أو المدينية.

بالنسبة لإيران فإن الانقسامات الطبقية لم تنتقل بعد من "الهيكل" إلى "الإدراك" المجتمعى كما لم تتحول المنافسات والخلفيات والثقافات السياسية والاجتماعية إلى مصدر لأضرار غير قابلة للعلاج. كذلك الانقسامات القومية لم تلعب حتى الآن دوراً فاعلاً فى مسيرة التطورات الإيرانية على الرغم من طرحها كقضية ولو فى إطار نظرى بل العكس هو القائم.. حيث تبدو الانقسامات المدينية واحدة من المشكلات المحورية للمجتمع الإيرانى.

إيران دولة مكونة من مزيج وخليط حضارى قوامه ثلاث حضارات كبيرة هى: الثقافة والحضارة الإيرانية القديمة، الثقافة والحضارة الإسلامية والثقافة والحضارة الغربية الحديثة.

خلال القرن الماضى تبلورت اختلافات فكرية وسياسية رئيسية حول "الانقسامات التمدنية" بين هذه "المدنيات" أو "الحضارات" الثلاث. كما لعب الانقسام بين الحضارة والثقافة الإسلامية وبين الحضارة والثقافة الحديثة دوراً مهماً فى سير التطورات الإيرانية السياسية خلال القرن الأخير.

كذلك لازال الانقسام بين الحضارة والثقافة الإيرانية القديمة وبين الحضارة والثقافة الإسلامية لازال يشكل سبباً مهماً فى التفرقة والصراعات السياسية.

تفيد تجربة المائة سنة الأخيرة أن المجتمع الإيرانى هو مجتمع أسير الفجوات الاجتماعية، وأنه لم يتمكن بعد من تحقيق التعادل والتوازن المطلوب بين هذه الأنماط الحضارية الثلاث السابق ذكرها.

لقد اجتهدت وسعت الثورة الدستورية إلى تهيئة المجال والمناخ اللازمين من أجل تحديث المجتمع الإيرانى عن طريق التجديد فى قراءة "الطريق الإسلامي" كوسيلة لتحقيق التحديث المطلوب. لكن هذه الحركة منيت بالهزيمة والفشل فى نهاية الطريق نتيجة المقاومة والعقبات التى أوجدتها القوى الإسلامية المحافظة والتقليدية.

ثم بعد ذلك سعت الإمبراطورية البهلوية أو الملكية البهلوية- كنظام حكم ملكى- سعت إلى تحقيق التحديث المنشود والمأمول من خلال تهميش الطبقات الإسلامية المحافظة والتقليدية ومن خلال الاتحاد الاستراتيجى مع الغرب وفى هذا يذكر أنها قد نجحت فى تحقيق إنجازات ما على الصعيدين الاقتصادى والاجتماعى. لكن ما حدث من تحديث عجول وفوقى وسلطوى القائم على أن ذلك التحديث إن هو فى الأساسى إلا رغبة فوقية مصدرها "الملك" وما صاحب ذلك من عدم الاهتمام بأهمية المشاركة والحرية السياسية قد أسفر عن شعور بغربة واغتراب اجتماعى من جانب الطبقات الاجتماعية التقليدية المحافظة من جهة وبداية ظهور انفصال ما بين مؤسسات الدولة وبين الشعب- هذا الأمر زلزل الأسس المرتكزات التى تقوم وتستند عليها الحكومة ثم سقوطها فى النهاية.

فى الجمهورية الإسلامية شاهدنا حصول القوى

الكلاسيكية على السلطة وشاهدنا عودة إلى الهيكل القديم للسلطة والنتيجة أننا صرنا بصدد غربة أخرى جديدة اجتماعية وسياسية وثقافية "للطبقة المتمدنة الحديثة" وهو ما أصاب التنمية الاقتصادية والسياسية الإيرانية المعاصرة بعقبات ومعوقات شديدة وفى حالة استمرارها فى المستقبل فإن ذلك من شأنه إدخال إيران فى "مواجهة مهلكة" مع العالم الغربى.

المؤكد أن الأمن القومى والتنمية الاقتصادية والسياسية الإيرانية ستوجبان ويحتاجان إلى إنهاء هذا التناوب الباطل لعملية التهميش وللشعور بالاغتراب الاجتماعى والسياسى الذى تعيشه إيران منذ قرن كما يستوجبان ويحتاجان أيضاً إلى تحقيق التوازن المطلوب بين العناصر الثلاثة المكونة للحضارة الإيرانية ويحتاجان كذلك إلى تشكيل نوع من التضامن القوى وهو الأمر الذى من شأنه تسيير السبيل أمام تكوين الدولة الحديثة والتنمية الاقتصادية فى إيران.

إيران وحقوق الإنسان

■ د. محمد مهدى إسماعيلى ■ فصلنامه مطالعات استراتزاى
(دورية الدراسات الاستراتيجية) العدد الخامس، مايو ٢٠٠٧

توضح السياسات الخارجية الإيرانية وطبيعة تفاعلها مع محيط العلاقات الدولية والمشكلات الكبرى لإيران مع العالم الغربى وبخاصة القوى العظمى، أنه منذ نجاح واستقرار نظام الجمهورية الإسلامية بإيران توجد ثلاثة مشكلات تتصاعد بشكل متناوب على الصعيد الدولى وهى:

١- الطاقة النووية.

٢- الإرهاب

٣- حقوق الإنسان

فى المقابل اجتهدت حكومة الجمهورية الإسلامية أيضاً فى إدارة سياستها الخارجية فى هذه المجالات من خلال الأخذ فى الاعتبار الواقع والفرص المتاحة والظروف الداخلية والدولية،أحياناً تصل الأمور إلى حد الأزمة الشديدة وأحياناً ينحسر الأمر فى حد النزاعات الكلامية فقط.

لكن المهم اليوم هو أن الجمهورية الإسلامية أدركت ضرورة وضع مقرر اللجنة الثقافية- الاجتماعية بمركز الدراسات الاستراتيجية برئاسة الجمهورية الإيرانية سياسات لإدارة هذه القضايا الثلاثة، والذى اجتهد فى الاستفادة من الفرص والظروف المتاحة بهدف إعلاء مصالح الدولة.

ما من شك فى أن جميع هذه السياسات والتحركات تتعرض دائماً لنقد شديد. لكن فى الوقت الحالى أهم التحديات أو الاحتياجات، معرفة الفرص أو الإمكانات التى يمكن أن تساعد على إدارة ووضع سياسات الدولة حتى تتخذ قرارات أكثر عقلانية وأكثر استناداً إلى الواقع.

وهذه المقالة تتناول موضوع حقوق الإنسان من ناحية المشكلات التى طرحت بشكل دائم لدى بحث علاقات إيران بالولايات المتحدة وأوروبا، وأثرت فى جميع القضايا الاجتماعية والاقتصادية والتقنية.

سعت الدول الغربية أن تمارس ضغوطاً شديدة على إيران من خلال تنسيق استراتيجاتها وسياساتها الإعلامية فى هذا الشأن، وقد أوضحت التجربة أن تناول قضية حقوق الإنسان ينبغى أن تقترن فيه الدقة مع الدبلوماسية النشطة والتفاعل المكثف مع العناصر المؤثرة على مؤسسات المجتمع المدنى ووسائل الإعلام، مما يتيح تحويل الذرائع الواهية والتهديدات المحتملة إلى فرص وذلك ضمن الدفاع عن المصالح القومية الإيرانية، فى هذا الإطار تسعى هذه المقالة من خلال إعادة قراءة لقضية حقوق الإنسان ضمن تحديد الفرص والتهديدات إلى تقديم آليات واستراتيجيات عملية.

أ - نظرة تاريخية

لقد واجهت الجمهورية الإسلامية فى هذا الموضوع المؤسسات الدولية وبخاصة لجنة حقوق الإنسان وهى لجنة من الهيئات الرئيسية بمنظمة الأمم المتحدة تختص ببحث القضايا المتعلقة بحقوق الإنسان وتتبع المجلس الاقتصادى الاجتماعى بالمنظمة.

هذه اللجنة تتكون من ٥٣ دولة تنتخب كأعضاء باللجنة وفقاً للتوزيعات الجغرافية من خلال المجلس الاقتصادى الاجتماعى وتكون مدة العضوية ثلاث سنوات.

تعامل هذه اللجنة مع إيران أوصل للأسماع صيحات انتهاك إيران لحقوق الإنسان وبخاصة ما يتعلق بالأقليات الدينية منذ السنوات الأولى لقيام نظام الجمهورية الإسلامية، كانت أول مرة تطرح فيها قضية إيران وانتهاك حقوق الإنسان فى عام ١٩٧٩م فى اللجنة الدولية للتصدى للتفرقة العنصرية والارتقاء بحقوق الإنسان، هذه اللجنة تغير اسمها إلى اللجنة الخاصة بالارتقاء ودعم حقوق الإنسان وذلك بموجب القرار الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٧٩م.

فى القرار الذى أصدرته هذه اللجنة تم الإعراب عن القلق بشأن وضع إحدى الفرق الدينية داخل إيران وهى البهائية، وطرحت اللجنة المذكورة الموضوع بشكل أكثر جدية وتركيزاً فى عام ١٩٨٢، ١٩٨٤م وطلبت من سكرتير عام الأمم المتحدة إرسال مبعوث والاتصال مع الحكومة الإيرانية لاستيضاح الأمر.

كما طلب من لجنة حقوق الإنسان أيضاً وضع حقوق الإنسان بإيران تحت رقابة خاصة بمقتضى القرار الصادر، وتعيين ممثل لبحث هذا الشأن. صدر قرار ضد إيران لأول مرة فى عام ١٩٨٥م ضمن فعاليات الجلسة الأربعين للجنة حقوق الإنسان، ونص القرار على إرسال مبعوث خاص لبحث أوضاع حقوق الإنسان فى إيران، وجاء فى البند الرابع من القرار المذكور: يطلب من رئيس اللجنة بعد إجراء المشاورات اللازمة تعيين مبعوث خاص تكون مهمته إقامة علاقات مع حكومة الجمهورية الإسلامية وإجراء دراسة وافية لأوضاع حقوق الإنسان فيها، على أساس هذه الدراسة والمعلومات المتحصلة ومن بينها التوضيحات المقدمة من قبل الحكومة الإيرانية توضع اقتراحات مناسبة وتقدم إلى اللجنة فى جلستها الحادية والأربعين.

منذ ذلك العام حتى الجلسة الثامنة والخمسين يقدم تقرير المبعوث الخاص إلى اللجنة فى كل عام، واللجنة بدورها تصدر قرارا، وفى نهاية الجلسة تأكد على مواصلة مراقبة أوضاع حقوق الإنسان فى إيران وتمديد مهمة مبعوثها الخاص.

طرح أول القرارات من هذا النوع فى الجلسة الأربعين للجنة وتم التصديق عليه بموافقة ٢١ صوتاً ومعارضة ٦ أصوات وامتناع ٥ أصوات، ولم تتغير النسبة كثيراً بين الأصوات المعترضة والمؤيدة داخل اللجنة على مدار الأعوام التالية.

لكن منذ عام ١٩٩٨م تغيرت النسبة لصالح الأصوات المعترضة والممتنعة لدرجة أنه فى الجلسة رقم ٥٤ وكان عدد أعضاء اللجنة قد ارتفع إلى ٥٣ عضواً، أيد ٢٣ عضواً القرار واعترض ١٤، وامتنع ١٦ عن التصويت، هذه النسبة تغيرت مرة أخرى لصالح إيران فى الجلسة رقم ٥٧، حيث أيد ٢٢ عضواً القرار، واعترض ٢٠، وامتنع ١١ عن التصويت، ولولا بعض الملاحظات والضغوط السياسية كان من المحتمل جداً أن تخرج إيران فى هذه الجلسة من الرقابة الخاصة.

حدث هذا فى الجلسة رقم ٥٨ للجنة عندما رفض اقتراح الاتحاد الأوروبى بإصدار قرار ضد إيران حيث رفض ٢٠ عضواً القرار، وأيده ١٩ عضواً، وامتنع ١٤ عضواً عن التصويت.

إن فحص المراحل التاريخية لموضوع حقوق الإنسان فى إيران يوضح أنه على مدار ١٨ جلسة كانت الجمهورية الإسلامية متهمة دائماً بانتهاك حقوق الإنسان، على الرغم من جودة الوضع الحالى لكن النجاح لم يكن تاماً إذ أن هناك احتمال أن توضع إيران تحت الرقابة الخاصة فى الجلسات الآتية.

ب- أهم الخلافات بين الطرفين:

من خلال مطالعة القرارات الصادرة والأجواء السياسية وما تبثه وسائل الإعلام بشأن الموضوع يتبين أن أهم النقاط الأساسية للقضية تتمثل فيما يلى:

- التعامل مع الأقليات الدينية والفرق المصطنعة:

الجمهورية الإسلامية الإيرانية وضعت موضع اتهام بشكل دائم نظراً للأيدلوجية التى تتبناها وتوجهاتها الدينية ويمكن تقسيم مشكلة تعاملها مع الأقليات فى ثلاث محاور.

- المحور الأول، المسلمون من غير الشيعة مثل أهل السنة، وعلى الرغم من أن الدستور الإيرانى وبخاصة فى المادة رقم ١٢ قد كفل الحريات المشروعة لهذه الفرقة ولدى أفرادها مدارس علمية ودينية خاصة بهم، ولهم ممثلين فى البرلمان وينتخب كثير من القيادات المحلية من بينهم، توجد اعتراضات فى بعض الأمور. ولعل أهم اعتراضاتهم، طريقة اختيار الملتحقين بالأعمال الحكومية، عدم وجود وسائل إعلام مناسبة والدعاية ضد معتقداتهم.

بالطبع لم يظهر هذا النوع من الاعتراضات بشكل جدى فى بيانات اللجنة وغالباً ما كان يذكر إجمالاً بكونه غياب الحريات الدينية لمختلف الفرق والطوائف.

المحور الثانى أو المجموعة الثانية. الأقليات الدينية من المسيحيين واليهود والزرادشتيين: على الرغم من أن الدستور الإيرانى قد اعترف رسمياً بهذه الأقليات

وأقر بحريات لهم ولم يطبق كثيراً من القوانين الشرعية المتشددة عليهم فضلاً عن أن هذه الأقليات لها تمثيل فى البرلمان أيضاً، على هذا، الاتهام بسوء التعامل مع هذه الأقليات من النقاط الأساسية لبيانات وقرارات لجنة حقوق الإنسان ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية وتتمثل اتهامات سوء التعامل من قبل اللجنة فى عدم سماح الجهات الحكومية الإيرانية بإقامة المراكز الدينية ووضع قيود على الدراسة والتوظيف لأفراد هذه الأقليات.

المجموعة الثالثة، تشمل الفرق الدينية الضالة والتى على رأسها فرقة البهائية.

نشأت البهائية منذ منتصف العصر القاجارى واستطاعت فى فترة الحكم البهلوى الثانى أن تحصل على كثير من المناصب السياسية الهامة والمراكز الاقتصادية.

بعد نجاح الثورة وفى تحرك متوقع تعرض كثير من أفراد هذه الفرقة للتعقب بسبب انتماءاتهم السياسية والظلم الذى اقترفوه فى العهد السابق واستيلاءهم على الأموال العامة.

ما من شك فى أن تعامل النظام الإسلامى وتعارضه مع هذه الفرقة كان جوهرياً وعميقاً لأن أسبابه يمكن أن تعتبر جزءاً من التوجه الدينى للدولة.

طبقاً للقواعد الشرعية، يعتبر أفراد هذه الفرقة مرتدين حيث أن كثيراً منهم مسلمون انضموا إليها وبالتالى ليس لهم أى حق. بالطبع الأجيال التالية من نسل هؤلاء الأفراد يخرجون من حكم الارتداد ولكن لا يتمتعون بحقوق متساوية مع بقية المواطنين الإيرانيين ولقد تبلور هذا الأمر فى الدستور الإيرانى بعدم الاعتراف بهم رسمياً.

وحيث أن الجمهورية الإسلامية لم تخرج من إعلان حقوق الإنسان وقد تم التصديق عليه بدون أى تحفظ فى عهد النظام الإيرانى السابق وقد تم التأكيد فى المادة الثامنة عشر من هذا الإعلان على حق تغيير الدين أو العقيدة، ينبغى التفكير فى تدبير مناسب فى هذا الصدد.

٢- الأقليات القومية والعرقية

نظراً لاتساع الأراضى الإيرانية وتعدد الأقوام والعرقيات المختلفة بها كانت الجمهورية الإسلامية تتعرض دائماً للاتهام بسوء التعامل مع الأقليات العرقية والقومية.

مما لا شك فيه أن هذه النقطة لم تذكر فى بيانات لجنة حقوق الإنسان بشكل تلقائى ولكن نظراً لوجود الأحزاب والجماعات السياسية والتنظيمات الاجتماعية المنتمية لهذه العرقيات كانت إيران تتعرض غالباً لهذا الاتهام.

ولقد أدت الإجراءات المكثفة التى تتخذها الحكومة الإيرانية الحالية والتى تهدف إلى الارتقاء بالمناطق والأقاليم الإيرانية المحرومة من التنمية إلى التقليل بشكل ملحوظ من حدة المشكلة، وكانت زيارات الرئيس الإيرانى لتلك الأقاليم وتخصيص اعتمادات ضخمة أحد هذه الإجراءات المتخذة من قبل الدولة.

٣- حرية التعبير والتصنيفات السياسية

هذا الموضوع لاق تركيزاً شديداً فى بيانات لجنة حقوق الإنسان وتناولته معظم الدول الغربية والمنظمات الدولية.

فى قضية حريات الصحافة والتى تشمل الصحفيين والكتاب والمعارضين السياسيين والدينيين أيضاً والتى غالباً ما تؤدى إلى اعتراضات عنيفة.

فى السنوات الأخيرة كان للجنة حقوق الإنسان نظرة أكثر إيجابية إلى هذه القضية لدرجة أنه فى الجلسة الرابعة والخمسين كانت تغيرات جوهرية فى هذا الشأن على وشك الوقوع وذلك على الرغم من إدانة إيران فى هذه الجلسة.

أثار إغلاق الصحف فى ربيع عام ٢٠٠٠ وما تلاها من عمليات اعتقال الصحفيين والناشطين السياسيين اعتراضات شديدة من المنظمات الدولية ومحافل حقوق الإنسان لغياب حرية النشر والتعبير.

على الرغم من أن هذا الأمر يتكرر كثيراً من قبل المنظمات المذكورة فإن حكومة الجمهورية الإسلامية الإيرانية طبقاً للتكليفات الشرعية وما يلزم به الدستور مكلفة بتوفير حرية التعبير وهى لن تتخلى عن موقفها الذى لا نجد له مثيلاً فى أى من دول المنطقة على الرغم من مواجهاتها بأزمات كبرى مثل الحرب المفروضة مع العراق.

٤- حقوق المرأة

مع الأخذ فى الاعتبار التوجه المختلف والجديد للجمهورية الإسلامية حيال قضية المرآة والذى أدى إلى حضور ومشاركة مكثفة من قبل المرآة الإيرانية فى الأنشطة الاجتماعية فضلاً عن تولى بعض مناصب حساسة فى الإدارة الحكومية فإن هناك أشياء تثار بسبب بعض الاختلافات الشرعية بين النساء والرجال فى الفقه الإسلامي، ولذا فإن حكم مؤسسات حقوق الإنسان فى هذا الصدد تعتريه الازدواجية أيضاً.

وعلى الرغم من أن محافل حقوق الإنسان قد أكدت على الأداء الإيجابى للحكومة الإسلامية ومشاركة المرآة بها تعبر فى نفس الوقت عن قلقها العميق تجاه بعض التضييقات المفروضة على المرآة الإيرانية.

أدت النظرة السياسية لمنظمات حقوق الإنسان إلى تجاهل تحسن الوضع العملى للمرآة الإيرانية والذى

يشير إلى تزايد عدد النساء الإيرانيات العاملات فى المؤسسات السياسية الهامة فضلاً عن ارتفاع عدد الفتيات الدارسات واللائى أنهوا الدراسة الجامعية مقارنة بما كان فى النظام الإيرانى السابق.

٥- تنفيذ القصاص والحدود الشرعية

يعتبر موضوع تنفيذ الحدود الشرعية والقصاص أحد الموضوعات التى يوجه فيها النقد للجمهورية الإسلامية فى المحافل الدولية لحقوق الإنسان، وقد أثارت القوى العلمانية داخل السلطة الإيرانية فى أوائل عهد الثورة القضية مما أدى إلى حدوث جدل واسع فى هذا الصدد.

يلحظ فى بيانات لجنة حقوق الإنسان قلق دائم من تنفيذ أحكام الإعدام والجلد والرجم، وقد نجح المسئولون الإيرانيون فى السنوات الأخيرة فى التقليل من حدة هذه الاعتراضات بإعمال تفكير ملائم للأمر.

مع الأخذ فى الاعتبار المشكلات الأساسية التى ظهرت وحتميات الساحة العالمية الجديدة ينبغى اقتراح استراتيجيات ملائمة محل المشكلات المذكورة التى تمثل واحداً من المحاور الرئيسية فى مختلف قطاعات سلطة الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

الاستراتيجيات والآليات

توضح تجربة حكومة الجمهورية الإسلامية فى إيران على مدار ما يقرب من ثلاثة عقود أن النظام الإسلامي لديه إمكانات مختلفة ومتعددة يستطيع بها تجاوز الأزمات والمشكلات التى يواجهها. بالطبع لا يعبر هذا القول عن صحة وسلامة أداء جميع السلوكيات السياسية للنظام، وإنما يوضح القدرات التى تهئ الاستمرارية لحياة حكومة الجمهورية الإسلامية على الرغم من المشكلات التى اعترضتها.

يتمسك البعض بالنظر إلى العالم الجديد ووقائعه بأعين مغمضة والسير على درب الأرثوذكسية وتجاهل النظام القانونى العالمى لحقوق الإنسان و يتمسك عدد آخر بالإتباع الكامل والطاعة المحضة لذلك النظام الدولى، ولكن فى هذا الإطار يوجد طريق ثالث يبدو أن الاستفادة المناسبة منه هى الآلية الناجحة للخروج من هذه الأزمة.

لقد أنتجت العولمة أجواء تستطيع فيها الثقافات والحضارات الأصلية الدخول فى تعامل فعال مع بقية الحضارات لتشكيل قيم مشتركة على مستوى العالم، والاستفادة المناسبة من هذه الأجواء يمكن أن تهئ مجالات لتعاون فعال ضمن التمسك بالأسس الجوهرية المقدمة للديانات.

تندرج الآليات والاستراتيجيات الأساسية للجمهورية الإسلامية فى حل أزمة حقوق الإنسان فى قالب إطارين كليين هما مجموعة من التدابير السياسية والتدابير القانونية.

١- التدابير القانونية.

أ- التأكيد على النقاط المشتركة بين النظام العالمى لحقوق الإنسان والأسس الدينية.

على الرغم من اختلاف المشرب المعرفى للنظام الإسلامي عن مثيله الغربى، يفترض أن هناك نقاط مشتركة أيضاً بين هذين التوجيه الفكريين من أجل تحاشى تنوع المصادر المعرفية الموجودة فى هذا المجال بين النظامين يمكن أخذ اللائحتين التأسيسيتين لكل من الإعلان العالمى لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة فى عام ١٩٤٨ والإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان الصادر عام١٩٩٠ بالقاهرة أساساً للمقارنة وتحديد النقاط المشتركة بين النظامين.

إن ضمان حق الحياة للبشر ورفض العبودية ومبدأ البراءة واحترام الحياة الخاصة وحق اللجوء وحق الاختيار الحر للعمل وغيره من النقاط المشتركة التى تمثل الأركان الجديدة لحقوق الإنسان التى تتمتع بقبول جميع الدول الإسلامية ومن بينها إيران.

الجمهورية الإسلامية الإيرانية بكونها دولة تحترم المبادئ الأساسية الخاصة بحقوق الإنسان وتخطو خطوات جادة فى اتجاه تنفيذ التعهدات الدولية لأن ما جاء كحقوق إنسانية أساسية فى الإعلان العالمى لحقوق الإنسان كان موضع اهتمام وتنفيذ فى النظام الإسلامى لكن ينبغى الالتفات إلى أنه على أساس الاختلافات البنيوية يمكن اعتبار أموراً ما جزءاً من حقوق الإنسان الغربية ولكن النظام القانونى للإسلام لديه نظرة مختلفة إليه.

ولكن التركيز على مواضع الاختلاف لم يكن أمراً مناسباً على الإطلاق. إن الجمهورية الإسلامية طبقا لرغبة أغلبية شعبها لم تسمح بتنفيذ قوانين تخالف تعاليم الإسلام السماوية ولن يكون لديها ما لا يتطابق معها، لكنها فى نفس الوقت ستنفذ تعهداتها الدولية أيضاً وحل هذا التعارض يحتاج إلى تدبير دقيق.

على خلاف ما يسعى إليه بعض المفكرين داخل إيران فى أن يبينوا أن هناك موضوعات مثل حقوق الإنسان موضوعات مستقلة عن ثقافة ودين الشعب وأنها قواعد عالمية، يبدو أن حقوق الإنسان والنظر إلى المهام والصلاحيات الإنسانية مرتبطة بطبيعة المجتمعات المختلفة.

النقطة الأهم أن اختيار طبيعة هذا التوجه تقع على عاتق الشعوب وإذا كان تم الاعتراف اليوم برأى الشعوب كمبدأ أساسى لا يمكن انتهاكه على الصعيد العالمى، بشكل أولى فإن اختيار نوع النظام القانونى من المبادئ المسلم بها كحق من حقوق الإنسان، على

هذا الأساس فإن المجتمع الذى يختار نظام حركته وفق الأحكام الدينية فإنه يمكن التمسك والإصرار على اعمام النظام القانونى المستند إلى المعتقدات العامة لذلك المجتمع.

إن حكومة الجمهورية الإسلامية الإيرانية قد أرست نظاماً وفق المعايير الإسلامية بناءً على رأى الشعب الإيرانى وقد صدق الشعب الإيرانى على الدستور فى استفتاء عام، هذا الدستور يكلف الدولة بالتصديق على جميع القوانين التى تتطابق مع المعايير الإسلامية وأن يعمل على تنفيذه(المادة الرابعة من الدستور الإيرانى) إذا فرض أن بين مفردات الميثاق الدولى مقرارات الميثاق الإسلامي فهل تستطيع الحكومة الإيرانية نفض يدها من المقررات الإسلامية، وأن تسير قوانينها وفقاً للميثاق الدولى وعلى خلاف الميثاق الإسلامي؟

بدون شك إذا كانت هناك بعض الاختلافات بين مواد الميثاق الدولى والمقررات الإسلامي بشكل قطعى لا يمكن أن نجيز الحكم السابق ذكره لأن هذا يتعارض مع أساس وفلسفة وجود نظام الجمهورية الإسلامية.

ينبغى النظر إلى كيف ستتمكن إيران من تنفيذ تعهدها والتزامها المطلق بميثاق الدولة والحقيقة أن الظرف الحالى لم يكن موجوداً أثناء تصديق إيران على الإعلان الدولى لحقوق الإنسان لكنها الآن قد صدقت عليه، فإما أن تلتزم به أو أن تجد طريقاً تتحرر من خلاله من بعض قيود الإعلان والالتزام بالاتفاقية الدولية الموقعة عليها.

فيما يتعلق بإمكانية الخروج من الميثاق الدولى للحقوق المدنية والسياسية فإن هذا المعنى الذى قد حدده واضعوا الإعلان بشكل يدرك من خلاله أن حق الخروج منه أمر صعب ولكن فى نفس الوقت مع الأخذ فى الاعتبار بأن هناك حق للخروج من كثير من اللجان الدولية والاتفاقات المتعلقة بحقوق الإنسان مثل معاهدة منع التعذيب واتفاقية منع التفرقة العنصرية، حتى فى نفس ميثاق إعلان حقوق الإنسان مصرح للدول الأعضاء حق التعليق و الامتناع عن التنفيذ فى بعض الحالات (المادة الرابعة من ميثاق حقوق الإنسان) وليس من المستبعد إمكانية السماح بالخروج من الميثاق من وجهة نظر واضعيه وإذا كان من الممكن فى حالة عدم ذكر كيفية الخروج من معاهدة ما يمكن استنباط جواز الخروج منها بتقديم مذكرة مسبقة بشكل عام والتحرر من الالتزامات التى تفرضها، أفلا يمكن فى هذه الحالة إعلان عدم الالتزام بجزء من ذلك الميثاق؟ ربما يمكن القول أنه إذا لم يكن الخروج على بعض مفردات اتفاقية ما يتعارض مع مبدأ استمرار العضوية والالتزام بالاتفاقية فإن هذا الخروج لا إشكال فيه.

والواقع أن الآثار المترتبة على الإعلان تأتى بعد التصديق غير المشروط عليه.

على الأقل فى حالة أن لا تعترض بقية الدول الأعضاء أو توافق يصبح هذا الأمر ممكناً.

يبدو أنه فيما يتعلق بتعارض بعض مقررات الميثاق مع القوانين المستندة إلى المعايير الإسلامية لنظام الجمهورية الإيرانية ينبغى أن يحدد بدقة فى المقام الأول نقاط الاختلاف تلك وأن يحدد أى من بنود الميثاق يتعارض بشكل واضح مع القواعد الإسلامية بحيث لا يمكن الجمع بينها على الإطلاق.

على سبيل المثال إذا كان يوجد اختلاف فى اكتساب الحقوق المدنية والسياسية بين الرجل والمرآة، ومن وجهة النظر الإسلامية مثل حق الميراث أو ممارسة بعض الأعمال مثل القضاء والزعامة أو حق الطلاق فى هذه الحالة ينبغى تحديد الأمر بدقة بالغة وبشكل قاطع بحيث تبين المواد الموجودة بالميثاق التى لا تتطابق كلياً أو جزئياً مع المعايير الإسلامية فى تلك الموضوعات، وقد أعلمت الحكومة الإيرانية سكرتير عام الأمم المتحدة فى مذكرة مكتوبة بأن حكومة الجمهورية الإسلامية الإيرانية نظراً إلى التغيرات العميقة التى حدثت فى نظام الدولة تعلن عدم خروجها عن تلك المواد المعلنة بالميثاق، وبالطبع أبلغ سكرتير عام الأمم المتحدة جميع الدول الأعضاء بهذا الأمر.

على أية حال ربما يكون هذا الأمر غير مسبوق حتى الآن، ولكن يمكن فتح باب جديد فى مباحثات منظمات حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة ومن الممكن أن يؤدى إلى موافقة الدول الأعضاء على هذا النوع من الخروج الجزئى أو على الأقل عدم معارضته مما يؤدى فى النهاية الاعتراف رسمياً بالتزام حكومة الجمهورية الإسلامية الإيرانية بميثاق إعلان حقوق الإنسان بشكل مشروط.

من الممكن أن تعترض بعض الدول الأعضاء على هذا الإجراء لكن إذا كان الإعلان عن عدم الالتزام أو الخروج عن مقررات الميثاق على نحو لا يتعارض مع الأساس و الهدف الأصلى للميثاق فليس من المعلوم عدد الدول الأعضاء التى ستعترض، على أية حال سيفتح طرق الأمم المتحدة لهذا الأمر رسمياً باباً جديداً ومن الممكن أن يخلق شكلاً أو إطاراً أكثر قابلية له.

للأسف لم يطرح هذا الموضوع للبحث بشكل جدى ولم تقم الجهات المعنية بتوجيه اهتمام حقيقى لإظهار مواضع الاختلاف الجوهرى وإنما قاموا بعملية تلفيق بين الالتزامات الدولة والالتزام بحفظ القواعد والأحكام الإسلامية.

البعض لا يهتموا بالميثاق ولا يرى ضرورة فى ذلك الجهد للتوفيق بين أحكامه والقواعد الإسلامية الشرعية، مجموعة أخرى ترى أن الميثاق الدولى مثل الوحى المنزل ولذلك تراه واجب التنفيذ ولا تشغل بالها بمعارضته للقواعد الشرعية وبالتالى لا تفكر فى البحث عن طريق حل للقضية، على أية حال يبدو أن طريق الحل المطروح يمكن أن يكون عملياً وفعالاً.

هناك طريق حل آخر من الممكن أن يكون عملياً وهو الإعلان عن الخرج عن الميثاق والتخلص من تعهدات إيران تجاهه والانضمام إليه من جديد مع إعلان الشروط المناسبة.

فى داخل الميثاق نفسه لم يتم تحديد موضوع إلغاء الاتفاقية من جانب واحد أو الخروج منها وبالتالى ينبغى استنباط جواز الخروج من وجهة نظر واضعى الاتفاقية طبقاً للمادة ٥٦ لمعاهدة فينيا.

ربما يمكن استنباط التصريح بالخروج من الميثاق إذا ما أخذنا فى الاعتبار حق تعليق تنفيذ مقررات الميثاق الذى نص عليه المادة الرابعة وكذلك اتفاقيات حقوق الإنسان المشابهة للميثاق والذى أمر فيها حق الخروج قبل وبعد الميثاق وعلى أغلب الاحتمالات ليصبح إعلان الخروج منفذاً بشكل فعلى بعد عام من تاريخ تسليم القرار لسكرتير عام الأمم المتحدة طبقاً للبند الثانى من المادة ٥٦ لاتفاقية خينيا، نظراً للأجواء العدائية المثارة ضد الجمهورية الإسلامية الإيرانية والتوترات التى ظهرت والدعايا التى تثت ضد إيران ربما يكون الأمر غير ملائم.

يبدو أن أفضل طريق للحل وأكثرها عملية هو الطريق الذى قدم سلفاً، شريطة أن يتم عمل علمى واجتهادى ودقيق على مواد الميثاق والموضوعات التى تصطدم فيها مع القواعد الإسلامية... وبعد توضيح نقاط التصادم يتم إعلان الأمم المتحدة إما بعدم التزام حكومة الجمهورية الإسلامية الإيرانية بالميثاق أو خروج إيران من هذا الجزء من المعاهدة الأجدر أن تقوم وزارة الخارجية بإيلاء الموضوع أهمية أكبر وتشرحه جيداً لرئاسة الجمهورية ومجلس الشورى الإسلامي وقبل كل شئ المرشد وتحدد المطلوب عمله.

يبدو أن مجمع تحديد مصلحة النظام هو أنسب الهيئات لدراسة الموضوع نظراً لأن الأمر له جوانب فقهية ومصالح واجبة الرعايا ومقتضيات للزمان والمكان ومن الضرورى الاستفادة من أصحاب الخبراء الفقهيين والقانونيين ثم تولى تقديمه للمرشد لتحديد مواضع تعارض مقررات الميثاق مع القواعد الإسلامية والتى لا يمكن تحديدها فى إطار المؤسسات السياسية والاقتصادية والثقافية المختلفة.

إن قبول فكرة الاختلاف من قبل النخبة وإجماعه على القيام بعمل يؤدى فى مجمله إلى خلق نوع من التعاون الإيجابى والاستفادة من كل الإمكانات المتاحة فى هذا المجال يمثل أولى خطوات هذا المسار.

٢- فهم الوقائع الجديدة للمجتمع الإيرانى لحل مشكلات حقوق المرأة والأقليات ومنح حريات سياسية أكبر.

من أهم التدابير السياسية الهامة لحل مشكلات الأقليات (النساء والأقليات الدينية) الاهتمام بالواقع الحالى للمجتمع الإيرانى، خاصة أن من الانتقادات التى وجهت للنظام الإيرانى السابق عدم إقامة عدالة اجتماعية أو وجود مشكلات مختلفة ثقافية واقتصادية بين فئات الشعب.

لقد نجحت الثورة الإسلامية من خلال تطبيق العدالة الاجتماعية والاهتمام بالتواجد الشعبى فى الأصعدة السياسية وكان من النتائج الأولى للثورة التوجه الفعال للمرأة على الأصعدة المختلفة والقضاء التدريجى على آثار الحرمان فى الأقاليم النائية ومن بينها مناطق تمركز الأقليات مثل كردستان وبلوشستان، كما تم توفير إمكانات الرفاهية فى المناطق المحرومة ونشر الخدمات الحكومية وبخاصة الخدمات التعليمية حتى أعلى مراحل التعليم، فجأة حدث تحول فى تركيبة النخبة فى إيران مما أدى إلى وصول عدد النساء إلى الجامعات بنسبة تعادل خمسة أضعاف الرجال فى إيران كما افتتحت جامعات فى أقصى الأقاليم الإيرانية بعيداً عن العاصمة وبالتناسب مع ارتفاع الأوضاع المعيشية زاد أيضاً مستوى المتطلبات والاحتياجات الفئوية والقومية والعرقية، ولنفس السبب أثارت بعض التضييقات الموجودة على حقوق هؤلاء الأفراد ردود أفعال مختلفة عما كانت فى الماضى، مما لا شك فيه أن مستوى ردود الأفعال هذه أكثر من نشر موضوعات فى الصحف أو تداول الأمر فى تجمعات هادئة ويحتمل أن استمرار قلة الاهتمام بهذه القضايا سيؤدى إلى ظهور مشكلات وأزمات عنيفة، من ناحية أخرى فإن القضاء على هذه المشكلات أمر تؤكد عليه محافل حقوق الإنسان بشدة.

إذاً فالأجدر حل هذه المشكلات باستخدام الآليات القانونية السابق ذكرها ورفع الموانع الشرعية للموضوعات المذكورة وفى خطوة تالية يرفع الحمل الناتج عن بعض التضييقات الشرعية المفروضة على بعض فئات المجتمع وذلك من خلال رسم آليات لتواجد هذه الفئات فى المناصب المختلفة.

فضلاً عن الاهتمام بحقوق المرأة والأقليات يبدو من الضرورى أيضاً منح حرية العمل السياسى للناشطين السياسيين والصحفيين.

إن استمرار الثورة الإسلامية لمدة ثلاثين عاماً على

الرغم من التهديدات المختلفة مؤشر على عمق وتجذر هذا النظام الدينى الشعبى، لذلك فإن نشاط عدد من المعارضين السياسيين لا يلحق الضرر بالحكومة الإيرانية فحسب وإنما يمكن أن يكون تواجدهم فى بعض الحالات وسيلة لتوصيل الأخطاء الطبيعية للنظام إلى أذان المسئولين، وانتخابات المجالس المحلية فى عام ٢٠٠٢ أفضل دليل على هذا الموضوع، فى هذه الانتخابات اشتركت جميع الفرق وحتى المعارضة من داخل النظام.

يبدو أن أفضل الآليات للوقاية من مثل هذه الأمور تقديم شفافية أكبر فى وضع القوانين والقضاء على الأخذ بالانطباعات الشخصية فى وضع القرارات الأساسية فى النظام.

٣-الاستفادة من الأجواء العالمية الجديدة

لقد دخلت العلاقات الدولية بعد انقضاء مرحلة النظام ثنائى القطبية إلى أجواء جديدة أدت إلى زيادة إمكانية التعامل والتبادل الثقافى والاقتصادى والسياسى.

لا شك أن العولمة تختلف عن الهيمنة الأمريكية، ويعتقد جيمز روزنا أن العولمة عملية تهيئة أو تمهيد لشكل مختلف من الوحدة العالمية، ويقول محمد عابد الجابرى أن العولمة هى التوجه لقبول العالم والتعرف على ثقافات الآخر والتعامل مع الأيديولوجيات المغايرة ونحن لسنا بصدد التعمق فى هذا الموضوع الآن وإنما توضيح أن هناك فرصة جديدة فى حالة الاستفادة منها يمكن قبول المجتمع العالمى للقيم الإسلامية الأصيلة.

العولمة فرصة لكى تتمكن الدول الإسلامية من إثبات للمجتمعات الدولية بعض تمايزاتها الذاتية والاختلاف بين ثقافتها الدينية والثقافة الغربية وأن تؤكد على التمسك بالهوية المستقلة للحضارة الإسلامية ضمن قبول وجهات النظر المفيدة للحضارة الغربية فيما مضى كانت جميع الإمكانات والمنابر العالمية تحت تصرف الدول القوية ولكن اليوم مع تقدم تقنيات الاتصال ووسائل الإعلام وحاجة المجتمعات الغربية المتزايدة للإمكانات الاقتصادية للدول الإسلامية كل هذا هيئ تحرك مناسب لتقديم الحضارة الإسلامية والتأكيد على قبول تنوع الثقافات على المستوى العالمى.

العولمة ميدان للتبادل بحيث ستبقى فى نهايته مجموعة من الثقافات والقيم التى استطاعت أن تتكيف التحولات الجديدة بحيث تصبح أكثر تأثيراً على مسار البشرية كنتيجة لتوافقها مع الفطرة والطبع السليم للإنسان.

إن العالم كمجموعة أو ككتلة واحدة يتضمن هويات غير موحدة وعلى حد قول بردوواتس وضع العالم الحالى يمثل كل مكون من أجزاء متنافرة.

ينبغى التحرك صوب خلق نظام دولى جديد لحقوق الإنسان وخلق بنى مناسبة لذلك يتم الاهتمام فيها على نحو خاص بمبدأ الاختلافات الثقافية والحضارية.

٤-الخروج من وضع رد الفعل فى العلاقات الدبلوماسية

إن الخروج من حالة إصدار ردود الأفعال فى التعاملات السياسية مع الدول الغربية من أولويات حل مشكلة حقوق الإنسان وللأسف فإن ما حدث على مدار الستة عشر عاماً الماضية على صعيد السياسة الخارجية لإيران كان نوعاً من حالة رد الفعل واتخاذ مواقف دفاعية فى مواجهة الدول الغربية وذروة ذلك الأمر كانت الحوارات المسماة بالحوار النقدى.

الحال أن الحكومة التاسعة للجمهورية الإسلامية الإيرانية من خلال فهمها العميق لأسس الحضارة الإسلامية ومراعاة عزة المسلمين لديها الإمكانات الفعلية لإخراج الجمهورية الإسلامية الإيرانية وبقية الدول الإسلامية من الأزمات التى خلقتها المجتمعات الغربية، وينبغى على إيران أن تدخل هذا المجال بشكل جدى.

على سبيل المثال فكرة رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية القائلة بدعوة الدول الغربية لإجراء زيارات متبادلة مع هذه الدول للتأكد من تنفيذها للقواعد المالية لحقوق الإنسان، وكان ذلك خطوة كبيرة ومبتكرة فى هذا الصدد وفى المقابل لن يسمع شئ من العالم الغربى سوى السكوت والصمت.

وعلى الأجهزة الدبلوماسية للجمهورية الإسلامية أن تتابع هذا الموضوع وأن تجعله محور المباحثات مع الدول الغربية حتى تستطيع خلق أفق جديدة للتعاون معها.

فى النهاية الأمل أن توضع الآليات المقترحة موضع تنفيذ من قبل الخبراء والمسئولين وهذا جهد متواضع يمكن أن يكون خطوة فى طريق إنتاج أدبيات تهدف إلى تحجيم أزمة حقوق الإنسان فى إيران.

أمن الخليج بين مصر وإيران وأمريكا

■ إعداد: أ.د. محمد السعيد عبد المؤمن
أستاذ الدراسات الإيرانية بجامعة عين شمس

تعتبر منطقة الخليج بما تمتلك من ثروات هائلة وسوق ضخمة من أكثر مناطق الشرق الأوسط أهمية وحساسية، بل وأكثرها سخونة، ومن هنا فإن أمن الخليج من الركائز الهامة التى تحقق الأمن والاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط كلها، كما أن اختلال الأمن فى الخليج من شأنه أن يؤدى إلى أحداث لا تحمد عقباها، ومن الطبيعى أن تكون كل الدول التى لها مصالح فى منطقة الخليج معنية باستقرار الأمن فى هذه المنطقة، وأن يصل اهتمامها بهذا الأمر إلى الحد الذى ترسل فيه قوات عسكرية إليها، وأن تبادر بتقديم مشروعات لأمن الخليج، رغم أنه يعترض تنفيذ هذه المشروعات اختلاف الرؤى لدى دول الخليج من ناحية، وبينها وبين الدول صاحبة المصلحة فى الخليج من ناحية أخرى.

أولا: تمركزت العلاقات بين إيران ودول الخليج العربية بشكل عام فى المصالح المشتركة، سواء اقتصادية أو سياسية أو أمنية بجانب الدين المشترك، وهو الإسلام الذى شكل لحمة عميقة الجذور بينهما يسهم فى دفع العلاقات نحو التعاون بدلا من التناحر والتنازع.(١) لذلك ينبغى التقليل من شأن الانقسام التاريخى بين إيران والعرب، إذ توجد حقوق تاريخية واقتصادية لكلا من الطرفين فى منطقة الخليج بحكم وجودهما المشترك، ولا يمكن لأى منهما أن يلغى الحق المتساوى للطرف الآخر فى المصالح والقضايا التى تهم المنطقة بشكل عام، كما أن من الخطأ إلغاء الحقوق الخاصة بطرف منهما بالاستقواء بقوة أجنبية، أو استخدام القوة المسلحة لإجباره على التنازل عن حقوقه، أو فرض شروط عليه.

ثانيا: إمكانات التلاقى والتوافق بين العرب والإيرانيين كبيرة جدا، خصوصا فى هذه الظروف الإقليمية والدولية، والتحديات للجانبين العربى والإيراني، مع التأكيد على ضرورة التواصل لتعميق الفهم المشترك وبالتالى الممارسة المشتركة، وإمكان تكوين ملامح أمن خليجى مشترك فى المنطقة، مع بناء الثقة، والتغلب على المعوقات التى تقف فى طريقها.

ثالثا: هناك مجموعة من القضايا الخلافية فى العلاقات بين إيران ودول مجلس التعاون الخليجي، حالت دون الاتفاق على صيغة أمنية شاملة فى الخليج تحظى بموافقة الطرفين، ومن أهم هذه القضايا الخلافية:

أ - قضية الجزر الثلاث أبو موسي، طنب الصغري، طنب الكبري: تعتبر قضية النزاع بين دولة الإمارات العربية المتحدة وجمهورية إيران الإسلامية حول جزر أبى موسى وطنب الكبرى، والصغرى مدخلا من مداخل التوتر فى منطقة الخليج العربي(٢)، إلا أن هناك أطروحات تعتبر إيجابية، وأهمها طرح إيران فكرة التدرج فى حل قضية الجزر بفتح موضوع جزيرة أبى موسى أولا دون إسقاط حق الإمارات فى بحث جزيرتى طنب الصغرى والكبرى. الاتفاق بين البلدين على الاستمرار فى الاتصالات الثنائية على أن تشمل هذه الاتصالات قضية الجزر، وإبداء إيران استعدادها لإعادة النظر فى الإجراءات التى اتخذتها بجزيرة أبى موسى. التركيز من جديد على العلاقات التاريخية على أساس الصداقة والمصالح المشتركة والمساعى المستمرة لترسيخ علاقات حسن الجوار والأمن.(٣)

ب- قضية الوجود الأجنبي: كان الكثير من دول مجلس التعاون الخليجى يرفض بشدة فى السابق فكرة وجود قوات أجنبية فى المنطقة، وبالذات الكويت والإمارات وقطر، لكن الغزو العراقى للكويت أحدث تحولا هيكليا فى المدركات الاستراتيجية لدول المجلس، حيث دفعها للبحث عن كافة الضمانات والترتيبات الأمنية التى تكفل حماية أمنها الوطني، ولاسيما من خلال إبرام اتفاقات الدفاع المشترك مع القوى الدولية.

ونتيجة لذلك فقد شهدت علاقات التعاون العسكرى بين دول مجلس التعاون الدول الأجنبية، خاصة الولايات المتحدة، طفرة كبيرة فى فترة ما بعد حرب الخليج الثانية(٤). وقد رفضت إيران هذه الاتفاقات بشدة، مؤكدة على أن أمن المنطقة لا يكفله الوجود الأجنبي، وأن الأخوة والصداقة والثقة هى السياج الحقيقى والسلاح الوحيد الذى تحمى به دول الخليج نفسها.

ج- عملية السلام العربية الإسرائيلية والتطبيع مع إسرائيل: أخذ التقارب الإسرائيلى الخليجى يشهد تناميا ملحوظا، مع إعلان دول مجلس التعاون الخليجى عام ١٩٩٤م رفع المقاطعة الاقتصادية والتجارية من الدرجتين الثانية والثالثة ضد الشركات الأجنبية التى تتعامل مع إسرائيل، وتتابعت زيارات الوفود الإسرائيلية إلى الدول الخليجية فى إطار المحادثات المتعددة الأطراف حول البيئة ونزع السلاح والمياه.(٥) وهذا الموقف لدول الخليج العربية من عملية السلام والتطبيع مع إسرائيل، يتناقض مع الموقف الإيرانى الرافض لعملية التطبيع مع إسرائيل، وأسلوبها المناهض لأية مباحثات فى الشرق الأوسط بين العرب وإسرائيل(٦) ولقد أعلن الزعيم خامنئى أن رفع دول الخليج العربية المقاطعة ولو جزئيا عن إسرائيل يعتبر خيانة عظمى للإسلام والعرب والفلسطينيين. كما اعتبر رفسنجانى أن دول الخليج العربية قد قربت المسافة بين إسرائيل ونشاطاتها المعادية وبين إيران، حتى ولو كان فى صورة وصول منتجات إسرائيلية إلى منطقة الخليج التى تمثل خط الدفاع وخط الانطلاق للإيرانيين فى المنطقة(٧).

د- قضية القدرات العسكرية الإيرانية: لقد طورت إيران قوتها الصاروخية بعيدة المدى منذ حربها مع العراق، ورغم التأكيدات الإيرانية لدول الخليج بأن الصواريخ الإيرانية لن توجه إلى أية دولة خليجية، إلا أن القدرات العسكرية الإيرانية تطرح مخاوف خليجية من احتمال استخدامها، إذا تراجعت إيران عن سياستها الانفتاحية، ولعل التهديدات التى أطلقتها إيران مطلع عام ٢٠٠٢م بقيامها بقصف آبار البترول الخليجية، فى حالة ما إذا أقدمت الولايات المتحدة على ضربها فى إطار ما يعرف بالحرب على الإرهاب، وما أثارته من ردود فعل خليجية غاضبة هو أبرز مثال على استمرار وجود هذه المخاوف.(٨)

هـ- التدخل فى الشئون الداخلية لدول الخليج العربية: تعتقد بعض دول الخليج العربية أن استثمار إيران للوجود الشيعى فى الدول العربية وما ترتب عليه من تداعيات، من خلال إقامة المجمع العلمى لآل البيت فى طهران، واشتراك ممثلو طوائف الشيعة من ست وخمسين دولة فى آسيا وأفريقيا وأوربا وأمريكا فيه، يمكن أن يكون نواة لصرح مؤسسة كبيرة مشتركة تضع على عاتقها مهمة تفعيل الوجود الشيعى فى الدول العربية، مما يضر بأمن واستقرار دول الخليج خاصة والدول العربية عامة (٩).

رابعا: ما يعمق القضايا الخلافية وجود عناصر قلق فى المعطيات الإيرانية، فلإيران ثوابت ثورية أهمها تصدير الثورة الإسلامية، تعمل لتحقيقه بأساليب متعددة، بعد أن جعلت من عملية تصدير الثورة الإسلامية شأنا ثقافيا له أولوية، وهناك مؤسسات عدة تتولى هذا الشأن. وتستهدف إيران من تصدير الثورة الإسلامية إقرار نموذج إسلامى فى السياسة والحكم على مستوى المنطقة والعالم الإسلامي، ويبدأ تصدير الثورة من المناطق المحيطة بإيران، ثم تتسع الدائرة بعد ذلك، وترى دول الخليج أن الوسيلة تعتمد على فكرة التدخل شبه المباشر وغير المباشر فى شئون دول المنطقة، خاصة تلك التى ترتبط ارتباطاً قوياً بتحقيق مصلحة قومية، مثل منطقة الخليج، وإيران بدعمها للشيعة.

خامسا: هناك ثوابت استراتيجية تتعلق بالمسألة الأمنية تقوم على تحقيق الأمن والاستقرار لنظام الجمهورية الإسلامية، من خلال نظرية لها مبررات تاريخية وجغرافية وبشرية وسياسية وعقائدية، وتحقق مصالحها وطموحاتها، وتتعلق بقضية أمن الخليج، حيث ترى إيران أن أى مشروع حول أمن الخليج لا تضعه إيران، أو لا تشترك فى وضعه على الأقل هو مشروع فاشل، لأنه يتجاهل دولة خليجية لها أكثر من نصف السواحل المطلة على الخليج ومياهها الإقليمية فى الخليج أوسع من سائر الدول الخليجية، وتتحكم فى مضيق هرمز الذى يعتبر المنفذ الوحيد للخليج على المحيط.(١٠) إلا أن هناك اتفاقات أمنية وعسكرية بين دول الخليج العربية وأطراف عربية أخرى، ودول أجنبية تقف حجر عثرة فى مواجهة هذه الرؤية، فضلا عن رفض إيران لمشروعات عربية تحل القضية، مثل إعلان دمشق التى رفضته بناء على عدة مبررات:

أولا : خروج فكرة أمن الخليج ومشروع السلام من مصدر واحد هو واشنطن، وبالتالى تبعية المشروعين للاستكبار العالمي، وأنهما يكونان معا خطة للتسلط الأمريكى على المنطقة، ومما يدل على ذلك إخراج العراق وإيران من الترتيبات الأمنية.

ثانيا : أن فكرة المشروع الأمنى تنطلق من فكرة وحدة الأمن العربي، فى حين أن القومية العربية قد تفككت بعد انتهاء زعامة مصر بقيادة عبد الناصر، وأن مصر من خلالها يمكن أن تدعى حقها السياسى والجغرافى فى التواجد العسكرى الدائم فى منطقة الخليج، كما أن الصراع على الزعامة العربية يجعل من الصعب الاتفاق على تفاصيل تنفيذ مثل هذه الفكرة الأمنية.

ثالثا : أن الرؤية لا تعكس ضرورة جغرافية سياسية تكون وليدة احتياج استراتيجى معاصر للمنطقة مثل احتياجها لخطة أمنية عربية ضد المطامع الصهيونية، خاصة أنه يوجد فرق بين منطقة الخليج ومنطقة الشرق الأوسط، كما لا يوجد تجانس جغرافى فى العالم العربى والمنطقة، مما يؤكد صعوبة إيجاد وحدة أمن جغرافية، وبالتالى فإن طبيعة المنطقة الجغرافية تستوجب التقسيم الأمنى حسب المناطق المتماثلة، بما يعنى استقلال خطة أمن الخليج عن خطة الأمن العربي، وأن تكون دول كل منطقة مسئولة عن أمنها، وهذا يعنى عدم وجود مصداقية للزعم بأن أمن الخليج قضية عربية متصلة بالأمن العربى العام.

خامسا: عدم قدرة المشروع على توفير الحماية الكاملة والأمن الدائم لدول الخليج العربية بدليل أن الكويت وقعت اتفاقية أمنية مع الولايات المتحدة فى مبادرة من جانبها لتأمين حماية الكويت مستقبلا. ١١

والواضح أن وجهة نظر المثقفين المصريين حول أمن الخليج لا تتفق مع الرؤية الأمريكية، بل تقترب من الرؤية الإيرانية، وأن إيران عندما رفضت إعلان دمشق حول أمن الخليج لم تكن مدركة للمعطيات المصرية، كما أن الإعلان تجاهل الوجود الإيراني. فى حين أن النخبة المصرية تدرك أن متغيرات جذرية قد حدثت فى الظروف والأوضاع السياسية للشرق الأوسط، وأنه لا يمكن أن يحدث تطابق تام بين سياستى القاهرة وواشنطن، فهناك اختلاف فى الرؤى بين البلدين حول مسيرة السلام، وقضايا التسلح، ورفض التفوق العسكرى الإسرائيلي، ومساندة سوريا ولبنان والفلسطينيين، ورفض العقوبات على السودان، وقد تعدى الخلاف مع أمريكا إلى محاور أخرى، لا تستطيع مصر أن تتجاهلها. وأهمها بناء نظام شرق أوسطى جديد يشمل التحالف بين أمريكا وتركيا وإسرائيل، حيث تشترط الرؤية المصرية معالجة القضايا العالقة أولا، مثل قضية السلام، والوضع النووى الإسرائيلي، واختلال التوازن العسكرى فى المنطقة، واستمرار إسرائيل فى سياستها الحالية مع المطالبة بتحقيق التعاون الإقليمي، حتى لا تؤثر بالسلب على المنطقة، وهذا يتطلب دورا إقليميا منسجما. ومن ثم فالنخبة المصرية ترى أن أمن الخليج يؤثر تأثيرا مباشرا على الأمن القومى المصري، وأن من واجبها أن تقدم طرحا يتعلق بأمن الخليج، بحكم العلاقات الوثيقة مع شعوبه، والمصالح الحيوية مع دوله.

ويقوم رفض إيران لإعلان دمشق على عدة مبررات: أهمها خروج فكرة أمن الخليج ومشروع السلام من مصدر واحد هو واشنطن، وبالتالى تبعية المشروعين للاستكبار العالمي، وأنهما يكونان معا خطة للتسلط الأمريكى على المنطقة، ومما يدل على ذلك إخراج العراق وإيران من الترتيبات الأمنية. وأن فكرة المشروع الأمنى تنطلق من فكرة وحدة الأمن العربي، فى حين أن القومية العربية قد تفككت بعد انتهاء زعامة مصر بقيادة عبد الناصر، وأن مصر من خلالها يمكن أن تدعى حقها السياسى والجغرافى فى التواجد العسكرى الدائم فى منطقة الخليج، كما أن الصراع على الزعامة العربية يجعل من الصعب الاتفاق على تفاصيل تنفيذ مثل هذه الفكرة الأمنية. وأن الرؤية لا تعكس ضرورة جغرافية سياسية تكون وليدة احتياج استراتيجى معاصر للمنطقة مثل احتياجها لخطة أمنية عربية ضد المطامع الصهيونية، خاصة أنه يوجد فرق بين منطقة الخليج ومنطقة الشرق الأوسط، كما لا يوجد تجانس جغرافى فى العالم العربى والمنطقة، مما يؤكد صعوبة إيجاد وحدة أمن جغرافية، وبالتالى فإن طبيعة المنطقة الجغرافية تستوجب التقسيم الأمنى حسب المناطق المتماثلة، بما يعنى استقلال خطة أمن الخليج عن خطة الأمن العربي، وأن تكون دول كل منطقة مسئولة عن أمنها، وهذا يعنى عدم وجود مصداقية للزعم بأن أمن الخليج قضية عربية متصلة بالأمن العربى العام. بالإضافة إلى عدم قدرة المشروع على توفير الحماية الكاملة والأمن الدائم لدول الخليج العربية، بدليل أن الكويت وقعت اتفاقية أمنية مع الولايات المتحدة فى مبادرة من جانبها لتأمين حماية الكويت مستقبلا.

والبديل الذى يقدمه الإيرانيون لهذا المشروع هو أن يتكون المشروع من دول مجلس التعاون الخليجى بالإضافة إلى إيران والعراق أى (٦+١+١)، وتطالب إيران بتشكيل بنية أمنية يشترك فى وضعها جميع دول الخليج، على أن تقوم كل دولة بطرح قضاياها وملاحظاتها حول الأمن والتسلح وخفض نفقاته، والاتفاق حول مسألة شراء ونقل الأسلحة الأجنبية لأى من دول المنطقة. ولاشك أن عرض إيران الانضمام إلى منظمة التعاون الخليجى كمراقب، وطلبها الانضمام للجامعة العربية كمراقب، تأكيد على القرب الجغرافى والثقافى والحضارى بين إيران والعرب، والحرص على حسن الجوار، وهو ما يمكن أن يحقق التعاون العربى الإيرانى فى إطار هذين التنظيمين.

وتنبثق هذه الرؤية عن الإيمان بأزلية وأبدية وطبيعة العلاقات العربية الإيرانية من ناحية، والعلاقات الخليجية الإيرانية من ناحية أخرى، وأن هذه العلاقات سواء كانت سلبية أم إيجابية لم تنقطع طوال التاريخ، وأن الطرفين قد تعاونا فى المجالات المختلفة السياسية والاقتصادية والحضارية والثقافية والدينية والعلمية والفنية، ولأن هناك الكثير من القضايا التى ينبغى على الأطراف فى المنطقة بحثها، ليس على سبيل تبادل الرأى

واكتشاف قناعات كل طرف فحسب، وليس لأن هذه القضايا قد فرضت نفسها على ساحة المنطقة فقط، بل لأن بحثها أصبح ضرورة وطنية وعربية وإسلامية. والجدير بالملاحظة أن التواصل كان أكثر فائدة للطرفين، لأنه يستهدف تجنب الفهم الخاطئ والأسلوب الانفعالي فى تحليل سياسات الآخر الداخلية والخارجية، واحترام مبادئ وقيم ومواقف الآخر، وإنهاء المواجهة مع الآخر، وجعل التعاون بديلا عنها، وهذا التعاون لم يقض على تحديات دعم العلاقات فحسب، بل إنه جعل الثقة تحل محل سوء الظن، وعمل على حل المشكلات المعقدة، وإقرار الأوضاع المناسبة لدعم السلام والأمن والصداقة فى المنطقة.

ومن الواضح أن النخبة السياسية فى إيران قد أصبحت أكثر عقلانية، وهو ما ساهم فى جعل إيران حريصة على التقارب مع دول المنطقة، وخاصة الدول الخليجية، وإذا كانت إيران تتعامل مع دول الخليج مجتمعة، من خلال مجلس التعاون الخليجي، فإنما يأتى تقاربها مع كل دولة على حده دون أن تتدخل فى طبيعة العلاقات بين دول الخليج، وتعتبرها شأنا داخليا، ودون أن تعطى الفرصة لأى تداخل بين هذه العلاقات وبين علاقاتها بكل منها، وإن دعوة طهران لإقامة "شرق أوسط إسلامي" من منطلق اعتقادها أن قوة إيران تزيد مع وجودها ضمن تكتل إسلامي؛ تعنى إدراك الإيرانيين أنه يوجد دائما على الساحة الإقليمية خيارات أكثر فائدة من الحماس والتعالي، حيث يمكن إيجاد مصالح مشتركة، ولو بشكل جزئى بين وجهتى نظر أو موقفين مختلفين أو حتى متعارضين تماما، فنشطت حركة الدبلوماسية الإيرانية فى الفترة الأخيرة فى اتجاه الدول الخليجية، ولعل أهم ما ميز هذه الحركة هى قدرتها الديناميكية على متابعة الأحداث والقضايا، وسعيها إلى ابتكار وسائل جديدة تحفظ لها قدرتها على المبادرة.

وهنا يمكن طرح فكرة إعادة تعريف القضايا العالقة من منطلق إخراجها من الطريق المسدود إلى طريق الحل، وقد نجحت هذه الطريقة فى مشكلة بحر قزوين والعلاقات مع آذربيجان وتركمنستان.

وللتقريب بين وجهتى النظر طرحت الورقة إقامة منتدى للحوار بين العرب وإيران حول سبل تحقيق الأمن المتبادل على ضفتى الخليج من ناحية، وفى منطقة الشرق الأوسط من ناحية أخرى، بحيث يضم المنتدى غرفة عمليات للحوار، تضم فريقين: أحدهما إدارى ومالي، يقوم بتوفير سبل اللقاء، وتسهيل الإجراءات، وتقديم الخدمات، وعمل الميزانية والإشراف على تنفيذها، واتخاذ القرارات. والآخر فنى يقوم بإعداد اللجان المختلفة، والتنسيق بين موضوعاتها، وتحديد الإطار والمصلحة المشتركة فى جميع المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية، وصياغة المذكرات والتوصيات. وينبغى أن تكون هذه الغرفة متصلة بصورة مباشرة بالأجهزة المعنية لكلا الطرفين، للتشاور وإبلاغ التوصيات للمسئولين، وإنشاء بنك مشترك للمعلومات، ولجان فرعية تكون بمثابة آلية لتحقيق أهداف الحوار، وكذلك تزويد هذه اللجان بالمقترحات والمتخصصين.

هذا المنتدى يمكن أن يكون نواة لحلف أمنى بين دول الخليج وإيران، بل بين العرب وإيران، بالمعنى الحقيقى لمفهوم الأمن البعيد المدى.

المراجع

١ - عبد الرحمن النعيمي ,الصراع على الخليج العربى ,الطبعة الثانية ,دار الكنوز الأدبية للنشر , بيروت.1994 ,

(2)وليد حمدى الأعظمى : النزاع بين دولة الإمارات العربية المتحدة وإيران حول جزر أبو موسى وطنب الكبرى والصغرى فى الوثائق البريطانى (١٧٦٤ - ١٩٧١) (لندن : دار الحكمة ، ط٢ ، ٢٠٠٣) ص ٥ .

(٣) مدحت حماد ، "العلاقات الإيرانية الإماراتية " التقرير الاستراتيجى الإيرانى السنوى ١٩٩٨، ص ٢٠٣ .

(٤) أحمد إبراهيم محمود " انعكاسات المسألة العراقية ،ص ١٥٠ .

(٥) عبد الجلى مرهون ، "التقارب الإسرائيلى - الخليجى يهدد الأمن الإيرانى " شؤون الأوسط ، عدد ٤٨ يناير ، ١٩٩٦ ص ص ٩٤-, ٩٥

(٦) نيفين مسعد ، " الجديد فى العلاقات العربية الإيرانية " مجلة معهد البحوث والدراسات العربية ، العدد ٢٩ ، ص ص ١٢-١٣

(٧) محمد السعيد عبد المؤمن ، " إيران وآفاق المستقبل ص ١٤٧ .

(٨) كمال صلاح عواد الحازمى الحرب ، " تطوير نظام الأمن الجماعي، ص ,٢٠٦

(٩)سيد عثمان ، " العلاقات الإيرانية الخليجية "مختارات إيرانية عدد ٢٨ ، ص ٩٢

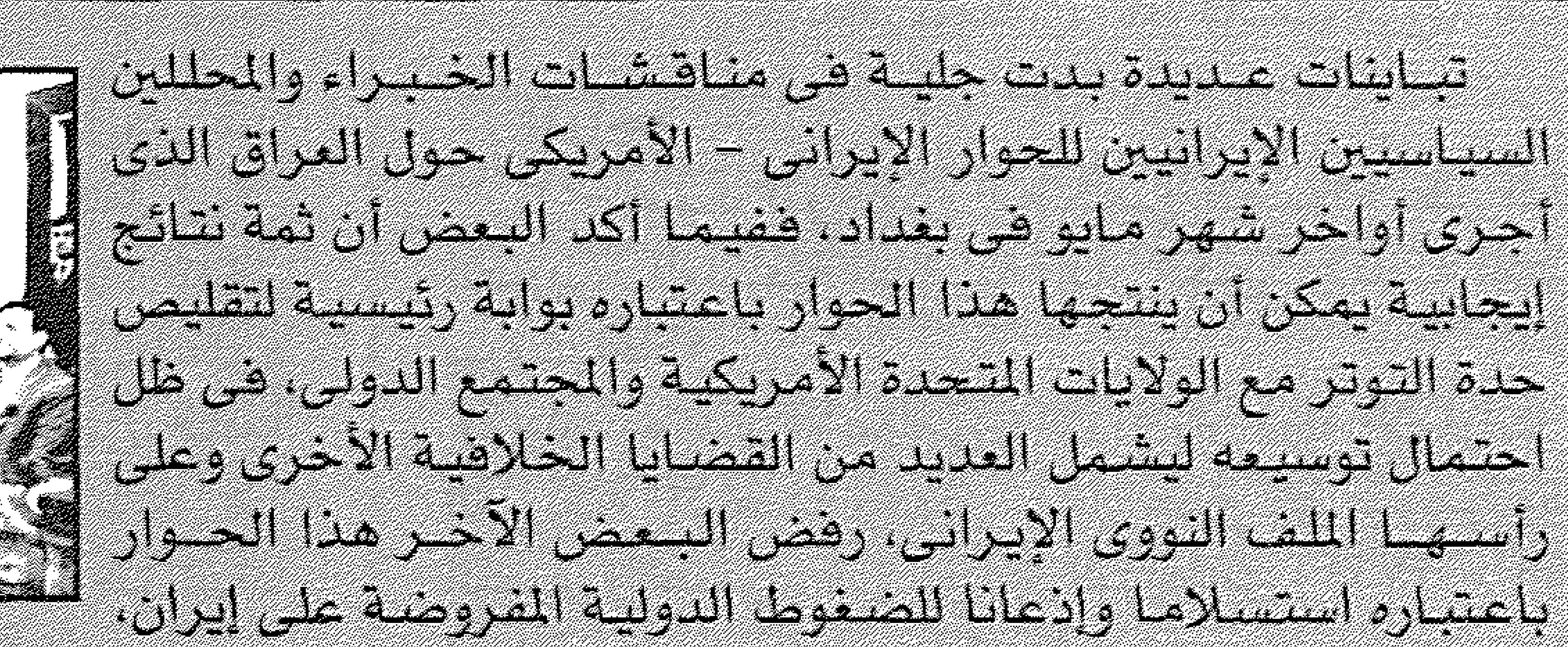
(١٠) محمد السعيد عبد المؤمن : " إيران وآفاق المستقبل " ط. القاهرة ١٩٩٦م. ص ١٤١-١٤٢

لمزيد من المعلومات حول قضية امن الخليج أنظر : داورد هيرميديست باونت " رؤى للترتيبات الأمنية فى الخليج ، ص ٦٩وانظر : محمد على إمامى " الخليج والرؤى الأمنية ص ١٠٥ مجموعة مقالات.

(١١) المصدر السابق .

تفاعلات إقليمية

الحوار الإيرانى - الأمريكى بين مؤيد ومعارض (ملف خاص)




تباينات عديدة بدت جلية فى مناقشات الخبراء والمحللين السياسيين الإيرانيين للحوار الإيرانى - الأمريكى حول العراق الذى أجرى أواخر شهر مايو فى بغداد، ففيما أكد البعض أن ثمة نتائج إيجابية يمكن أن ينتجها هذا الحوار باعتباره بوابة رئيسية لتقليص حدة التوتر مع الولايات المتحدة الأمريكية والمجتمع الدولى، فى ظل احتمال توسيعه ليشمل العديد من القضايا الخلافية الأخرى وعلى رأسها الملف النووى الإيرانى، رفض البعض الآخر هذا الحوار باعتباره استسلاما وإذعانا للضغوط الدولية المفروضة على إيران، خاصة أنه لن يخدم إلا مصالح الولايات المتحدة الغارقة فى المستنقع العراقى. ورغم انتهاء هذا الحوار، إلا أن القضية ما زالت محل نقاش لدى الشارع السياسى الإيرانى. وفيما يلى بعض من وجهات النظر المتباينة حولها.

١- المتهم فى موقع القاضى

■ اعتماد ملى (الثقة الوطنية) ٢٠٠٧/٥/٢٩

بعد المباحثات التى أجريت فى بغداد بين الوفدين الإيرانى والأمريكى صرح السفير الأمريكى فى العراق لوكالة أنباء الجمهورية الإسلامية قائلا إن إيران ضالعة فى الاضطرابات الأمنية فى العراق حيث رد على سؤال حول دخول أسلحة من إيران إلى العراق قائلا: إن هدفنا الأساسى كان العمل بجهد أكثر حول هذا الأمر ولكن الطرف الإيرانى أعلن عدم استعداده لهذا. وكذلك كنا مستعدين للقول إن مثل هذه الممارسات الإيرانية فى العراق ليست خطيرة على العراق فقط وإنما يمتد خطرها إلى المنطقة بأكملها. كما صرح السفير الأمريكى فى ما يبدو أنه محاولة لإظهار عدم احتياج بلاده للتحاور مع إيران قائلا إن الوفد الإيرانى قد قال إنه سيقدم اقتراحا للاستمرار فى المباحثات وإذا تم تقديم مثل هذا الاقتراح فإننا سوف ندرسه فى واشنطن ونتخذ قرارنا بشأنه.

رغم أن اتهام الولايات المتحدة لإيران بالضلوع فى الاضطراب الأمنى فى العراق ليس جديدا إلا أنه نظرا لأنه كان من المقرر أن يقوم الوفد الإيرانى فى بغداد باتهام الولايات المتحدة وإملاء واجبات المحتلين على الأمريكيين فإن تصريحات السفير الأمريكى القائمة على تكرار الاتهام الواهية لإيران بالضلوع فى المشكلات الأمنية العراقية تقلب المشهد تماما وتضع المتهم فى موضع الشاكي.

يتفق المسئولون العراقيون والشعب العراقى على

الإقرار بحقيقة أن احتلال العراق من جانب الولايات المتحدة وبريطانيا هو الذى أدى إلى تدمير العراق وتدنى الأوضاع الأمنية فيه ويؤكدون على أن السبيل الوحيد لعودة الأمن إلى العراق وإنقاذه هو انسحاب المحتلين وترك العراق للعراقيين. هذه هى الحقيقة التى أكد عليها الكونجرس الأمريكى نفسه حيث يرى أعضاء الكونجرس أن السبيل الوحيد للخروج من المستنقع العراقى هو خروج القوات الأمريكية من العراق.

فى مثل هذا الوضع يكون من الطبيعى أن تلجأ حكومة بوش إلى المغالطة وتلجأ إلى اتهام إيران بتصدير الأسلحة إلى العراق وإيجاد خلل أمنى فيه للخروج من دائرة الاتهام من جهة ومن جهة أخرى لإيجاد وسيلة للرد على ضغوط الرأى العام الأمريكى للخروج من العراق. وهذه الطريقة لن تحل مشكلات حكومة بوش الأصغر على الإطلاق ولا يمكن لتكرار اتهام إيران أن ينقذ بوش من مستنقع العراق.

حول الاستمرار فى المباحثات هناك حقيقة هى أن مباحثات بغداد قد تمت بناء على طلب مكتوب من الحكومة الأمريكية وتشير تصريحات السفير الأمريكى فى العراق الذى أعده أن بلاده ستبحث طلب إيران الاستمرار فى المباحثات تشير إلى أن الأمريكيين يسعون إلى تصيد الفرص وبدلا من أن يعيدوا حساباتهم بشأن هذه المباحثات إذا بهم يعملون على وضع أنفسهم فى مكانة أعلى.

قال السفير الإيرانى فى ا لعراق وهو رئيس الوفد الإيرانى فى مباحثات بغداد أن الخلل الأمنى فى العراق هو نتيجة لاحتلال العراق وتأييد المحتلين للإرهابيين. وهذه هى الحقيقة التى أوقعت بحكومة بوش فى المستنقع العراقى والآن يجب أن يدفعوا ثمنها ولكن للأسف تشير تصريحات رئيس وفد المباحثات الأمريكى أن الولايات المتحدة ليست على استعداد للوقوف فى موقف المتهم بل وتضع نفسها فى موضع القاضى وتتهم الطرف المقابل.

بناء على هذا أثبتت مباحثات بغداد بوضوح أن التباحث مع الولايات المتحدة حتى فى قضية خاصة بالعراق ليس بالخطوة الدقيقة المحسوبة. ولهذا فإن من الأفضل عدم الاستمرار فى هذه المباحثات وقطعها فى هذه النقطة. فقد أثبت الأمريكيون أنهم يسعون إلى تحين الفرصة لكى يقولوا للرأى العام الأمريكى والعالمى إنهم قد حطموا تابو الحوار مع إيران من جهة ومن جهة أخرى يكررون توجيه الاتهامات إلى إيران فى قالب مباحثات رسمية وهى الاتهامات التى لم يتمكنوا حتى الآن من طرحها بشكل رسمي. فهل من الصواب أن نقدم مثل هذه الفرصة للمحتلين؟

٢- محاكمة إيران أم الحوار معها؟

■ شرق (الشرق) ٢٠٠٧/٥/٣٠

إذا كان هدف الولايات المتحدة الأمريكية الحقيقى هو محاكمة إيران، فى تلك الحالة ما هو الموقف الذى سيتخذ من جانب الأخيرة؟

تزايد فى الفترة الأخيرة الحديث بشأن المباحثات مع الولايات المتحدة الأمريكية، ومغزى هذه المباحثات هو التفاوض فقط بشأن الملف العراقى. ويبدو أن النخبة الحاكمة قد وافقت على مبدأ التباحث بشأن القضية العراقية وحدها، لكن هذا الشرط يبعث على الدهشة، لأن إيران التى تواجه أزمة فى ملفها النووى مع الولايات المتحدة الأمريكية، قررت التباحث فقط بشأن القضية العراقية دون غيرها من القضايا. والسؤال المهم حالياً، هل جميع من وافقوا على التباحث مع الولايات المتحدة، مقتنعون بمبدأ الحوار فقط حول القضية العراقية وحدها؟

فى هذا الشان وحتى الآن لم يتم استعراض رؤية محددة، والقضية بحاجة إلى توضيح من جانب أشخاص جددوا مثل تلك القضية كمحور وحيد للتفاوض مع الأمريكيين.

على كل حال يوجد غموض إزاء الفائدة التى ستنعم بها إيران إذا تباحثت مع الولايات المتحدة الأمريكية بشأن العراق. لذلك نتساءل، ما هو مغزى الولايات المتحدة من هذه المفاوضات؟ هل تريد تسكين آلام الشعب العراقى من خلال القبول بالنفوذ الإيرانى فى العراق، أم على الأقل تفكر فى حل ينقذها من هذا المستنقع؟ أم لديها هدف آخر؟

إن الاعتقاد بأن مؤسسة السلطة الأمريكية بقيادة بوش تهتم بحقوق إيران فى العراق أو تصور وجود حل فكرى للشعب العراقى، يعد ضرباً من الخيال. بالتأكيد القضية مختلفة تماماً، فالولايات المتحدة تستغل مطالبات متكررة من إسرائيل ودول عربية على رأسها المملكة العربية السعودية والأردن، من أجل اقتلاع النفوذ

الإيرانى فى المنطقة وغلق الطريق أمام أى تأثير إيرانى على التطورات العراقية.

لكن السؤال الذى ينبغى الإجابة عليه، ما الأداة التى ستمكن الولايات المتحدة من الوصول إلى هذا الهدف؟ الأداة تتمثل فى الدعايات واعتقال المسئولين الإيرانيين وإظهار مستندات وأدلة تثبت النفوذ الإيرانى فى العراق، بالإضافة إلى تفعيل الضغط على إيران وتهيئة المناخ اللازم لتسليم إيران تدريجياً كل شئ إلى سلطة عدوها فى القضية العراقية. تلك الأداة تبنتها الولايات المتحدة الأمريكية على مدى السنوات الأخيرة، خاصة خلال الشهور القليلة الماضية. وهى تتحرك فى هذا الاتجاه تحت ضغط من إسرائيل والمملكة العربية السعودية، لكنها لم تتوصل حتى الان إلى أى نتائج، لأنها لم تجرى أى مواجهة مع المسئولين الإيرانيين. الأداة الأخرى تتمثل فى فتح باب الحوار، ليس بهدف القبول بحق إيران فى امتيازات إقليمية، من منطلق تأمين مستقبلها الحدودى مع دولة خاضت معها حرب استمرت ثمانى سنوات. وإنما بهدف محاكمة إيران خلال تلك المفاوضات. وهو الهدف الأساسى للولايات المتحدة الأمريكية. لذلك فالحوار سيمضى فى اتجاه الحق الأمريكى المكتسب طبقاً لمستندات وشواهد تسلمتها الولايات المتحدة من إسرائيل، تريد إنهاء النفوذ الإيرانى فى العراق بأسرع ما يمكن وفتح الطريق أمام هيمنة أمريكية وعربية سنية.

وإذا كان الهدف الأمريكى محاكمة إيران، فى تلك الحالة ما هو الموقف المتخذ من جانب إيران؟ نظراً إلى لهفة العديد من المسئولين الإيرانيين على التفاوض مع الولايات المتحدة، وبسبب ما أبداه مسئولونا من مرونة غير مسبوقة، فإننا سنضل الطريق وستفقد إيران كل شئ فى العراق.

لذلك فإن اقتصار المفاوضات على القضية العراقية يصب فى مصلحة الولايات المتحدة، لأنكم لن تحصلوا على أى مميزات بل ستخرجون من العراق دون أى مكاسب، فما هى الفائدة من تلك المفاوضات؟ فى تلك الأثناء ينبغى إيصال الولايات المتحدة حقيقة مفادها أنه إذا تقرر تحقيق سلام واستقرار فى العراق، فإن ذلك لن يحدث دون الاعتراف بحقوق إيران فى العراق. ينبغى على إيران والولايات المتحدة إدراك أن صدام كان العنصر غير المرغوب فيه والذى ورط المنطقة فى حروب على مدى عشرين عاماً قد ولى وأن عودة البعثيين هو أخطر ما يتهدد المنطقة.

أما إذا تقرر أن تمضى المفاوضات فى إطار اتهام إيران بالتدخل ومحاكمتها، فإن هذا الاتهام سيطال الحكومة الأمريكية التى هاجمت العراق دون تفويض من مجلس الأمن والتى مارست جرائم على مدى سنوات ضد الشعب العراقى، لكن من المؤكد أن إيران لن تتفاوض بمثل هذا الأسلوب الوقح. إن تأمين المصالح الإيرانية فى المباحثات يمكن فقط تحقيقه من خلال امتلاك إيران لشواهد وإثباتات تدين السياسات الأمريكية ضد الشعب العراقى، وبالتأكيد هو الأسلوب الذى سيتبعه الأمريكيون فى الحوار، لذلك ينبغى توكيل هذه المهمة إلى أشخاص ملمين بالسياسة الأمريكية فى المنطقة خاصة فى أفغانستان والعراق.

٣- المحادثات الإيرانية - الأمريكية وتحويل المونولوج إلى ديالوج

■ شرق (الشرق)، ٢٠٠٧/٦/١

أجرى الحوار بين إيران والولايات المتحدة الأمريكية والذى تمحور حول العراق فى المنطقة الخضراء ببغداد وسط أجواء يشوبها الصمت تارة والحذر تارة أخرى، ويحدوها الخوف والرجاء، عبر وساطة "نورى المالكى" رئيس وزراء العراق وبدعم من كلا الجانبين الأمريكي والإيرانى.

وربما كان من أهم نتائج هذا الحوار، وجود استراتيجية مشتركة تسعى لحل التوتر الأمني – الإقليمى على صعيد منطقة الشرق الأوسط. حيث قرار سفراء إيران والولايات المتحدة بعد طول مواجهات استمرت لأكثر من ٢٨ عاماً، وعبر بغداد تحويل المونولوج القائم بين البلدين إلى ديالوج.

وبعبارة أخرى فإن الولايات المتحدة الأمريكية قد وافقت رسمياً أن تكون إيران هى الطرف القادر على حل الأزمة فى العراق وليس تركيا أو الدول العربية.

ومما لا شك فيه أن التفاؤل أكثر من اللازم فى هذا الصدد يعد غير منطقى، أما إقامة أول اجتماع أو على الأقل الاتفاق على اجتماع مرتقب للتباحث حول مشكلات المنطقة المتنوعة والكثيرة لهو تعبير عن الحل عبر الدبلوماسية فى مقابل حل المواجهات والتدافع.

ومن ناحية أخرى، أعرب السيد "رايان كروكر" السفير الأمريكي لدى العراق عن تفائله خاصة بعد الاقتراح الإيرانى القائم على "آلية الأمن ثلاثية الأبعاد"، فى إشارة

إلى إمكانية قبول حل الأزمة العراقية عبر الأطراف الثلاثة إيران، الولايات المتحدة والعراق نفسها. ولعل اجتماع بغداد يعد نقلة نوعية، إذ رأت واشنطن أن السلام مع إيران وبعد أكثر من ربع قرن من قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين بات ممكناً، أما بالنسبة لإيران فهذا الاجتماع يمثل أهمية كبرى، لأنه ولأول مرة يمكن المواجهة عبر المحادثات للتباحث حول الكثير من أزمات المنطقة وغيرها بدون اتهام إيران بالتدخل في العراق وأشياء من هذا القبيل. وقد كتبت صحيفة "الواشنطن بوست" حول هذا الصدد: "أن ناتسى بلوسى" رئيسة مجلس النواب الأمريكي كانت قد انتقدت من قبل البيت الأبيض على الزيارة الأخيرة لسوريا، لكنهم استحسنوا الخطوة التى أقدمت عليها إدارة بوش بخصوص إقامة المباحثات. هذا وقد صرحت بلوسى فى برلين قائلة: إننا نعتقد أن المباحثات أمر غاية فى الأهمية، وأخيراً فإنه يتحتم تجريب كافة السبل الدبلوماسية. ويبدو من تصريحات بلوسى أن نصف الجمهوريين بزعامة السيدة رايس وزيرة الخارجية الأمريكية وغالبية الديمقراطيين قطعاً يرحبون بالمباحثات مع إيران، كما يبدو كذلك أن تقرير "بيكر - هميلتون" قد دخل حيز التنفيذ بالفعل، لأن الهدف الأساسى من وراء هذا التقرير الدخول فى مباحثات مع سوريا وإيران لحل الأزمة فى العراق.

إن زيارة بلوسى لدمشق، واجتماع بغداد بين الجانبين الإيرانى الأمريكي ما هو إلا البحث عن الحلقة المفقودة فى تقرير "بيكر - هميلتون"، ولكن النقطة الجديرة بالاهتمام فى هذا الاجتماع أن استمرار التوتر فى العلاقات الثنائية الإيرانية الأمريكية قبيل المباحثات كان يعنى عدم تحقيق كافة الأهداف والمصالح المرتبطة بالمنطقة بالنسبة لكليهما، لكن استمرار المباحثات على الأقل يضمن إلغاء خيار المواجهات العسكرية بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية. وعلى أية حال، فإن اجتماع بغداد قد أوضح أن اللاعب الأساسى فى الساحة العراقية هو إيران وليس العرب ولو إن الولايات المتحدة قد أدركت ذلك بعد أربعة سنوات، إلا أن هذا الاجتماع الأخير ببغداد كان بمثابة الاعتراف الرسمى بالدور الإيرانى فى العراق.

العرب واجتماع بغداد:

إن الإعلان الرسمى للولايات المتحدة والقائم على أن حل الأزمة العراقية يجب مروره عبر إيران يبدو أنه قد أثار ردود فعل عربية، إذ إن المملكة العربية السعودية وبعض الدول العربية ورغم أنهم قد عارضوا تقرير لجنة "بيكر - هميلتون" صراحة، نظراً لأنه يعتبر بمثابة الاعتراف بالدور الإيرانى رسمياً فى المنطقة، غير أن اجتماع بغداد قد جسد بالفعل هذا الدور فى الشرق الأوسط، وهكذا كان من شأن تفعيل المباحثات الإيرانية الأمريكية وإعلان موافقة الطرفين عليها إثارة مخاوف المسئولين العرب فى المنطقة، حيث إن هذا التحول السياسى فى المواقف سيكون له تداعياته على المنطقة، لكون الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها قوة عظمى تقبل الجلوس مع إيران قد يعنى أن الأخيرة هى الأخرى قوة إقليمية كبرى، فضلاً عن كون هذا التغير يعد انتصاراً للجانب الإيرانى.

ورغم إن الدول العربية فى قمتهم الأخيرة للجامعة العربية بالرياض (مارس / ٢٠٠٧م)، كانوا قد شكلوا لجنة رباعية من المملكة العربية السعودية، الأردن، الإمارات العربية المتحدة ومصر لبحث سبل الخيارات والسيناريوهات المطروحة حول المواجهات العسكرية الإيرانية الأمريكية والاستعداد لعزل إيران، غير أن اجتماع بغداد الأخير قد بعث برسالة هامة لهؤلاء جميعاً، وهى أن إيران بدون وساطة العرب والاستفادة من هويتهم بالعراق لربما قد تفقدأهميتهما بالمنطقة. فمن المؤكد أن الدبلوماسية العربية ومواقفها المعروفة ضد إيران قد سعت لإفشال مثل تلك المباحثات، وحتى أن "بندر بن سلطان" كان قد سافر فى زيارة خاصة إلى البيت الأبيض لتوضيح هذا الهدف، وأن إيران الشيعية لا يمكنها المساعدة لو أن الأمريكيين ساعدوا المتمردين السنة بالعراق. وبعبارة أخرى، فإن تعطيل القناة الدبلوماسية بين إيران والولايات المتحدة لسنوات طوال قد ساعد العرب على الحديث عن عزل إيران، والإدعاء بأنها تتدخل فى شئون العراق الداخلية ولبنان أيضاً، ومحاولتهم تحريك اليمن للإدعاء بأن إيران تسعى للتدخل فى شئونها الداخلية عبر إثارة الشيعة باليمن، هذا إضافة إلى محاولتها تغيير اسم الخليج العربى والادعاءات الواهية عن الجزر الإيرانية الثلاثة وغيرها، بيد إن وجود علاقة إيرانية مع دولة مهمة مثل مصر له أهميته للاعتبارات التالية:

١-إن مصر مثل المملكة العربية السعودية ودول مجلس تعاون الخليج، لكنها ليست لديها الحساسية الكبيرة حيال مشاركة السنة فى بنية العراق السياسية.

٢-وكذا فإن مصر فى حالة إعادة دورها المفقود فى العالم العربي، وتولى زعامته مجدداً ولعل وجود علاقة مع إيران، وعلى اعتبار النفوذ الطهرانى فى بغداد ودمشق، قد يكون عاملاً مساعداً فى هذا الأمر.

٣-ومصر لربما قد تلعب دوراً مؤثراً بالنسبة لإيران فى العراق أكثر من دور المملكة العربية السعودية.

٤-مصر قد تكون بمثابة بوابة إيران إلى منطقة شمال أفريقيا.

ومن ثم فإن الإعلان عن استعداد السيد "محمود أحمدى نجاد" فى الإمارات لتحسين العلاقات مع مصر لربما يفسر من هذه الناحية واستمالة العرب حيال اجتماع بغداد وأيضاً لربما يكون إشارة قوية على حمل القاهرة مسئولية الطرف السنى وقضايا العرب فى العراق خلال الفترة القادمة غير أنه يقوى من سير عملية المباحثات الثنائية مع الولايات المتحدة الأمريكية.

روسيا واجتماع بغداد

تاريخ العلاقات الخارجية الإيرانى الروسى ممتلئ بكثير من الشك وعدم الثقة وسوء الظن. بدءً من معاهدة تركمنتشاى وحتى جلستان، وكذا فإن إحداثيات تأسيس مفاعل بوشهر ووصولاً بالتلاعب على العضوية الدائمة بمجلس الأمن وصدور القرارات الأخيرة حيال إيران فجميعها يشير إلى سياسة موسكو حيال إيران القائمة على الازدواجية. ولكن روسيا رغم قدراتها على المواجهة مع الولايات المتحدة الأمريكية لم تقدر على مواجهة الهيمنة الأمريكية فى شرق أوروبا وآوراسيا فحسب وإنما عجزت كذلك على القيام بالتزاماتها القانونية الخاصة بالمشروعات الاقتصادية لاسيما مشروع مفاعل بوشهر. حتى أنها قد وقفت تنتظر هزيمتها فى بغداد حينما راحت تعرب عن قلقها إزاء تقارب المواقف بين طهران وواشنطن حول العديد من القضايا الإقليمية ومن جلتها القضايا المتعلقة بمنطقة آسيا الوسطى وبحر قزوين. وبعبارة أخرى أكثر توضيحاً فإن الروس وتحت الضغط من قبل الناتو تارة والقوات الأمريكية المتمركزة بالمنطقة، وداخل حدود مناطق نفوذها تارة أخرى تخشى من إنجاح المباحثات الإيرانية الأمريكية. ولربما الزيارة الأخيرة لـ بوتين إلى بعض الدول العربية ومن جملتها زيارته إلى السعودية كانت للحيلولة دون تحقيق هذا الهدف.

ولعل وعد الروس للعرب بتأسيس مفاعلات نووية عربية على غرار مفاعل بوشهر يشير أيضاً إلى السياسية الروسية الساعية إلى عدم تحقيق أمنى تقارب إيرانى - أمريكى ينعكس بدوره على دورها فى المنطقة.

أوروبا واجتماع بغداد:

ومن ناحية أخرى، فإن فشل المقترحات الأوروبية المطروحة فى إطار المفاوضات بين الاتحاد الأوروبى وإيران قد قاد الولايات المتحدة الأمريكية إلى خوض المباحثات بنفسها مع إيران، والواقع أن فشل الاتحاد الأوروبى فى حل أكثر من توتر دولى وخاصة فشلها فى حل أزمة البلقان، إضافة إلى وصول ساركوزى إلى سدة الحكم فى فرنسا كل ذلك جعل الأمريكيين يغيروا من التكتيك الأمريكي حيال إيران، الأمر الذى أفضى إلى اجتماع بغداد، ولربما هذا بدوره قد يفضى كذلك إلى حل الأزمة اللبنانية فى المستقبل المرتقب وبمشاركة فرنسا وإيران مع الدول المعنية بمسألة.

وعلى أية حال، يتحتم الانتظار لنتائج هذا الاجتماع بين الجانبين والذى قد يفضى بعضها إلى حل قضايا الشرق الأوسط بعد إفشال الدور الأوروبى فيها. وكذلك فإن المباحثات الحالية بين الولايات المتحدة وإيران يبدو أنها قد كسرت تابو الحوار الذى دام لأكثر من ٢٨ عاماً، ليحين الوقت الذى يجلس فيه جميع الأطراف فى مواجهة مباشرة لإيجاد مجالات مشتركة يمكن التعاون فيها. وهذه المرة كانت بغداد هى الملتقى الذى يجمع الطرفين المتخاصمين فى سابقة هى الأولى من نوعها، الأمر الذى قد يؤدى إلى نتائج عكسية على بقية الأطراف الإقليمية والدولية الأخرى ومن جملتها الاتحاد الأوروبى.

حوار بغداد خطوة أولى:

وصف السيد حسين كاظمى قمى سفير إيران لدى العراق بعد حوار مطول دام لأكثر من أربع ساعات مع نظيره الأمريكي "رايان كروكر" وصف الحوار بأنه خطوة أولى فى مرحلة جديدة من المباحثات. ففى المؤتمر الصحفي الذى أقيم بعد الحوار أعلن أن مواقف بلاده صريحة وشفافة وأنها تلقى تأييداً من السيادة العراقية وبهذا يمكنها القيام بدور مؤثر فى إدارة الأوضاع هناك.

هذا وقد أوضح السفير الإيرانى فى العراق فيما يتعلق بأهمية مشاركة الحكومة العراقية فى اجتماع بغداد قائلاً: إن الولايات المتحدة الأمريكية قد أقدمت على الهجوم واحتلال العراق بدون شرعية الأمم المتحدة. وإطلاق المحتل على قواتها كان سبباً للمشاركة، إضافة إلى أن بقاءها لأربع سنوات بالعراق دون جدوى فى استقرار الأوضاع وحل المشكلات هناك قد جعلها تقبل الدخول فى مباحثات مع إيران بمشاركة العراق. ورداً على الادعاءات القائلة بتدخل إيران فى شئون العراق أكد رئيس هيئة المباحثات الإيرانية مع الولايات المتحدة السيد كاظمى قمى أنها ادعاءات باطلة وغير جدية، وفى تساؤل آخر يتعلق بكيفية المساعدات الإيرانية فى استقرار الأمن بالعراق أكد كاظمى أن حكومة العراق ملزمة بإقرار الأمن هناك وإنما دورنا فقط ينطوى على مساعدتها. وفى هذا الصدد، أوضح كاظمى أن إيران مستعدة إلى تقديم كافة إمكانياتها الأمنية من تدريبات لعناصر الأمن العراقية وإلى غير ذلك من الأمور التى من شأنها استعادة الأمن فى العراق.

هذا ولم يتطرق السفير الإيرانى لدى العراق إلى مسألة طرد أعضاء المنافقين (كوادر مجاهدى خلق) من العراق مؤكداً أن الحكومة العراقية لسوف تسعى من نفسها إلى طرد هؤلاء العناصر الإرهابية.

هذا وقد أعلنت وكالة الأنباء الفرنسية نقلاً عن كاظمى قمى أنه بشكل عام لا يمكن اعتبار هذا الحوار المبدئى شيئاً إيجابى وإنما وصفه بأنه خطوة أولى على الطريق الصحيح بين البلدين. وكذا نشرت صحيفة الصباح العراقية حول المباحثات المقيمة فى بغداد أن دخول الأطراف الثلاث، الأمريكية، الإيرانية والعراقية فى مباحثات حول الأوضاع فى العراق من شأنه حل كافة المشكلات العالقة، التى من المنتظر حلها فى المباحثات المرتقبة فى بغداد أيضاً.

٤- المحادثات نقطة تحول

■ صادق زيبا كلام ■ اعتماد ملى (الثقة الوطنية) ٢٠٠٧/٥/٣٠

مضى على الثورة ما يقرب من ثلاثين عاما ويمكن اعتبار المحادثات مع الولايات المتحدة هى أهم حدث يتم على مستوى السفراء وبشكل علنى دون أن يتدخل فى هذه المحادثات أى طرف ثالث أو دون أن تتم سرا مثل حادثة ماكفرلين التى كشف النقاب عنها فيما بعد. على أية حال هذه هى أولى الاتصالات الرسمية والعلنية بين إيران وبين الولايات المتحدة. وهذه المباحثات تمثل فى ذاتها نقطة تحول ولا شك سوف يذكر المؤرخون تاريخ إجرائها على أنه نقطة تحول.

إذا كانت الظروف السياسية مختلفة لكان احتمال إجراء هذا المحادثات ضعيفا بمعنى أنه كان من المستبعد إجراؤها فى عهد حكومة رفسنجانى أو خاتمى ومن المؤكد أن الأصوليين لم يكونوا ليسمحوا بإجراء مثل هذا الحوار حيث كانوا سيذهبون إلى تخطئة مثل هذا الأمر أو بمعنى آخر لم تكن هذه المحادثات لتجرى من الأساس أو كان الأصوليون سيهاجمونها هجوما شديدا وكانت معارضتهم لها لتصل إلى أبعد حد. ولكن الآن نظرا لتأييد الأصوليين للحكومة والارتباط الوثيق بين المحافظين وبين مراكز صنع القرار عقدت هذه المباحثات. وبالطبع هناك عدد من الشخصيات الأصولية التى ردت على سؤال حول كيفية تحقق هذه المباحثات بمحاولة تغيير المباحثات إلى حوار أو الحوار إلى مباحثات وكانوا يريدون أن يقولوا إنهم لم يحيدوا عن المبادئ. على أية حال أجريت المباحثات وأنا أرى أن الخطأ الذى ارتكبه عدد من الشخصيات الأصولية هو أنهم صنعوا من المباحثات مع الولايات المتحدة تابو حتى لا يمكن لأحد أن يجرؤ بالتعبير عن رأيه.

حتى إذا قبلنا بأننا أعداء للولايات المتحدة وأن بيننا وبينها عداء (بالطبع أنا لا أرى أن بيننا وبين الولايات المتحدة عداء) فإننا نستطيع بل ويجب أن نتحدث مع الأمريكيين عن مصالحنا المشتركة. فهناك مجالات مختلفة ليس بيننا وبينهم خلاف فيها بل وهناك اتفاق فى الرأى بشأنها فقد كنا متفقين مع السياسة الأمريكية فى أزمة البوسنة والهرسك وأزمة أفغانستان والتشدد الشيعى والسني. وبالنسبة للمصالح المشتركة مع الولايات المتحدة بشأن العراق فإن هذا أوضح من الشمس. نحن نريد حكومة قوية ومركزية وعلى كفاءة فى العراق كحكومة تميل إلى الشعب العراقى وبالطبع سوف يكون الشيعة ذوى نفوذ فى العراق لأنهم يمثلون ستين بالمائة من الشعب العراقى وهناك وحدة تاريخية بين إيران وشيعة العراق. فى الوقت نفسه نحن نريد فى العراق حكومة مستقرة وقوية والولايات المتحدة أيضا تريد ذلك وليس المهم الآن أن تكون هذه الحكومة شيعية أو كردية أو غير ذلك المهم هو أن تكون سلطة نابعة من أغلبية الشعب العراقى لكى يسود الحكم الديمقراطى. لهذا فنحن والولايات المتحدة نريد عراقا متضامنا لأن إيران لا تريد تقسيم العراق إلى قسم للسنة وقسم للشيعة وقسم للأكراد. ومن جهة أخرى لن ترحب إيران بأى حال بوجود جمهورية مستقلة فى شمال العراق لأن هذا يمكن أن يكون مدعاة لعدم الاستقرار والاضطرابات العرقية فى إيران. ومن هنا فنحن نتفق مع الولايات المتحدة فى معارضة الحركات العرقية المتشددة فى العراق.

من الوجهة الاقتصادية أيضا عندما يتحقق الاستقرار فى العراق فإن التجار والمستثمرين الإيرانيين سوف يستفيدون من تصدير مختلف البضائع إلى العراق الذى يمتلك مصادر اقتصادية كبيرة بوصفه سوقا كبيرة يبلغ عدد سكانه عشرين مليونا. أى أن كلا من إيران والولايات المتحدة لديه مصالح اقتصادية طويلة المدى فى العراق ولهذا فلسنا نحن ولا الولايات المتحدة نريد أن يكون العراق مضطربا ومن المؤكد أن هذه المصالح المشتركة تغلب على العداوة بين إيران والولايات المتحدة.

إذا تمكننا من التوصل إلى اتفاق وتفاهم مع الولايات المتحدة فى العراق فإن هذا فى الواقع سيكون بداية موسم حل كافة الخلافات والاتفاق مع الولايات المتحدة يعنى أننا لسنا أعداء لها وأننا نستطيع أن نقف معا جنبا إلى جنب. ولكن يبقى السؤال: فى حالة اتفاقنا مع الولايات المتحدة فى الرأى ووجود الثقة المتبادلة بيننا حول قضايا العراق لماذا لا ننتهج نفس النهج فى القضايا الأخرى؟ فهذا الاتفاق يمكن أن يتم بشأن قضية أفغانستان والقضايا الأخرى؟

إننى على يقين من أن فرصة هذه المباحثات فى تحقيق تقدم أكثر من فرصها فى الإخفاق أو الخلاف إلا لو كنا سنتشكك فى النوايا. أى أن نتشكك فى أنهم يريدون تحقيق الاستقرار فى العراق ولكن نظرا لأن كلا

الطرفين يريد الاستقرار فى العراق فأنا أرى أن المباحثات سوف تحرز تقدما. كما أن موافقتهم على استمرار المباحثات يعد خطوة تاريخية بشرط حضور المسئولين العراقيين.

بالطبع لا يجب أن ننسى أننا كنا ننظر إلى الولايات المتحدة نظرة عداء طوال الثلاثين عاما الماضية بسبب الأدبيات السياسية التى كانت سائدة فى البلاد كما كانت الولايات المتحدة تعتبر إيران عدوا لها وللغرب ولذلك لا يجب أن نتوقع أن تنتهى كافة الخلافات بين عشية وضحاها ولكن المستقبل كفيل بهذا وسوف تحل الأزمات القائمة بين إيران وبين الولايات المتحدة. أنا أعتقد أن الجزء الرئيسى من المشكلات فى المنطقة يرجع إلى التوجه العدائى بين إيران وبين الولايات المتحدة وهو ما يجب أن يحل.

٥- النافذة الأولى للحوار الأمريكى - الإيرانى

■ شرق (الشرق) ٢٩/٥/٢٠٠٧

جلست الولايات المتحدة الأمريكية أخيراً وبشكل مباشر مع إيران على مائدة المفاوضات. هذا هو العنوان الرئيسى فى وسائل الإعلام الدولية على مدى الأيام الأخيرة. بدأت هذه المفاوضات عندما طالب عبد العزيز الحكيم رئيس المجلس الأعلى الإسلامى من طهران وواشنطن إجراء مباحثات بشأن الأزمة العراقية. لقد سعت واشنطن منذ غزو العراق وحتى الآن إلى استبعاد أهم دولتين بالمنطقة من نطاق العمل الإقليمى الرامى إلى حل الأزمة العراقية، وقد انتقدت عدة تقارير بالإضافة إلى عدد كبير من الخبراء الأمريكيين سياسات حكومة جورج بوش التى لم تأخذ فى الاعتبار العوامل المحيطة بالأزمة العراقية. وخلال تلك الأثناء خشيت الولايات المتحدة من التقارب مع إيران أو مطالبتها بتخفيف الضغوط الموجودة فى العراق باعتبارها مقدمة لانهيار التوازنات الراهنة. لهذا قبل أن تقبل واشنطن بمبدأ الحوار مع إيران طمأنت حلفائها فى أوروبا والشرق الأوسط أن المباحثات مع طهران لن تتخطى نطاق والوضع العراقى المتأزم. لذلك فإن تعيين كروكر السفير جديد للولايات المتحدة فى بغداد كرئيس لوفد التفاوض مع إيران واختيار بغداد كمقر لعقد اجتماعات التباحث يأتى فى إطار تفسير مدى التخوف الأمريكى من نتائج التباحث مع إيران.

من ناحية أخرى أبدى المسئولون الإيرانيون مخاوفهم من عدة نقاط كان على رأسها إظهار إيران كأحد أطراف الصراع فى العراق إذا ما رفضت طهران القبول بمبدأ التفاوض مع الولايات المتحدة. ونتيجة للقوى المعارضة لاحتلال العراق فى المنطقة والحكومات العربية المحافظة التى تضع إيران فى قائمة الدول التى تعمل على تأجيج الصراع العراقى، أدركت إيران هذه المعادلة فورد على لسان رئيسها أن الهدف من المباحثات مع الجانب الأمريكى هو تحديد مهام القوات الأمريكية المستقرة فى العراق بوصفها قوات احتلال. مع كل حال فقد واصلت إيران الولايات المتحدة قبيل بدء المفاوضات بأسبوع حملات دعائية ضد بعضهما البعض.

وفى حين أعلن الجانب الأمريكى أن إيران تدير شبكة من القوات الفدائية ضد القوات الأمريكية المتمركزة فى العراق وأنها تمد هؤلاء المقاتلين بأسلحة متقدمة لتصفية الجنود الأمريكيين، أعلنت إيران من جانبها أنها كشفت عن شبكة تجسس أمريكية تعمل فى إيران بهدف إيجاد عدم استقرار. كان هذا ملخص الوضع قبيل البدء فى المفاوضات لكن الطرفين كانا يعولان على قدرة وفودهما المشاركة فى المفاوضات.

الاجتماع الأول بين إيران والولايات المتحدة فى أحسن حالاته كان بالغ الحساسية من حيث اختيار كل طرف للطرف الاخر والتعرف على مطالب وآمال كل طرف. هذه أول خطوة بعد حوالى ثلاثة عقود من الانفصال مرت فيها العلاقات بالعديد من التراكمات لذلك فضل الجانبين، إتباع أسلوب وسطى يجمع بينهما على طريق الأزمة العراقية. ونتيجة لذلك يمكن القول أن العراق سيتحول إلى نقطة تحول فى تاريخ العلاقات الإيرانية الأمريكية، لأنه سيكون من الصعب الخروج من هذه المفاوضات دون التوصل إلى الحد الأدنى من التوافق.

فعلى الجانب الأمريكى يعد ضمن أهداف الحرب على العراق تنفيذ مشروع الشرق الأوسط الكبير، ودمقرطة الأنظمة السياسية الشرق أوسطية، وإقرار سلام دائم بين العراق وإسرائيل وتأمين المصالح الأمريكية فى منطقة الخليج الفارسى (العربى) الاستراتيجية. لكن الولايات المتحدة الأمريكية أدركت على مدى العوام الثلاثة الماضية حقيقة مفادها ضرورة تعديل أهدافها بما يضمن تحقيق الاستقرار فى العراق وجدولة انسحاب القوات الدولية والتسليم بسيادة ووحدة الأراضى العراقية. وهى مطالب لا تتعارض على الأقل مع المصالح القومية الإيرانية لهذا يبدو أن الجانبين الأمريكى والإيرانى قد توصلا إلى نقطة البدء فى المفاوضات.

٦- ماذا بعد المباحثات مع أمريكا؟

■ سيد ضياء الدين احتشام ■ إيران ٢٠٠٧/٦/١٧

فى النهاية قبلت الولايات المتحدة شرط إيران وتقدمت بطلب رسمى للحوار مع إيران إلى وزارة الخارجية عن طريق سفارة سويسرا وبهذا إنتهى أول عقبة أو "مانع شكلى" فى سبيل وفى طريق إجراء المباحثات الإيرانية - الأمريكية. قبل ذلك كان الأمريكيون يكررون طلبهم إجراء مباحثات مع إيران عن طريق وسائل الإعلام أو الوسطاء ولكن طهران كانت متمسكة ومصرة على نقطة جوهرية وهى طالما أن هذا الأمر أو الطلب لم يتخذ من العراق والقنوات الرسمية فلن يكون له أى أثر أو نتيجة.

المؤكد أن طهران فى بداية القضية كانت تتلقى هذا الطلب الأمريكي عن طريق القنوات غير الرسمية ولهذا كانت ترسل ردها إلى واشنطن عن طريق وسائل الإعلام ولكن ما حدث فى المرة الأخيرة كان أمراً مختلفاً. ففى يوم الأحد الماضى تم استدعاء سفير سويسرا فى طهران إلى وزارة الخارجية الإيرانية وقيل له رسمياً أن طهران سوف تبحث فقط الرسائل الرسمية الأمريكية التى ترسل إليها عن طريق السفارة السويسرية باعتبار أن سويسرا هى راعى المصالح الأمريكية فى إيران.

بعد هذا التطور لم تمض فترة طويلة حتى قامت الولايات المتحدة بتقديم طلب رسمى بإجراء مباحثات مع إيران وبدورها أعطت إيران رداً إيجابياً بالقبول.

السؤال هنا كالتالى: لماذا قبلت إيران إجراء حوار مع الولايات المتحدة بشأن العراق؟ خاصة وأن الذين ينتقدون هذا الأمر يقولون إن إيران لا تملك أى سلطة أو أهلية لحل المشكلة أو المشكلات الأمريكية فى العراق.

الإجابة على هذا السؤال تستوجب البحث فى الفضاء العراقى المعقد جداً وهو ما سنعمل على تحقيقه الآن.

بعد سنوات من احتلال العراق من جانب الولايات المتحدة بات صحيحاً أن الولايات المتحدة تعانى من أزمة أمنية حادة وكل يوم يقتل عدد من جنودها فى العراق لكن لا يجب حصر هذه المشكلة فى الولايات المتحدة وحدها ولا يجب أن نغفل أن هذه المشكلة طالت بدورها حكومة المالكى أيضاً.

أيضاً بعد سنوات من الحكومات السنية البعثية، تبدو حكومة المالكى أول حكومة شيعية فى العراق وهذا الأمر نفسه وفى حد ذاته مفرح وغير سار بالنسبة لأغلب دول المنطقة خاصة ذات النفوذ الكبير منها مثل مصر والسعودية بل وغيرها من الدول الصغيرة مثل الأردن والكويت. الملفت للنظر والمثير للانتباه هنا أن عدداً من هذه الدول لم ترسل سفرائها إلى بغداد على الرغم من أن العراق عضواً كامل الأهلية من أعضاء جامعة الدول العربية وبعبارة أخرى نقول إن الجهود المبذولة من تلك الدول ولكن بشكل غير معلن تصب جميعها فى زاوية ومن أجل تهميش وعزل الحكومة العراقية الحالية.

بالنسبة لهم- أى الدول التى لم ترسل سفرائها للعراق- سوف يكون خبراً ساراً جداً أن يتم الإعلان عن سقوط أول حكومة شيعية فى العراق لإخفاقها فى النواحى الأمنية، خاصة أنهم يدركون جيداً الروابط والصلات التى تربط أو تجمع بين حكومة المالكى وبين طهران فالمالكى نفسه كان مقيماً لسنوات فى إيران بل وله علاقات صداقة مع الكثير من المسئولين الإيرانيين.

إن سقوط حكومة المالكى يمكن قراءته باعتباره سقوطاً لأحد الحلفاء المهمين لطهران والأسوأ من ذلك أن سقوط المالكى يمكن أن يسفر عن ظهور وارتفاع شأن تيار ما يكون معارضاً وبقوة لإيران، ومن ثم تتكرر مشكلة العراق الصدامية (أى عراق صدام حسين) بالنسبة لإيران بشكل أو بأخر ويكون من شأن ذلك إلحاق الأذى ولسنوات طويلة قد تمتد لعقود من السنين بالحدود الغربية الإيرانية وهو ما سيؤثر وبقوة على الأمن القومى الإيرانى.

من هنا- ولهذا السبب- فإن حماية حكومة نورى المالكى يعد أحد أهم المحاور الاستراتيجية للسياسة الخارجية الإيرانية فى المنطقة لأن هذا الموضوع يعد جزءاً غير قابل للفصل من منظومة الأمن القومى الإيرانى على المدى الطويل. فى المقابل وبالتوازى مع ذلك لا يمكن لنا أن ننسى أن الأمريكيين قد يفضلون إشراك طهران فى الملف العراقى من منطلق إدراكهم أن الأمن العراقى هو جزء من الأمن الإيرانى أو هو كل الأمن الإيرانى وأنهم لهذا السبب قد يقبلون بمشاركة إيرانية ما فى هذا الملف شريطة أن يتحقق أمران وهما:

أ- أن ينعكس ذلك إيجابياً على المصالح الأمريكية.

ب- ألا تتحمل الولايات المتحدة أية تكلفة جراء تلك المشاركة الإيرانية.

بالإضافة إلى ذلك من المهم أيضاً التأكيد على أن الحل النسبى للأزمة الأمنية فى العراق يمكن أن يهدئ

إلى حد كبير من القلق الأمريكي ويطمئنها أيضاً من ناحية وجودها فى العراق بما يتيح لها فى النهاية فرصة ممارسة الضغوط من جديد وبشكل أكثر راحة وفاعلية على إيران.

هنا تبدو الصورة المعقدة للمعادلة العراقية بالنسبة لكل من طهران وواشنطن وهنا تبدو أيضاً صعوبة التسليم بأن سلوك طهران هو الطريق لحل الأزمة العراقية.

بعبارة أكثر بساطة نقول إن حل الأزمة الأمنية العراقية يعد لصالح إيران من ناحية أساسية وهى أن يتم دعم وتثبيت حكومة المالكى باعتبارها حكومة إيران. من ناحية أخرى سوف يؤدى حل الأزمة العراقية إلى تحرير جزء كبير من الطاقات والقدرات السياسية والعسكرية الأمريكية وهو ما سيمنح الولايات المتحدة فرصة مساوية تماماً لاستخدام ذلك الجزء من الطاقات والقدرات الذى سيتم إطلاق سراحه من قيد الأزمة العراقية لكن من أجل الضغط على إيران وتهديدها به.

من هنا يمكن القول صراحة إن جهاز الدبلوماسية الإيرانية قد وضع "السيف" بين شفتيه ولم تعد له أية حيلة سوى إعمال وممارسة المزيد من الاحتياطيات فى التباحث مع الولايات المتحدة لأن "حسن النية الأمريكية" لم يتوفر حتى الآن تجاه الإيرانيين.

مما لا شك فيه أنه إذا لم ترى إيران المؤشرات الدالة على أن الولايات المتحدة سوف تقوم بدفع ثمن التباحث الإيرانى معها وأنها تريد فقط تهيئة المناخ اللازم فى العراق لتحقيق الأمن المفقود لجنودها هناك وبشكل مجانى، إذا لم يحدث ذلك فإن الخيار الوحيد الذى سيكون مطروحاً أمام الإيرانيين هو الإيقاف السريع للتباحث مع الأمريكيين.

من هنا يمكننا القول بأن الولايات المتحدة - من خلال سلوكها- هى التى سوف تقرر هل سيتم "إجهاض" المباحثات فى المراحل الأولى لتكوين الجنين أم أن الإبقاء على "الجنين" حتى يكتمل نموه سيكون هو الخيار الأمثل؟

٧- هل وافق المرشد على الحوار مع الولايات المتحدة حول العراق؟

■ إيران ٣٠/٥/٢٠٠٧

بداية هل يتصور أحد إمكانية موافقة مرشد الثورة على خوض إيران المباحثات مع الولايات المتحدة حول العراق؟ فالإجابة على هذا التساؤل ووفقاً لجميع الشواهد والقرائن تشير إلى النفى، إذ أنه - كالمعتاد - يرفض أى نوع من التفاوض وحول أى شئ وبشكل مطلق مع الولايات المتحدة.

ولعلنا إذا ما تناولنا تصريحات المرشد وخاصة تصريحاته الأخيرة لسوف نكتشف الكثير من النقاط الجديدة بالاهتمام حول ملف المحادثات مع الولايات المتحدة ومن أهم وأبرز تلك النقاط ما يلى:

١ - إن الأشخاص الذين يظنون أن مرشد الثورة قد أجاز المباحثات مع الولايات المتحدة حول العراق كانوا على خطأ، لأننا لو استندنا إلى تصريحاته الأخيرة وخاصة تلك التى أدلى بها فى مشهد لسوف نلاحظ أنه نفى أى نوع من التفاوض مع الولايات المتحدة وبشكل مطلق ودون استثناء، بما يعنى أن العراق غير مستثنى من هذا الإطلاق، حيث أنه قد استند على تصريحات الأمريكيين "إذ أنهم قالوا إننا نتحدث عن العراق وليست هناك ثمة مسألة أخرى للمحادثات. غير أننا نقول لهم حتى مسألة العراق غير قابلة للمحادثات. وإنما الحوار حول وظيفة المحتل وتوفيره الأمن للعراق".

وبهذا يكون مرشد الثورة قد أكد فى كلمته رداً على التصريحات الأمريكية "أن مسألة العراق غير معنية بهم" وطالما أن مسألة العراق لا علاقة للولايات المتحدة بها فعلى أى شئ إذن تتم المحادثات بين إيران والولايات المتحدة؟!

٢ - الواقع أن حال رجال السياسة قد يثير التعجب أحياناً، لأن بعضهم مازال يختلط عليه الأمر بين تعريف المباحثات والحوار، لماذا؟ نظراً لكون المباحثات (المحادثات) فى العرف السياسى تعنى التباحث حول الاختلافات الموجودة بين دولتين ومن ثم يسعى الطرفان فى خوض مباحثات الغرض منها الوصول إلى حل وسط مرضى للطرفين وذلك عبر التفاوض مع بعضهم البعض حتى يتم التلاقى حول نقاط مشتركة.

وحول هذا الصدد، كان مرشد الثورة قد تحدث تفصيلاً فى تصريحاته التى كان أدلى بها فى فبراير عام ٢٠٠٢م، حينما تحدث عن المباحثات مع الولايات المتحدة قائلاً: ".. مباحثات مع من؟ وحول ماذا؟ إن المباحثات من أجل التوصل لأمر مشترك فضلاً عن كون الأطراف لديها الاستعداد لقبول بعضها البعض قبل التوصل لحل وسط،

غير أننا وفى مسألتنا هذه الطرف الآخر لا يقبل بوجود شيئاً أسمته الجمهورية الإسلامية من الأساس، إذن كيف يتسنى التباحث معه؟! أنه يرفض النظام القائم على أساس دينى كما ينهض نظام الجمهورية الإسلامية الذى ينهض بيقظة المسلمين فى جميع أرجاء الدنيا.."

٣ - مع الأخذ فى الاعتبار تعريف المحادثات فى العرف السياسى - سالف الذكر - وما صرح به مرشد الثورة حول العراق فإنه لم يجيز المباحثات مع الولايات المتحدة فحسب بل واكد على أن الولايات المتحدة بوصفها دولة احتلال قد عجزت عن تحقيق الأمن والاستقرار بالعراق فضلاً عن كونها قيدت يد الحكومة الشرعية فى البلاد وأطلقت يد الإرهاب ومن ثم طالبت وزارة الخارجية الإيرانية رسمياً من الحكومة العراقية الشرعية الدخول فى مباحثات مباشرة مع الولايات المتحدة لحثها على القيام بوظائفها وتحقيق الأمن والاستقرار بالعراق؟؟ لكن يبدو أن البعض قد فهم على سبيل الخطأ أن هذا الكلام يعنى طلب الدخول فى محادثات مع الولايات المتحدة..!

وجدير بالذكر أن صحيفة "كيهان" (العالم) الإيرانية قد نشرت فى عناوينها الرئيسية آنذاك "مباحثات مع الولايات المتحدة لا ولو كانت حول العراق" وذلك لأن تصريحات المرشد يبدو أنها قد حرفت عن مضمونها لذلك نقول إن الذين يحرفون تصريحات المرشد عن مضمونها لإيجازة المباحثات مع الولايات المتحدة إنما هم خائفون للعديد من الأسباب أهمها:

أن خوض المحادثات مع الولايات المتحدة يعنى تراجع الجمهورية الإسلامية عن كلام الإمام (الخمينى) وعن عهد الحرب المقدسة (الحرب الإيرانية العراقية) وعن أهداف الثورة الإسلامية فى المطلق، فضلاً عن أن هذا يمثل ضياع لكرامة الثورة أمام العالم وخاصة المستضعفين منهم.

وأخيراً لم يبق من تصريحات المرشد غير كلمة "كيف يمكن الدخول مع ظالم فى مباحثات؟" وهذا بدوره يعنى أن المحادثات مع الولايات المتحدة مرفوضة، (فاعتبروا يا أولى الأبصار).

إيران ودول الخليج (الفارسي)

■ رسالت (الرسالة) ٢٠٠٧/٥/٢٥

بالنظر إلى الزيارة الأخيرة التى قام بها السيد أحمدى نجاد رئيس الجمهورية إلى كل من: عمان والإمارات العربية المتحدة تتأكد لنا ضرورة تحليل أوضاع وظروف المنطقة وخاصة دول الخليج الفارسي.

ولا شك أن مثل هذه الزيارة تمثل حدثاً هاماً وغير منتظر بالنسبة للدول الغربية، وسيعقبها نتائج وفرص جديدة لدولتنا، والأهم هنا هو استمرار التعاون والتفاعل مع دول المنطقة والذى يجب أن يتم بدقة واهتمام حتى لا تضيع الفرص أو تتحول إلى تهديد.

نظرة على مميزات دول الخليج (الفارسي)

يؤكد (أنتونى كوردسمان) أحد الخبراء المتخصصين فى أمن الشرق الأوسط أن التبعية العسكرية والأمنية لدول الخليج (الفارسي) للولايات المتحدة قد زادت بنسبة ٢٠٪. وهذه المسيرة سوف تتزايد بنسب كبيرة مستقبلاً.

ويمكن أن نرى مؤشرات هذه التبعية من خلال القواعد العسكرية الأمريكية، والاتفاقيات الأمنية التى تتيح للولايات المتحدة التدخل السياسى فى شئون هذه الدول.

وبناء عليه فإن دول الخليج (الفارسي) أصبحت تعتمد اعتماد كلى فى شئونها الأمنية على الولايات المتحدة الأمريكية ويمكننا أن نرى هذا الأمر من خلال الإجراءات العسكرية الأمريكية ضد العراق.

وتشير الشواهد الموجودة بالنظر للقلق الأمني الأمريكي ستتواجد مقدمات جديدة متعارضة، وهذا التعارض ناتج عن الاستراتيجيات الأمريكية المحافظة، والتى ساهمت فى ظهور الكيان السياسى الإقليمى وكذلك قوى المقاومة العرب إسلامية فى دول الشرق الأوسط.

وفى الواقع يجب أن نعلن بشكل واضح أن دول الخليج (الفارسي) واقعة تحت ضغوط دولية.

نموذج تعامل إيران مع دول الخليج (الفارسي).

تسعى الدول الغربية بشكل متزايد أن تحقق أهدافها على أساس تقسيم المنطقة، وترى هذه الدول أن سوء طالعهم فى علاقات إيران مع الدول العربية أو العكس وفى مثل هذه الظروف فهم يسعون إلى تأكيد الجدال، ويعتبرون ذلك بمثابة توسيع لنفوذهم.

هذا فى حين أن الضروريات الأمنية الإيرانية تؤكد أن المسيرة الجديدة سوف تتشكل فى إطار استراتيجية التعامل البناء، وعلى هذا الأساس فإن أهم الأهداف الإيرانية هو متابعة نموذج جديد فى علاقاتها الإقليمية، ويمكن تسرحه كالتالى:

أ-تسعى الدول الغربية أن يكون الحد الأقصى من التقسيم الإقليمى فى منطقة الخليج (الفارسي). ولأجل تحقيق ذلك فهى تسعى إلى تزايد التقابل الإيرانى - العربى، وعند وجود هذا التقابل، فلن تتهيئ إمكانية قيام تعاون إقليمى بين دول المنطقة.

وبناء عليه فيجب أن توضع استراتيجية الدولة على أساس هذا التعامل.

وزيارة رئيس الجمهورية الأخيرة واستمرار التفاعل الجدى سيساعد المسئولين فى التحرك السليم فى الأزمة.

ب-تعتبر الهوية المشتركة بمثابة صورة للمصالح المشتركة، وبناء عليه فإن دول المنطقة أساساً فى ظروف تجعلهم يستطيعوا أن يؤدوا دوراً مشتركاً. لأنهم يحظوا بتهديدات مشتركة، والتى وضعتها الولايات المتحدة فى جدول أعمالها تحت عنوان مواجهة الإسلام.

ج-الهدف الرئيسى للجمهورية الإسلامية فى تعاملها يجب أن يصبح على أساس التوازن البناء.

وعلى هذا النحو فإن هدف الجمهورية الإسلامية هو تحقيق الحد الأقصى من العلاقات من أجل تحقيق الأهداف والتوازن والترابط الإقليمى بدلاً من تحقيق استراتيجيات خاصة.

د-تشير الشواهد الموجودة إلى أن علاقات إيران مع دول المنطقة فاقدة للتضامن البناء، والانقسام الموجود فى العلاقات الأمنية يمكن أن يكون ناتج عن عدم تأسيس علاقات إيران مع دول المنطقة، وخلال السنوات الماضية تزايد سوء الظن فى العلاقات المتقابلة بين دول المنطقة، وهذا الأمر ناتج عن عدم وجود المؤسسة التى تؤدى إلى التضامن والترابط وأخيراً يجب القول أن الخلافات الحدودية والقومية والثقافية والأرضية لا يجب تجاهلها فى التعامل مع دول الخليج (الفارسي) ولكن المهم أن يصبح هذا الموضوع عامل فى التحرك والسعى لتوسيع العلاقات مع دول الخليج (الفارسي) حتى تستطيع الجمهورية الإسلامية تحقيق أهدافها الاستراتيجية.

عين على الطريق

■ جميلة كديفور ■ اعتماد ملى (الثقة الوطنية) ٢٠٠٧/٥/٢٤

سافرت إلى مصر فى مهمة صحفية مدتها ثلاثة عشر يوماً، بتكليف من جريدة إطلاعات (الأخبار) وذلك من أجل إجراء تغطية صحفية لمؤتمر وزراء دول عدم الانحياز وبعد ذلك قمت بتدوين مشاهداتى داخل مصر فى كتاب لى بعنوان: "مصر من زاوية أخرى" ونشرت هذا الكتاب الذى كتبت فى خاتمته ما يلى: "على الرغم من قطع العلاقات بين الدولتين فإن الشعب المصرى مهتم بإيران وبالتطورات الحادثة فيها، وأحد المؤشرات الدالة على ذلك هو معدل الكتب التى طبعت وحصلت عليها من المصريين والتى تدور حول إيران وثورتها".

والواقع أن هذا الحجم من المؤلفات فى ذلك الوقت - مقارنة بالكتب التى كتبت فى إيران حول مصر وتطوراتها - يعد أمراً ملفتاً للنظر وجديراً بالتأمل.

ولقد تأكدت من هذا الميل والاهتمام لدى المصريين بإيران خلال مجموعة الزيارات التى قمت بها إلى مصر ضمن وفود برلمانية إيرانية أو بصفتى الجامعية.. تأكدت

من ذلك عبر ما سمعته وقرأته وشاهدته فى جميع المحافل والأوساط الفكرية، السياسية، الصحافية، العلمية - الجامعية وبشكل خاص من جانب الجماهير المصرية. وعلى الرغم من الصعوبات والتعقيدات الخاصة بالحصول على تأشيرة دخول إلى مصر - والتى يتم رفض أغلبية طلبات الإيرانيين فى هذا الصدد - وعلى الرغم من التصادم القائم على سوء الظن وانعدام الثقة والذى يلقاه الإنسان فور وصوله إلى مصر باعتباره "إيرانى"، على الرغم من ذلك كله إلا أن اختلافاً مهماً وملفتاً للنظر بين طبيعة نظرة رجال الدولة والمسئولين المصريين وبين طبيعة نظرة الشعب المصرى تجاه كل ما هو إيرانى. هكذا تأكدت لى الصورة من خلال مشاهداتى.

مصر هى "قلب" العالم العربى. حسب ما يرويه نجيب محفوظ فى روايته "أولاد حارتنا" عن جد الأطفال المصريين، قائلاً: إنه قد اختار الإنزواء فى منزله لسنوات طويلة. كان إسمه "الجبلاوى" وكان الناس يعتقدون ان الجبلاوى هو أصل وأساس المكان الذى يعيشون فيه وأن هذا المكان هو أصل وجود مصر ومصر هى أم الدنيا.

الواقع أن مصر دولة تستحق المعرفة والمطالعة. فهى الأرض التى أنجبت قارئ القرآن العظيم الشيخ عبد الباسط عبد الصمد، والمفكر الدينى حسن البنا وفيلسوفها عبد الرحمن بدوى وكاتب روايتها نجيب محفوظ وكاتبها المسرحى توفيق الحكيم وكاتبها الضحفى محمد حسنين هيكل وشاعرها أحمد شوقى وزعيمها الوطنى جمال عبد الناصر، ومطربتها العظيمة أم كلثوم. و...... وعشرات من الوجوه التى تكشف عن - وتثبت وترسخ من - قيمة الثقافة والفكر والفن المصرى وهى الفنون المفعمة بالأمواج المتلاطمة من الخليج إلى المحيط.

مصر هى الدولة ذات الجذور الطويلة والحضارة والثقافة الزاخرتين العريقتين والتى لازالت قادرة على إنتاج وإخراج بعضاً من عناصر القدرة الداخلية الذاتية وذلك على الرغم من الجهود المتكررة لوأد وإضعاف هذه القدرات. ومصر هى الدولة التى لا زالت تبذل الجهود الجبارة من أجل إعادة العلاقات معها على الرغم من وجود عناصر مقاومة من جانب أطراف أخرى دولية وإقليمية.

طوال العقود الماضية سواء قبل الثورة أو بعدها كان العامل أو العنصر السياسى هو السبب الأصلى للتفرقة والفصل بين الأمتين والدولتين لكن ظل العامل الثقافى قائماً بوصفه حلقة الوصل بين الدولتين. لكن ما حدث بعد الثورة الإسلامية وفى إثر قطع العلاقات بين الدولتين أصبح تأثير العامل السياسى قوياً بالدرجة التى أدت إلى إضعاف الدور التقليدى للعامل الثقافى الذى كان قائماً من قبل، الأمر الذى أدى إلى إلحاق أبلغ الضرر بهذه العلاقات على نحو من الصعب تداركه أو تدارك آثاره ونتائجه. خير مثال أو أبسط دليل على هذا الانخفاض الحاد فى أعداد الطلاب الذين يدرسون اللغة الفارسية فى الجامعات المصرية مقابل زيادة عدد الذين يدرسون اللغة العبرية.

والآن.. وحيث أن رئيس جمهورية إيران قد قام - خلافاً للأعراف والتقاليد الدبلوماسية - بالإعلان وبشكل صريح عن استعداده لإعادة العلاقات مع مصر يكون من الواجب أو من الطبيعى أن ننتظر ونتوقع تحركاً إيجابياً من جانب الطرف المصرى.

إن شعوب المنطقة خاصة شعبى الدولتين صاروا يعقدون الأمل على حدوث خطوات إيجابية جديدة من مصر وبعيدة عن تكرار المواقف المتصلبة التى ظل يرددها الطرفان طوال السنوات الماضية.

ترحيب المسئولين الإيرانيين بالعلاقات مع مصر غير مقبول

■ جمهورى إسلامى (الجمهورية الإسلامية) ٢٠٠٧/٥/٢٦

بعد أن أعلن رئيس الجمهورية استعداده لإعادة العلاقات مع مصر وبعد أن خرجت ردود الفعل من جانب المسئولين المصريين تجاه اقتراح أحمدى نجاد، فإن الكثير من الخبراء والسياسيين فى الدولة اعتبروا أن الإعلان الرئاسى الإيرانى عن الاستعداد لإعادة العلاقات مع مصر أمر "غير دبلوماسى" ومخالف لمبادئ الجمهورية الإسلامية التى تحكم ثلاثة محددات سياستها الخارجية وهى: الحكمة، العزة والمصلحة.

ففى رؤية هؤلاء الخبراء والسياسيين أنه لا يجب على المسئولين الإيرانيين أن يفتحوا أزرعهم لاحتضان العلاقات مع القاهرة. فى هذا الصدد تم استعراض أو استطلاع رأى عدد من رجال مجلس الشورى الإسلامى فكانت ردودهم كالتالى.

يقول حجة الإسلام قدرت الله على خانى عضو المجلس عن دائرة "بوئين زاهراً"، عضو لجنة الأمن القومى والسياسة الخارجية، فى هذا الأمر: من الممكن

ألا تكون لدينا اعتراضات بشأن إقامة علاقات مع مصر بوصفها وإيران دولتان إسلاميتان. لكن الشئ المهم فى هذا الصدد أن يكون إقامة هذه العلاقات مع القاهرة قائماً على أساس "العزة" ومن موقف "قوة" وليس من موقف ضعف وبطريقة لا توحى باستجداء إيران إقامة العلاقات مع القاهرة. فى اعتقادى أن الموقف الذى صدر عن رئيس الجمهورية بشأن العلاقة مع مصر هو موقف غير دبلوماسى ولا يلتزم بالمبادئ والثوابت الثلاثة التى تحكم عمل السياسة الإيرانية وهى الحكمة، العزة والمصلحة. والحقيقة أن ما قام به رئيس الجمهورية والبيان الصادر عنه يعد نوعاً من "الاستجداء" المرفوض.

فيما يقول حجة الإسلام محمد تقى رهبر عضو المجلس عن دائرة أصفهان وعضو اللجنة الثقافية فى مجلس الشورى: لا يجب على إيران أن تتخلى عن مبادئها الرفيعة والسامية أو عن أسس الثورة الإسلامية التى وضعها الإمام الراحل سواء من أجل إقامة علاقات مع مصر أو مع غيرها من الدول، كما لا يجب عليها أن تصر على إقامة أى علاقة مع القاهرة، وفقط إذا لم يتم خدش الأسس والمبادئ المسلم بها فى الجمهورية الإسلامية وإذا لم تخدش عزتنا وإذا لم يتم المساس بموقفنا تجاه إسرائيل.. إذا تحقق ذلك.. عندها فقط نوافق على إقامة العلاقات مع مصر. وأساساً يجب أن يكون السيناريو كالتالى:

أولاً، لا يجب على إيران أن تكون صاحبة الخطوة الأولى وثانياً لا يجب على المصريين أن يضعوا شروطاً مسبقة بل يجب على الطرف المصرى أن يعلن صراحة عن رغبته فى إقامة علاقات مع إيران، نحن لا نقبل بسط الأزرع من جانب المسئولين الإيرانيين لإقامة علاقات مع مصر، بل نعتقد أنه من الضرورى جداً أن نأخذ قرارنا فى هذا الصدد واضعين فى الاعتبار مبادئ العزة، الحكمة والمصلحة التى هى الأسس الأصلية لنظامنا السياسى. إن ما يطرحه أو يضعه المسئولون المصريون كشروط لإقامة علاقات مع إيران مثل تغيير اسم شارع الشهيد خالد الإسلامبولى فى طهران ومثل ذلك يعد مؤشرات دالة على وهن الجمهورية الإسلامية الإيرانية إذا ما تم القبول بها، ومن ثم فالأصل هنا هو أن يؤكد النظام الإسلامى وبشكل دائم على تمسكه بالثوابت التى وضعها وحددها لنفسه وتمسك بها على مدار السنوات السبع والعشرين الماضية.

الدبلوماسية الفعالة للجمهورية الإسلامية الإيرانية فى منطقة الشرق الأوسط

■ **حنيف غفاريا** ■ رسالت (الرسالة) ٢٠٠٧/٦/١٤

الترحيب الإماراتى الملحوظ بزيارة الرئيس أحمدى نجاد كان أمراً نادر الحدوث فى شكله ومضمونه ودلالاته. وقد جاءت هذه الزيارة بعد شهور من الهبوط الحاد فى العلاقات الاقتصادية بين واشنطن وأبو ظبى وهو الهبوط الذى طال تلك العلاقات من الناحية الكيفية ومن الناحية الكمية أيضاً.

من هنا كانت القضية الرئيسية الملفتة للنظر فى تلك الزيارة هى رغبة الطرفين فى تطوير العلاقات الإيرانية - الإماراتية.

بعبارة أخرى نقول إن رئيس دولة الإمارات كان مستعداً حتى يثبت رغبة دولته فى تقوية العناصر والقواسم الإقليمية المشتركة والبناءة والتى تدعم التعامل والتعاون الإقليمى، كان مستعداً لتحطيم العرف الشائع لدى النظام السياسى لدولة الإمارات تجاه استقبال السياسيين الأجانب والترحيب بهم من خلال خروجه شخصياً إلى المطار واستقبال رئيس جمهوريتنا.

كما أن اللقاء الذى جمع بين كبار المسئولين الإيرانيين مع المسئولين العمانيين ومن بينهم السلطان قابوس كشف عن رغبة مماثلة لدى عمان تجاه دعم المسيرة الإقليمية الرامية إلى دعم القواسم المشتركة بين دول إقليم الشرق الأوسط.

الرسالة الأصلية لزيارة رئيس الجمهورية الإيرانية إلى دولة الإمارات يمكن إيجازها فى أنها بمثابة خطة مضيئة لتعاون إقليمى طموح شرق أوسطى. لقد ترددت مشاعر ودعوات التعاون الإقليمى لفترة طويلة وظلت قائمة فى أذهان السياسيين فى المنطقة لكن البيت الأبيض بشكل خاص والغرب بشكل عام استناداً إلى الأدوات والوسائل التجارية والسياسية والإعلامية كان يمنع وبقوة انتشار وتقوية هذه المشاعر.

إن احتلال العراق والوجود الأمريكي المباشر فى الأراضى العراقية صار سبباً لأن تجد النيران التى كانت خامدة تحت الرماد - والتى كانت خاضعة لسيطرة الغرب - تجد طريقها نحو الاشتعال بل ترتفع شعلاتها أعلى وأعلى. مما لا شك فيه أن احتلال العراق يمكن اعتباره

بمثابة أولى المؤشرات المرة التى زلزلت الجسد الغافل لمنطقة الشرق الأوسط خاصة الدول العربية.

إن المسئولين الأمريكيين والأوروبيين الذين كانوا يعتقدون فى أن إشاعة ونشر المشاعر الإقليمية القائمة على التعاون بمثابة موت تدريجى لهم وخصوصاً فى دائرة استراتيجية وهامة وهى قطاع الطاقة، هؤلاء المسئولون سعوا بشكل متزامن ومن خلال ثلاث طرق مختلفة الشكل متحدة ومتفقة فى الوجهة والمقصد، سعوا إلى وضع المناخ الاستراتيجى والسياسى لمنطقة الشرق الأوسط تحت سيطرتهم والإبقاء عليه فى إطار أهدافهم المرسومة، والطرق أو الوسائل الثلاثة هى كالتالى:

١ - بث الاختلافات القومية والمذهبية - الدينية فى المنطقة وخلق الفرضيات المفرقة ومنها الترويج لقضية الهلال الشيعى.

٢ - التدخل الواسع لواشنطن، تل أبيب، ألمانيا، فرنسا وبريطانيا فى النسيج السياسى لدول الشرق الوسط لمصلحة الغرب.

٣ - تقوية العلاقات الأمنية والعسكرية الأمريكية والإسرائيلية مع بعض دول الشرق الأوسط.

لكن الهزيمة العسكرية لتل أبيب فى مواجهة حزب الله اللبنانى فى صيف العام الماضى أصابت جزءاً رئيسياً من الخطط الأمريكية والصهيونية فى الشرق الأوسط بالخلل.

من ناحية أخرى فإن انخفاض شعبية أشخاص مثل بوش، بلير وأولمرت قد أسفر عن خلق مشاعر متباينة أخرى فى أذهان قادة ورؤساء الدول العربية.

كما أن التحركات المتعجلة من جانب واشنطن والاتحاد الأوروبى بشأن إيجاد مناطق تمركز جديدة قد خلقت بدورها أنماطاً مختلفة من الشكوك لدى الأغلبية العربية الشرق أوسطية تجاه كيفية وطبيعة المنطق الخفى الذى يسير ويوجه التحركات الأورو أمريكية فى منطقة الشرق الأوسط. السؤال المطروح هنا كالتالى: هل باستطاعة الحكومات الجديدة فى أوروبا والولايات المتحدة التى ستخلف الحكومات القائمة بل وكذلك الحكومة الإسرائيلية الجديدة المتوقع تشكيلها بعد الإقالة المتوقعة لحكومة أولمرت، هل باستطاعة تلك الحكومات سداد الفاتورة الخاصة بالخسائر التى من الممكن أن تلحق بمصالحهم مع الدول العربية الحليفة لهم فى ظل استمرار أعمال العنف والصراعات فى داخل فلسطين المحتلة والعراق؟

حضن النيل المفتوح أمام الدبلوماسية الإيرانية:

التصريحات الأخيرة لرئيس جمهوريتنا بشأن استعداد الجمهورية الإسلامية الإيرانية لإقامة علاقات كاملة مع القاهرة يمكن تقييمها وفهمها بأنها محاولة رامية إلى إعادة تعريف وتوصيف منطقة الشرق الأوسط فى إطار تعميق العلاقات بين العرب وإيران.

فى رد فعله على تصريحات الدكتور أحمدى نجاد قال الدكتور مصطفى الفقى رئيس لجنة العلاقات الخارجية فى البرلمان المصرى: لا يوجد أى مانع يعوق استئناف العلاقات بين مصر وإيران وأضاف: إن الرئيس حسنى مبارك قد استقبل جميع المسئولين الإيرانيين الذين زاروا القاهرة فى السنوات العشر الأخيرة ومصر أعلنت مراراً معارضتها لأية جهود تهدف إلى القيام بعمل عسكرى ضد إيران. وتابع: على الرغم من وجود اختلاف فى وجهات النظر والرؤى بين الدولتين بشأن الصراع العربى الإسرائيلى والشرق الأوسط إلا أننى لا أرى وجود أى مانع أمام التعاون المشترك بين الدولتين.

ووفقا لبعض المصادر فإن الرئيس مبارك أكد فى كل لقاء أو مناسبة مثل لقائه مؤخراً مع ديك تشينى نائب الرئيس الأمريكى أنه ضد ممارسة الضغوط على إيران.

كذلك قال أحمد أبو الغيط وزير الخارجية المصرى فى رده على تصريحات أحمدى نجاد إن هذه التصريحات تعد أمراً إيجابياً فى علاقات الدولتين. المؤكد أن إقامة العلاقات بين طهران والقاهرة ستكون سبباً لتشكيل رؤى وأطروحات جديدة فى المنطقة يمكن بلورتها فى أن "التمركز داخل حدود الشرق الأوسط" أمر غير قابل للمساس ولا يمكن تبديله.

من جانبها قامت الصحف ووسائل الإعلام المصرية بالترحيب بتصريحات أحمدى نجاد حول تطبيع العلاقات مع مصر واعتبرتها بداية فصل جديد فى العلاقات بين الدولتين وأنها تصب - أى التصريحات - فى خدمة المصالح الإسلامية.

التصريحات الأخيرة للملك عبد الله - ملك الأردن - بشأن إيران جديرة بالتأمل هى الأخرى. لقد قال "عبد الله الثانى" فى حوار له مع الجريدة الأردنية "العرب اليوم": فى حالة وقوع حرب بين الولايات المتحدة وإيران فسوف تتعرض المنطقة كلها للخطر. وفيما يخص زيارة محمود أحمدى نجاد للأردن قال: إن أبواب الأردن مفتوحة أمام الجميع ونحن نرحب بضيوفنا دائماً.

وحول أوضاع العراق قال عبد الله الثانى: إن الوضع فى العراق خطير ومعقد وقوات الاحتلال ومعها الحكومة العراقية مسئولة عن الحيلولة دون إراقة المزيد

من دماء العراقيين، كما أن الأردن على استعداد لاستقبال واستضافة الجماعات العراقية من أجل إنهاء العنف وتحقيق الاستقرار والأمن الوطنى العراقى. من ناحية أخرى قام الملك عبد الله بتكذيب الأخبار التى راجت فى إحدى الصحف الإسرائيلية والتى تفيد أن الأردن تعتبر حماس وحزب الله اللبنانى بمثابة أعداء وفى هذا الصدد قال تحديداً: ما نشر محض إدعاء وليس له أساس من الصحة.

منذ فترة قصيرة شاهدنا ملك السعودية يعلن صراحة أيضاً أن دماء إخواننا وأشقائنا فى العراق تراق من الاحتلال. بنظرة سريعة وعامة يمكننا القول بأن ثمة حالة من الجرأة فى الخطاب العربى تجاه البيت الأبيض وأن الانتقادات الصادرة بشأن وجود واشنطن فى العراق هى انتقادات شديدة وغير مسبوقة.

هذه التصريحات والاعتراضات يمكن تفسيرها وفهمها فى إطار المناخ الجديد الذى صار سائداً فى المنطقة.

إن إلغاء لقاء منوتشهر متكى مع كوندوليزا رايس فى شرم الشيخ صار سبباً لأن يدرك العرب أن إيران غير محتاجة إلى البيت الأبيض أو إلى الغرب بصفة عامة. من هنا فإن الكثير من المؤشرات الإيجابية قد ظهرت فى علاقات طهران مع الدول العربية وهو ما يمكن إرجاعه أو تفسيره فى إطار الدور المستقل والمؤثر لإيران فى مؤتمر شرم الشيخ.

التحرك الدبلوماسى الإيرانى الفعال فى الشرق الأوسط:

إن تصريحات وخطب مرشد الثورة الإسلامية وتأكيده على لزوم وضرورة التعاون فيما بين الدول الإسلامية يمكن إدراكها ورؤيتها بشكل دقيق خلف - فى إطار - التوجهات الفكرية الإقليمية والدولية والتى بدأت فى التبلور لدى قادة ورؤساء الدول العربية.

بعبارة أخرى نقول إن هذه التصريحات صارت تشكل خلفية فكرية إيجابية بالنسبة لصانعى القرار فى الدول العربية. على سبيل المثال إذا أردنا قولبة تلك التصريحات فإنه يمكننا اعتبارها بمثابة نموذج "ميثاق وحدة إسلامية" جديد من جهة وكذلك نموذج للممارسات البناءة والدبلوماسية الإيجابية لطهران من جهة أخرى. وهنا تحديداً يمكن تفسير وفهم وقراءة الزيارات والرسائل الأخيرة التى قام بها الدكتور أحمدى نجاد إلى دول الشرق الوسط بوصفها - أى الزيارات والرسائل - نتاجاً عينياً وسلوكاً حركياً إيرانياً فى إطار قناعة خاصة بحتمية وبأهمية الوحدة الإسلامية وهو ما يؤكد على حقيقة مفادها أن إيران الإسلامية على طول سنوات عمرها بعد الثورة الإسلامية لعبت دائماً دور المولد والمحي للقدرات الإسلامية فى المنطقة الشرق أوسطية. لكن الدور الخلاق لطهران يمكن دراسته وفهمه وقراءته فيما صدر عن "المخاطبين" لإيران فى الشهور القليلة الماضية. فالآن صرنا نشعر وللمرة الأولى منذ سنوات طويلة أن قادة الدول العربية باتوا يشعرون جيداً - وبشكل يصل إلى حد المعاناة - بحجم وطبيعة التدخلات الأمريكية - الأوروبية فى جميع شئون دولهم من شأنها أن تحول دون وجود تحرك حقيقى مستقل من جانب أى منهم، من هنا أخذوا يسعون من أجل نقل مشاعرهم - التى باتت رائجة فيما بينهم - إلى طهران والتى تعنى رغبتهم فى الوصول إلى قدر كبير من التحرر والاستقلالية عن الضغوط والوصاية الأمريكية الأوروبية فى أمر لا يخلو من دلالات أو معانى جديدة تماماً.

رسالة إلى واشنطن:

البيت الأبيض يشعر الآن وأكثر من أى وقت مضى بخطر كبير تجاه إيران. لقد أدرك القائمون على البيت الأبيض أن الاستراتيجيات الجديدة للمحافظين وحتى الديموقراطيين مثل العودة والتراجع عن النهج الذى اتبعته الولايات المتحدة على مدار ٢٧ سنة معتمة ومملوءة بالصراعات مه - تجاه - إيران قد صارت أسيرة التخبط والفشل والضياع. إن القضية الرئيسية التى تشغل الآن عقل وأذهان المسئولين الأمريكيين هى عدم نجاح نظرياتهم وأطروحاتهم الموجهة لسياسة واشنطن تجاه إيران.

هنا نذكر أن وضع الخطة العشرينية لتنمية إيران ونجاح الدبلوماسية الإيرانية الإقليمية والفوق إقليمية بل والدولية أيضاً قد أسفر عن خلق قناعة لدى سائر الدول بأن غيران دولة غير قابلة للسيطرة من جانب الغرب. على هذا الأساس فإن الاستناد إلى ممارسات وأساليب مثل تلك التى كان البيت الأبيض قد انتهجها فى أواخر عقد الستينيات من القرن العشرين تجاه بكين والتى منها إعادة تعريف علاقاتها مع الصين بهدف إلحاق الضرر بالاتحاد السوفيتى السابق لن تكون مجدية فى التعامل مع إيران ولن تحقق هدف واشنطن الخاص بأعمال السيطرة عليها فى هذا المناخ الجديدة لن يكون أمام بوش وكذلك الرؤساء القادمين فى أمريكا.. لن يكون أمامهم حيلة سوى القبول بالوجه الجديد والقوى لطهران فى المنطقة.

البنية الجديدة للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية

■ إيران ٢٠٠٧/٥/٢٣

خطى المجلس الأعلى للثورة الإسلامية فى العراق وهو أكبر تنظيم شيعى فى العراق خطوة هامة فى مسيرة تحديث بنيته التنظيمية. الأمر الذي اعتبرته بعض الأوساط تغييراً فى فكره وتوجهاته. ولكن زعماء المجلس الأعلى ومن بينهم عبد العزيز الحكم رفضوا هذه الاستنتاجات.

وكان المجلس الأعلى للثورة الإسلامية قد تغير إلى المجلس الإسلامي وحذفت كلمة (الثورة)، وهو الأمر الذى اعتبره زعماء المجلس الأعلى أمراً عادياً وعلامة على تغير الظروف الزمانية والمكانية. فى عهد ما بعد صدام حسين، ولكن هذا الحدث بالنسبة للأوساط الخارجية قد تسبب فى ظهور بعض المساومات بين الأطياف والتيارات المختلفة العراقية وغير العراقية.

اللافت هنا أن الأوساط الغربية والعربية ووسائل الإعلام سعوا إلى تفسير هذا الحدث على أنه علامة على ابتعاد المجلس الأعلى عن إيران.

وبالطبع فإن مسئولى المجلس الأعلى قد ردوا برفض هذه الادعاءات. وكانت صحيفة (نيويورك تايمز) قد أعدت تقريراً منذ فترة عن تغيير مسمى المجلس الأعلى وجاء فى التقرير "أن حذف لفظة (الثورة) من مسمى المجلس الأعلى هو انعكاس لمساعى هذه المنظمة لكسب دعم العراقيين القوميين والمسئولين الأمريكيين ولو على حساب الجذور الإيرانية لهذا التنظيم".

وجاء أيضاً "أنه مع الإطاحة بصدام حسين، وحصول المجلس الأعلى على ربع مقاعد البرلمان، كان لابد من حدوث تغييرات راديكالية فى هذا التشكيل".

هذا فى الوقت الذى دافع فيه عبد العزيز الحكيم رئيس المجلس الأعلى وشقيق آية الله محمد باقر الحكيم الرئيس السابق عن التغييرات الحادثة فى هذا التشكيل وأسباب حذف لفظة (الثورة) من عنوان هذا الحزب قائلاً "أن الثورة بمعناها الحقيقى كانت مرتبطة بعهد نضال هذا الحزب ضد النظام البعثى السابق".

وبالطبع هو يؤكد أن هذا التغيير يعنى أنه لا حاجة اليوم إلى الثورة فى المسيرة السياسية للعراق بعد الإطاحة بصدام حسين.



وفى الإطار ذاته يقول (جلال الدين الصغير) رئيس كتلة المجلس الأعلى بالبرلمان العراقى "أننا لسنا بحاجة اليوم إلى الحوار بشأن الثورة، والثورة تعنى التغيير، ونحن اليوم قد حققنا التغيير عن طريق الدستور".

علت موجة الاتهامات بعد إعلان تغيير مسمى المجلس الأعلى الإسلامي وحذف كلمة الثورة منه. ولكنها انتهت بعد ما أصدر المجلس الأعلى بياناً أكد فيه أن لهذه الجماعة العراقية أصول ومبادئ ثابتة. ولديها الاستقلالية فى قرارها بشأن حذف لفظة (الثورة) من المسمى كذلك فقد أشار المجلس فى بيانه لإيران، مؤكداً أنه لا يستطيع أحد أن ينكر المساعدات التى قدمتها إيران للعراق.

وكانت فى عهد صدام قد استضافت مئات العراقيين على أراضيها.

تاريخ تشكيل المجلس الأعلى

شكل المجلس الأعلى الإسلامي العراقى فى عام ١٩٨٢ بعد جولة من المباحثات بين بعض الشخصيات الدينية العراقية، ومن بينهم آية الله محمد باقر الحكيم، سيد عبد العزيز الحكيم، آية الله محمود هاشمى، إبراهيم جعفرى (أمين عام حزب الدعوة) والمرحوم محمود صالح الأديب.

وفى الواقع كان تشكيل المجلس الأعلى رد على ضرورة الوحدة ضد حزب البعث، بعد استشهاد آية الله محمد باقر الصدر، وعدم وجود الشخصية الكريزماتيكية التى تستطيع أن تملأ مكانه.

وهذا الشعور كان متواجداً عند بعض الزعماء والمناهضين لصدام بأن الذى يحل محل المرحوم الصدر ليس شخص ولكنه مجموعة من الزعماء يحملون هدف واحد بفكر واحد.

الشكل التنظيمى للمجلس الأعلى

يتشكل المجلس الأعلى من الأقسام التالية:-

أ-المجمع العام. وبه حوالى مائة عضو من الشخصيات ذات الخبرة العلمية والثقافية، والمجلس الأعلى لديه حاسبة عالية بالنسبة للإعلان عن أسماء هذه الشخصيات فى الصحافة ووسائل الإعلام، ويفضل أن تظل هذه الأسماء فى الظل.

ب-المجلس المركزى وبه على أقصى حد ١٥ عضو.

ج-مكاتب المجلس الأعلى وهى عبارة عن المكتب التنفيذى والمكتب السياسى والمكتب التنظيمى (وقد حل هذا المجلس بعد سقوط صدام حسين)، ومكتب الإعلام والثقافة، والمكتب الجهادى (وقد حل بعد سقوط صدام حسين) وتعلن القرارات بواسطة المجلس الأعلى، وتتخذ فى البداية فى المجلس المركزى ثم تعلن عن طريق الأمانة العامة للمجلس المركزى للتنفيذ.

وينتخب المجلس المركزى كل عامين من أعضاء الجمعية العمومية.

الذراع العسكرى للمجلس الأعلى

جيش بدر أحد أهم آليات المجلس الأعلى الإسلامي العراقى فى عهد صدام حسين، وفى البداية كانت استعدادات هذا الجيش متوسطة المستوى، ولكن بعد انضمام الأسرى العراقيين لهذا التشكيل العسكرى، وبجهود محمد باقر الحكيم أصبح هذا التشكيل قوة مناسبة للحرب مع صدام، وكان السبب الرئيسى لوجود جيش بدر هو الإطاحة بديكتاتور العراق، ومع سقوط صدام زالت الفلسفة الوجودية له، وسعى المجلس الأعلى العراقى من أجل التواجد فى ساحة السلطة العراقية من خلال الطرق السياسية.

وطبقاً لدستور المجلس الأعلى فإن أهم أهداف هذا التشكيل العراقى:

١-النشاط ضد نظام صدام وتحرير الأمة العراقية من صدام ونظامه.

٢-إقامة حكومة صالحة على أساس احترام الدين الإسلامي باعتباره الأصل والعقيدة.

٣-إقامة علاقات على أساس حسن الجوار وعدم الاعتداء على الآخرين.

نظرة على الأزمة السياسية فى لبنان

■ ايران ٢٠٠٧/٦/١٦

على مدى الأربعة أو الخمسة شهور الماضية، حاول مراقبو الشئون اللبنانية التوصل إلى إجابة على السؤال التالى: هل اقتربنا من نهاية أحد الصراعات المهمة فى الشرق الأوسط ؟

ومع ذلك لم توضع إجابة محددة لهذا السؤال، خصوصا أن جهود الوساطة لتسوية الأزمة السياسية اللبنانية فشلت الواحدة تلو الأخرى، ويأس المستشارون الأجانب من حلحلة موقف الجناح الحاكم وخيمت السحب السوداء على سماء بيروت. وبعد أربعة شهور من بداية الصراع التاريخى بين مؤيدى الحكومة والمعارضة على إصلاح البنية السياسية اللبنانية لازال المشهد غائما، وقلما أبدت قوى ١٤ آذار و٨ آذار مؤشرات على إجراء مرونة فى مواقفهما. ولازال المعارضون مصرين على مطلبهم وهو تشكيل حكومة شرعية والحصول على ١١ مقعدا أو ما يعرف بالثلث المعطل. وعلى الجانب الآخر يعمل مؤيدو الحكومة عن طريق افتعال الأزمات حول مسألة اغتيال الحريرى على تدويل أزمة بيروت السياسية.

إن صراع لبنان هو فى الظاهر نوع من الخلاف على تشكيل حكومة وطنية وتوزيع الحقائب الوزارية، لكنه فى الأساس خلاف جذرى حول طريق إدارة البلاد وأسس المشروعية للنظام السياسى، وعلى هذا الأساس وصفه قادة حزب الله بأنه صراع على الهوية الثقافية للبنان. وحتى الآن قلما تعالج فى التقارير والتحليلات هذه الجوانب من جذور النزاع السياسى اللبنانى.

بخصوص قضية الحريرى يجب القول أنه توجد فى لبنان الآن وجهتا نظر، هناك جماعة ترى أنه يجب أن تتشكل محكمة دولية للتحقيق فى عملية اغتيال الحريرى، بما يمهد لخضوع البلاد للهيمنة الامريكية، لكن الجماعة الأخرى تبذل قصارى جهدها من أجل الحفاظ على رؤية مستقلة للبنان فى هذه القضية وليست على استعداد لحل هذه القضية بالتدخل الأجنبى وخاصة الأمريكى والغربى. بالطبع حزب الله هو جزء من المنتقدين وله فى صراع لبنان اليوم بعض المطالب الأساسية التى من بينها تشكيل حكومة وحدة وطنية؟.

إن حزب الله يريد أن يكون شريكا حقيقيا فى كل القرارات السياسية فى البلاد، ولا تكون مشاركته مجرد

شكل تمثيلي. واعتقد أن مطلب ثلث الحقائب الوزارية هو مطلب ضئيل للغاية من جانب المعارضة. هذا في حين أنه للأسف يقوم تيار ١٤ آذار ببذل جهود واسعة لتجاهل مطالب المعارضة. وأثبتت الأحداث الأخيرة أن المعارضة تتمتع بدعم الأغلبية اللبنانية، لكن ١٤ آذار يتمتعون بأغلبية البرلمان فقط. وللأسف حتى الآن فشلت كل المقترحات لحل هذه الأزمة بسبب عناد التيار الحاكم. هم ليسوا قادرين على اتخاذ القرارات وتفيد الشواهد أنهم قد تركوا الأمر للأمريكيين الذين يستخدمون بشكل بديهي ورقة لبنان في الأزمة الإقليمية.

البعض يرى أن صراع لبنان ليس مسألة وطنية وداخلية وإنما يرتبط بشكل ما بقضايا الشرق الأوسط الكبرى، فإلى حد ما ارتبط مصير لبنان بشكل مباشر وغير مباشر بأزمات المنطقة وعلى رأسها أزمة العراق، ولو حدث تفاهم بشكل ما بين القوى الإقليمية والدولية في قضية العراق فسوف تصل الأزمة السياسية في بيروت إلى حل، أما لو ظل الأمر على ماهو عليه في العراق فلن تصل أزمات المنطقة إلى حل قاطع. ومن المؤكد أن الأمريكيين وتيار ١٤ آذار يسعون من زاوية أخرى لتدويل الصراع فيما يخص المحكمة الدولية، أي من زاوية ملف الحريري ويجب أن نؤكد ثانية أن حزب الله منذ البداية موافق على تشكيل المحكمة لكشف حقائق هذا الملف، لكن بشرط ألا تكون مسيسة وينظر إلى القضية من زاوية فنية فقط.

وليس من حق جماعة ١٤ آذار أن تتخذ قرارا نهائيا في موضوع يخص كل اللبنانيين ومع الأسف يجب القول أن خطأ جماعة ١٤ آذار الكبير هو إخراج هذا الموضوع من دائرة المصالح والقضايا الوطنية. وهم يسعون لقصر ملف رفيق الحريري عليهم وكأنه يخصهم وحدهم. اغتيال رفيق الحريري قضية وطنية، وبناء على هذا فغن إحالة هذه القضية إلى المؤسسات الدولية ستؤدي إلى إحداث فرقة بين الأطياف المتعددة في البلاد. وعلى مدى هذه العدة أشهر تمت محاولات كثيرة لتقريب وجهة نظر التيارين المتصارعين وخاصة في ضوء المشاورات الإيرانية والسعودية، حيث بذلت إيران والسعودية جهودا كبيرة لحل أزمة بيروت السياسية، وهي جديرة بالإشارة، لكن للأسف الشديد قوبلت جهود هاتين الدولتين بـ "فيتو" أمريكي، حيث وضعت واشنطن العراقيل أمام هذه المشاورات عن طريق بعض القوى الداخلية ليستمر مسلسل الاحتقان السياسي في لبنان مستمرا.

السياسات الإقليمية الأمريكية ضد إيران

■ اعتماد (الثقة) ٢٠٠٧/٦/٣٠

حتى خطوط الطيران في جميع أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية تهتم وبجدية بمسألة إيران النووية. والواقع أن السياسة التي تنتهجها الولايات المتحدة تجاه إيران تتسم بالتناقض، إذ أنها تحذر إيران من امتلاك السلاح النووي من جانب بينما تقوم بتجييش أسطولها العسكري في الخليج (الفارسي) من جانب آخر. ورغم أنها تسعى إلى منع انتشار الأسلحة النووية في المنطقة، إلا أنها تنكر حق استغلال إيران للتكنولوجيا النووية للاستخدامات المدنية. في المقابل تحاول غض الطرف عن هذا الحق، ومن ثم تسعى وبشتى السبل الدبلوماسية وغيرها للحيلولة دون حصول إيران على أي من تلك الحقوق، والغريب أنها تعطي أطرافاً أخرى وفي المنطقة هذا الحق وأكثر دون وجه حق. لكن ينبغي على إسرائيل أن تلتزم بالمعاهدة هي الأخرى لأننا لا يمكن الانتظار أن تلتزم إيران بمطالب الوكالة الدولية للطاقة الذرية دون إسرائيل. فهذا العمل من شأنه أن يغير توازنات القوى في المنطقة الأمر الذي ينعكس بدوره على النفوذ الإيراني حيال المنطقة. حتى قبيل مسألة أفغانستان والعراق فقد كانت القوات العسكرية الأمريكية متمركزة في المنطقة، وواقع الأمر أن دخول هذه القوات أفغانستان بدون تحديد تاريخ محدد للخروج منها فضلاً عن تأسيس أكثر من ١٤ قاعدة عسكرية أمريكية في العراق والمنطقة كل ذلك ساعد على نمو الأوضاع العسكرية للمنطقة مما قد أدى إلى خلق حالة من الرعب حيال ظهور القوات الأمريكية في الشرق الأوسط.

حتى الديمقراطيين أنفسهم الذين كانوا ضد الحرب في نهاية الحرب على العراق لم يتحدثوا مطلقاً عن سحب كافة القوات الأمريكية والخروج الكامل من العراق، بل قالوا إن هذه المسألة يمكن الاستفادة منها من أجل إعمال السيطرة التامة على دول المنطقة أيضاً. وفي هذا الصدد، كان ديك تشيني نائب الرئيس الأمريكي وأثناء زيارته الأخيرة إلى دول المنطقة قد أعلن أن إيران يمكنها أن تخلق المشكلات عبر تغييرها لتوازنات القوى في المنطقة.

جدير بالذكر أن قيام الرئيس الإيراني أحمدي نجاد مؤخراً بزيارة أبو ظبي يمثل خطوة جيدة وإيجابية من أجل استقرار هذه المنطقة، واعتقد أنه يمكن تحقيق هذه

المسألة عبر تلك الخطوة الإيجابية، نظراً لكون الولايات المتحدة الأمريكية تمر الآن بظروف معقدة وصعبة والمتصور أن خروجها لن يتم بشكل فورى إنما على فترات بعيدة وغير محددة ولكن من المسلم به أن القوات الأجنبية فى المنطقة قد أصبحت فى سبيلها للتقلص. وأتصور أن الصراعات بين السنة والشيعة لسوف تتقلص تباعاً، وعلى أية حال، فلو لم تتغير السياسات الأمريكية بعد الانتخابات الرئاسية القادمة فى الولايات المتحدة الأمريكية واستمرت على حالها حيال المنطقة فمن الممكن أن تلقى القوات الأجنبية فى المنطقة خطر حقيقى بينما يمكن التغلب على كل تلك المعوقات عبر المحادثات بين الأطراف.

الشرق الأوسط الكبير: حلم الولايات المتحدة الضائع

■ كيهان (الدنيا) ٢٠٠٧/٥/٢٨

لأن الشرق الأوسط منبع الحضارات القديمة ومصدر الثروات فقد حظى باهتمام القوى الكبرى خاصة خلال العقود الأخيرة حيث تم طرح عدة مقترحات من جانب هذه القوى. بعضها تم تفعيله فى إطار تأمين مصالحها. والبعض الآخر فشل أو ظل فى صورة مقترح. وفى هذا الإطار نجد أن مشروع الشرق الأوسط الكبير ليس الطرح الأول الخاص بهذه المنطقة، فقد اقترح شيمون بيريز رئيس إسرائيل مشروع الشرق الأوسط الجديد، وظل هذا المشروع لسنوات موضع بحث. كذلك حظيت مقترحات اقتصادية من أجل إيجاد سوق شرق أوسطى مشترك وإنشاء منظمة إقليمية كبرى بعضوية جميع دول منطقة شمال أفريقيا وغرب آسيا بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية والغرب باهتمام بالغ من الأوساط الإقليمية والدولية. ومن نماذج هذه المقترحات يمكن الإشارة إلى مشروع تعاون الدول الأوروبية والمتوسطية.

فى هذا المجال أيضاً توجد نوعية أخرى من المقترحات وهى مقترحات تتناول القضايا الإقليمية بشكل منفصل مثل المقترحات الخاصة بحل النزاع الفلسطينى الإسرائيلى وإذا تعمقنا فى إحصاء تلك المقترحات فإن عددها على مدى الخمس والثلاثون عاماً الماضية يتعدى الـ ٧٥٠ مقترح، كان مصير جميعها متشابه من منطلق أنها مقترحات أطلقت ليس بهدف التنفيذ وإنما من أجل توفير مناخ ملائم لتحقيق سياسات خاصة وفى هذا الصدد تم طرح مشروع الشرق الأوسط الكبير. وقد تم اختيار مصطلح الشرق الأوسط الكبير من جانب الاستراتيجيين الأمريكيين والإسرائيليين، من أجل احتواء جميع الدول الإسلامية مثل (باكستان، وأفغانستان، وآسيا الوسطى، وإيران، وتركيا) وهى جميعها دول مؤثرة فى التطورات بالعالم الإسلامي.

لذلك ورد فى تعريف حدود الشرق الأوسط الكبير من جانب المنظرين الاستراتيجيين بالولايات المتحدة وإسرائيل، إنها تضم دول شمال أفريقيا مثل المغرب والجزائر ودول آسيا الوسطى مثل أوزبكستان وطاجيكستان حتى دول أفغانستان وباكستان أيضاً.

ومن منطلق الأهداف الاستراتيجية الأمريكية التى تعتمد على استراتيجية عسكرية استباقية، وتقسم العالم إلى قوى الخير والشر، ترى الولايات المتحدة أن الشرق الأوسط هو المنطقة الوحيدة غير المستقرة فى العالم وأن عليها محاربة الاستبداد ونشر الديمقراطية واستئصال جذور المتشددين تحت شعار الشرق الأوسط الكبير واستئصال الحكام المستبدين من أهم أولويات مكافحة الإرهاب من منطلق دعمهم للإرهاب وخوفاً من حصول الجماعات الإرهابية على أسلحة نووية بواسطتهم.

وترى واشنطن أنه مثلما ساهم مشروع حلف هلسينكى فى توحيد أوربا وفى تقويض أركان ودعائم الاتحاد السوفيتى السابق، يمكن لمشروع الشرق الأوسط الكبير القضاء على الراديكالية الإسلامية فى المنطقة. على هذا النحو تم تدوين مشروع الشرق الأوسط الكبير على غرار مشروع هلسينكى، المشروع الذى اعتمد على حقوق الإنسان فى جميع أنحاء أوروبا خاصة فى الكتلة الشرقية.

برنامج الشرق الأوسط الكبير يدعى وجود نقص رئيسى فى ثلاثة قطاعات من الضرورى تعويضه وهى قطاعات:

١-الحريات الأساسية.
٢-التربية والتعليم.
٣-حقوق المرأة.

وبالرغم من أن مشروع الشرق الأوسط الكبير يشير بصفة أساسية إلى نقاط محددة مثل الانتخابات الحرة، والأحزاب الديمقراطية، وحرية المرأة، وتوفير وسائل إعلام مستقلة، وتطوير المدارس، وتحقيق برامج إصلاح اقتصادى وعضوية فى منظمة التجارة العالمية WTO، إلا

أنه يصب في مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية اقتصادياً وعسكرياً أكثر من منفعته لدول وشعوب الشرق الأوسط.

فاستقرار المنطقة يضمن تحقيق المصالح الأمريكية حيث يرى الاستراتيجيين الأمريكيون أن الشرق الأوسط الكبير هو مركز ومحور مكافحة الإرهاب الدولي. ومن ثم فتجفيف مصادر الإرهاب في تلك المنطقة هو السبيل لتحقيق "الأمن المطلق" الأمن والاستقرار هو تأمين بقاء إسرائيل وتحقيق هيمنة أمريكية على المنطقة.

خلال حقبة الحرب الباردة كانت الأخطار التي تهدد مصالح الولايات المتحدة الأمريكية، هي توغل النفوذ السوفيتي في الشرق الأوسط، وانتشار القومية العربية وتعرض مصادر النفط بالمنطقة إلى أخطار، أما الآن وبالرغم من اعتماد الولايات المتحدة الأمريكية على ذرائع الإرهاب وانتشار أسلحة الدمار الشامل والديمقراطية وحقوق الإنسان في الشرق الأوسط إلا أنها تواجه تحديات أخرى في المنطقة على النحو التالي:

١-السلام العادل في الشرق الأوسط.

بالرغم من الجهود الأمريكية لإقرار سلام عادل في الشرق الأوسط لم يتحقق حتى الآن أي سلام يذكر. وحقيقة الأمر أن انتصار حزب الله على جيش النظام الصهيوني المدعوم من الولايات المتحدة والدول الغربية، كان بداية فصل جديد من العلاقات والتوازنات بالشرق الأوسط. لقد اضطرت إسرائيل إلى قبول تسوية بعد أن هاجمت لبنان مدعومة بالضوء الأخضر الأمريكي بسبب ما تعرضت له من مقاومة مستميتة ما ترتب عليه سطوع نجم حزب الله على الساحة السياسية اللبنانية من ناحية وعلى صعيد الحركات الإسلامية بوجه عام من ناحية أخرى.

٢-النفط: يتزايد احتياج الولايات المتحدة للنفط، في حين أن التحكم بأسعاره ليس بيد واشنطن. لأن عوامل عديدة تؤثر في تحديد أسعار النفط، وعلى رأسها قضية السلام في الشرق الأوسط، والملف النووي الإيراني والحرب في العراق.

٣-إيران: الملف النووي الإيراني وصمود الجمهورية الإسلامية في الدفاع عن حقها المشروع وضع الولايات المتحدة أمام تحدى صعب في ساحة السياسات الدولية.

يرى المحافظون الجدد بالبيت الأبيض أن إيران دولة لديها القدرة على الإطاحة باستقرار المنطقة وفي هذا الصدد تصف واشنطن إيران بأنها أنشط دولة داعمة للإرهاب بما أنها تعارض مسيرة سلام الشرق الأوسط ولا تراعي حقوق الإنسان والديمقراطية وتدعم حزب الله اللبناني والجماعات الفلسطينية كحماس والجهاد الإسلامي، لكن أكثر المساعي الأمريكية في هذا الصدد تركز على مسألة امتلاك إيران للقنبلة النووية، فيرى بعض المحللون أنه بالرغم من التواجد العسكرى الأمريكي في أفغانستان والعراق، إلا أنها عاجزة عن شن هجوم عسكرى ضد إيران إما لتغيير النظام أو لتدمير القدرات النووية الإيرانية. وعلى كل حال فإن نظرة المحافظين الجدد لأزمة الملف النووي الإيراني، تركز على مدى تأثير إيران في حالة دخولها النادي النووي على التوازنات الدولية من منطلق أن إيران ستستغل قدراتها النووية من أجل تفعيل نفوذها السياسي بما يمثل تحدى للسياسة الأمريكية. لذلك تأمل حكومة بوش في توقف إيران عن ممارسة نشاطاتها النووية من خلال توحيد المجتمع الدولي وتفعيل الضغوط عليها.

٤-العراق: الأوضاع غير المستقرة في العراق حولت هذه الدولة إلى جحيم بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، ووسعت الفجوة بين الديمقراطيين والجمهوريين مما وضع المحافظين الجدد بالبيت الأبيض أمام تحدى صعب.

لقد اعتقد المسئولون الأمريكيون في البداية أن دخول العراق سيحظى بترحيب الشعب الأمريكي، لكن هذا الترحيب لم يحدث بل تعرضت الولايات المتحدة لمقاومة شرسة حتى داخل المحافظات العراقية.

٥-كراهية الولايات المتحدة في المنطقة:

غزو العراق بطريقة غير قانونية نشر أجواء من السخط في الأوساط الحكومية والشعبية بالمنطقة ضد السياسات الأمريكية. لدرجة أن دعم الحركات السياسية الإسلامية المناهضة لإسرائيل والولايات المتحدة في الأراضي المحتلة ولبنان وانتقاله إلى باقي دول الشرق الأوسط، بات تهديد هو الأحدث ضد الولايات المتحدة. فيرى المنظرون الأمريكيون أن أسلحة الدمار الشامل ليست التهديد الرئيسي للأمن الإسرائيلي والهيمنة الأمريكية في القرن ٢١، وإنما هذا التهديد يتمثل في التحول الذي طرأ على المسلمين نتيجة جذور عقائدية وأفكار سياسية، هذا التحول نشأ بعد الثورة الإسلامية في إيران والتي تبنت أفكار مناهضة للوجود الصهيوني وتحض على عدم تمكين الولايات المتحدة من السيطرة على العالم والشرق الأوسط.

ومن أجل تحقيق الأمن المطلق بالنسبة للإستراتيجيين الأمريكيين والإسرائيليين يجب استئصال جذور الفكر الأصولي بين المسلمين بالمنطقة وطبقاً لهذه الرؤية من الضروري استهداف الحكومات الداعمة والناشرة لروح التصدي لإسرائيل بين المسلمين، ثم يأتي في المرحلة الثانية تغيير جذري في الهيكل الثقافي والاجتماعي والديني لجميع الدول الإسلامية تحت عنوان الإصلاحات والتنمية الديمقراطية.

إسرائيل والهندسة السياسية التركية

■ كسرى صادقى زاده ■ رسالت (الرسالة) ٢٠٠٧/٥/١٣

مر حوالى ٥٧ عاماً على بداية العلاقات التركية - الإسرائيلية، خلال تلك الفترة مرت العلاقات بعدة تغيرات.

فى عام ١٩٢٣ تأسس الحزب الجمهورى الجديد على يد مصطفى كمال أتاتورك، ومنذ ذلك الحين وحتى الآن احتكرت الأحزاب العلمانية السلطة السياسية فى حين احتكرها الجيش أوقات الضرورة وهو بالقطع مؤسسة علمانية ضيقت الخناق على التيارات الأخرى وعلى رأسها الإسلاميون، وقد وضع العلمانيون خطوطاً حمراء أمام دخول غيرهم، وتحول الخلاف السياسى إلى خلاف أيديولوجى. وقد أثبت الأتراك أنهم مستعدون لتوطيد علاقاتهم بالغرب وانضمامهم إلى الاتحاد الأوروبى على حساب العالم الإسلامي بالرغم من أن هذا الفكر مطروح من جانب العلمانيون ولا يمثل فكر غالبية السياسيين الأتراك.

وفى هذا المقال نتعرض إلى أسباب تقوية العلاقات التركية الإسرائيلية وتأثير انتخابات الرئاسة التركية على العلاقات بين الدولتين.

أسباب الاعتراف رسمياً بإسرائيل

يعتقد خبراء العلاقات الدولية أن تركيا التزمت بالسياسة الواقعية على الصعيد الدولى بعد آتاتورك لذلك فهى تتبع سياسة تأمين مصالحها القومية. بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ألقى العلمانيون باللائمة على الإسلام وجعلوه السبب فى خسائرهم ومشكلاتهم، لذلك تخطوا الإسلام وعادوا إلى عصر التورانيون بوصفهم أساس الشعب التركى قبل الإسلام وهو ما حدث تفصيلاً فى إيران. أضمر هؤلاء الكره للعرب لأنهم تعاونوا مع بريطانيا وحملوا شعار الانفصال لذلك هم يشعرون دائماً أن عرب شبه الجزيرة العربية قد وجهوا إليهم طعنة فى ظهورهم، ولذلك تأصل شعور مناهض للعرب فى أعماق الحزب الجمهورى الجديد منذ تأسيسه على يد آتاتورك. وقد ظهر فكر القومية التركية ضد القومية العربية والتصدى لأى تهديد يتعرض له أمنها القومى ومن أجل الوقوف على حقيقة هذا الأمر ينبغى الإشارة إلى اعتناق الشاه مثل تلك النظرية وتوطيده العلاقات مع إسرائيل معتقداً أن تقوية علاقاته مع إسرائيل وإن كلفه ذلك الخروج من العالم الإسلامي ضرورة تمليها عليه مجابهة التيار الناصرى فى المنطقة والتصدى للنفوذ الشيوعى فى إيران.

الأحزاب العلمانية فى تركيا أيضاً تفكر على هذا النحو فقد رأت فى زعامة عبد الناصر عدواً من الدرجة الأولى ومن الضرورى التصدى له بأسرع ما يمكن لحماية العلمانية التركية.

لذلك اكتملت أركان ائتلاف إقليمى من دول غير عربية تعادى العرب وترى فيهم خطر محدق.

فإسرائيل التى شنت حرب ضد العرب عام ١٩٤٨ ورأت أن العرب بمثابة تهديد للأمن القومى الإسرائيلى، انضمت إليها إيران البهلوية التى اعتبرت أن القومية العربية خطر على الدول الرجعية والملكية بالمنطقة وفضلاً عن تركيا انضم إلى هذا الحلف أيضاً دولة أثيوبيا التى استشعرت الخطر من جانب السودان ودول القرن الإفريقى تحت ضغط من الأقلية اليهودية فى أثيوبيا. خلال تلك الحقبة تعرضت إسرائيل إلى أزمة هوية ولم تكن أى دولة بالمنطقة على استعداد للاعتراف رسمياً بإسرائيل، لذلك استغلت إسرائيل الفرصة لإقرار علاقات طيبة مع دولتين إسلاميتين حتى يتثنى لها إيجاد خلل فى صفوف الدول الإسلامية، وقد نجحت فى ذلك إلى حد كبير. وإذا كان قبح العلاقة مع إسرائيل لم يثنى إيران وتركيا فى ذلك الوقت عن تقوية علاقاتهما بإسرائيل فإننا نشهد مؤخراً إقرار علاقات علنية بين إسرائيل وعشرة دول إسلامية فيما يعد نجاحاً كبيراً لإسرائيل.

وبالنظر إلى تركيبة الدول الأربع يلاحظ وجود عامل مشترك بينهم يتلخص فى كونها دول ليست عربية حاولت التصدى للعرب الناصريين، وفى هذا الإطار ينبغى الإشارة إلى نفوذ الاتحاد السوفيتى السابق ومخاوف تركيا وإيران من التفوق الاستراتيجى السوفيتى على حدودهما.

من ناحية أخرى خشيت الولايات المتحدة من هيمنة الاتحاد السوفيتى السابق على مياه الخليج الفارسي (العربى) فبدون إيران سيكون للاتحاد السوفيتى مطلق السيطرة على الخليج لذلك شهدنا فى ذلك الوقت

تقارب قوى بين إيران وإسرائيل وتركيا وأثيوبيا شمل اتفاقيات استخباراتية وأمنية فى إطار نظرة واقعية تبناها قادة الدول الأربعة.

النزاع بين الإسلاميين والعلمانيين

أعرب قادة العلمانية عن قلقهم حيال وصول الإسلاميين إلى السلطة فى تركيا واعتبروا أن ذلك بمثابة تقويض لمبادئ العلمانية. من هذا المنطلق حللت وسائل الإعلام الإيرانية هذا الحدث على أنه بمثابة انهيار للعلاقات التركية الغربية، لصالح العالم الإسلامي، معتبرين أن حزب الاعتدال والتنمية بقيادة رجب طيب أردوغان ومرشحه لرئاسة الجمهورية عبد الله جل وزير الخارجية قد أعاد تركيا فعلياً إلى أحضان العالم الإسلامي، لكن القضية تمضى فى اتجاه معاكس ومن غير المنطقى تعميم تجربة نجم الدين أربكان زعيم حزب الرفاه المنحل القائمة على تنمية العلاقات مع الدول الإسلامية وخفض حجم العلاقات مع إسرائيل، على أردوغان وحزبه.

فبالنظر إلى العلاقة بين تركيا وإسرائيل خلال العقد الأخير يمكن استنتاج أن العلاقات بين الدولتين قد تضاعفت خلال تلك المدة وأن أردوغان وعبد الله جل لم يعارضا زيارة تل أبيب أو عقد اتفاقيات عسكرية وأمنية واتفاقيات أخرى خاصة بزيارة حجم الصادرات إلى إسرائيل، وإذا كانت زياراتهم إلى إسرائيل بهدف دعم الحقوق الفلسطينية، فكيف ذلك فى حين لم يسمح الإسرائيليون مطلقاً بدخول الأتراك إلى دائرة النزاع الفلسطينى الإسرائيلى.

وبنظرة متأنية يبدو أن الجيش التركي هو ترمومتر العلاقة بين تركيا وإسرائيل، وفى هذا الصدد ينبغى الإشارة إلى تحديث الأسلحة التركية، الأمريكية الصنع. فقد التزمت الولايات المتحدة بتجهيز الجيش التركى حتى عام ١٩٩١ بهدف التصدى إلى أى تهديد سوفيتي، لكن بعد انهيار الاتحاد السوفيتي انقطعت المساعدات الأمريكية عن الأتراك فى هذا المجال. لذلك تم تحويل مشروع تحديث ١٧٠ دبابة أم - ٦٠ و ٥٤ طائرة مقاتلة ا ف - ٤ و٤٨ طائرة مقاتلة ا ف - ٥ بقية ٤٠٠ مليون دولار إلى الشركات الإسرائيلية.

بالإضافة إلى ذلك شراء ١٠٨ طائرة مقاتلة بدون طيار والإنتاج المشترك لصواريخ ارو - ٢ . لقد حولت إسرائيل الأتراك إلى حجر عثرة فى مواجهة صواريخ شهاب الإيرانية، وفى حالة استهداف هذه الصواريخ لإسرائيل تستطيع تركيا اعتراض صواريخ شهاب قبل وصولها إلى سماء وأجواء إسرائيل. من ناحية أخرى يعتبر نقل الماء العذب ضمن أهداف إسرائيل من تركيا.

أفغانستان: أرض الاضطرابات

■ **فريده شريفى** ■ كيهان (الدنيا) ٢٠٠٧/٥/١٧

تقع أفغانستان شرق إيران، وتحتل المرتبة ٤٧ على مستوى العالم من حيث عدد السكان بحوالى ٢٢ مليون نسمة، ومن المتوقع أن يصل هذا الرقم إلى ٢٨ مليون نسمة بعد عودة اللاجئين الذين بدءوا فى النزوح من عام ١٩٨٠ . وتعتبر مدينة كابول أكبر المدن الأفغانية من حيث الكثافة السكانية وبها ٣ مليون نسمة. بسبب النظام القبلى والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية وعدم وجود وسائل النقل الكافية، والطرق الممهدة، وانعدام الوظائف والدخول وتعقد الحياة فى المدن وعدم القبول بأى أفراد من خارج القبيلة، نجد أن ٨٠٪ من السكان يعيشون فى الغالب داخل المناطق التى ولدوا بها. لذلك فالإسلام هو الشئ الوحيد الذى يجمع بني الأفغان. وقد دفعت الصراعات المتعاقبة فى هذه الدولة، الأسر إلى بيع ممتلكاتها تدريجيا بمرور الوقت فشرعت فى الهجرة إلى المدن أو إلى دول أخرى لذلك تراجع بشدة معدل الاقتصاد وعانى معظم الشعب الأفغانى من الفقر. ولأن أفغانستان من الناحية التاريخية كانت الطريق التجارى الأول بين أوروبا والصين فقد ارتبطت بصلات قوية مع إيران وآسيا الوسطى، كما ارتبط مصيرها لفترة طويلة بمصير شبه القارة الهندية، ومع كل هذا ظلت أفغانستان منفصلة عن جيرانها، وفى حين أثر شعبها العيش فوق الجبال المرتفعة إلا أنه دافع عن صلاته بقوافل التجارة.

الجغرافيا الأفغانية كانت كذلك عاملاً أساسياً ساهم فى تهريب المواد المخدرة، وقد سعى الاستعمار لترويج هذه التجارة من أجل السيطرة على البلاد. بالرغم من ذلك ناضل الشعب الأفغانى للحصول على استقلاله وبعد نضال دام قرابة العشرة أعوام حصل على استقلاله رسمياً من الاتحاد السوفيتى السابق عام ١٩٨٩، وبعد وصول طالبان إلى السلطة شنت الولايات المتحدة الأمريكية هجوماً ضد أفغانستان عام ٢٠٠١ فى أعقاب أحداث سبتمبر بحجة الحرب على الإرهاب والدفاع عن الديمقراطية وحقوق الإنسان وبذلك أكملت قبضتها على تلك المنطقة الحساسة فى الشرق الأوسط، ومن ثم حصلت على مصالحها الاستعمارية. لقد تم التدخل فى أفغانستان من خلال طريقتين، الأولى هى الاحتلال العسكرى، والثانية هى تمكين حكومة عملية من الوصول إلى سدة الحكم. لذلك ليس من السهل تحقيق سلام دائم فى هذه الدولة وهى القضية الأهم بالنسبة للحكومة الحالية فى أفغانستان. بالرغم من ذلك تزايد الحديث مؤخراً عن إقرار السلام والاستقرار بعد أن أصبحت أفغانستان بؤرة الاهتمام الدولى وبعد أن سعت قوى إقليمية لمضاعفة نفوذها فى أفغانستان، الأمر الذى يجعل من احتواء هذه النوعية من التدخلات والتحركات ليس مسئولية حكومة بعينها. ويبدو أن غدارة هذه التدخلات يجب أن يحظى بأولوية من جانب الحكومة الأفغانية، لأن التجربة أثبتت أن التدخل الأجنبية أطاح بالتوازن القومى فى تلك الدولة، كما أن تمركز قوات متعددة الجنسيات فى أفغانستان سيحدد طريقة تعامل حكومة كابول مع تلك الدول.

من أهم القضايا والمشكلات التى تواجه الحكومة الأفغانية حالية وبدونها لن يتثنى لحكومة حامد كرزائى القدرة على توفير الأمن والاستقرار فى هذه الدولة، نزع سلاح الجماعات، وإيجاد جيش منظم لإقرار الأمن على الحدود وداخل المدن، وإعادة بناء أفغانستان وتنظيم اقتصاد الدولة المنهار والتصدى لتهريب المخدرات ومكافحة مشكلة التصحر، وإعادة اللاجئين وتحقيق الوحدة والتوافق بين القوميات الجماعات.

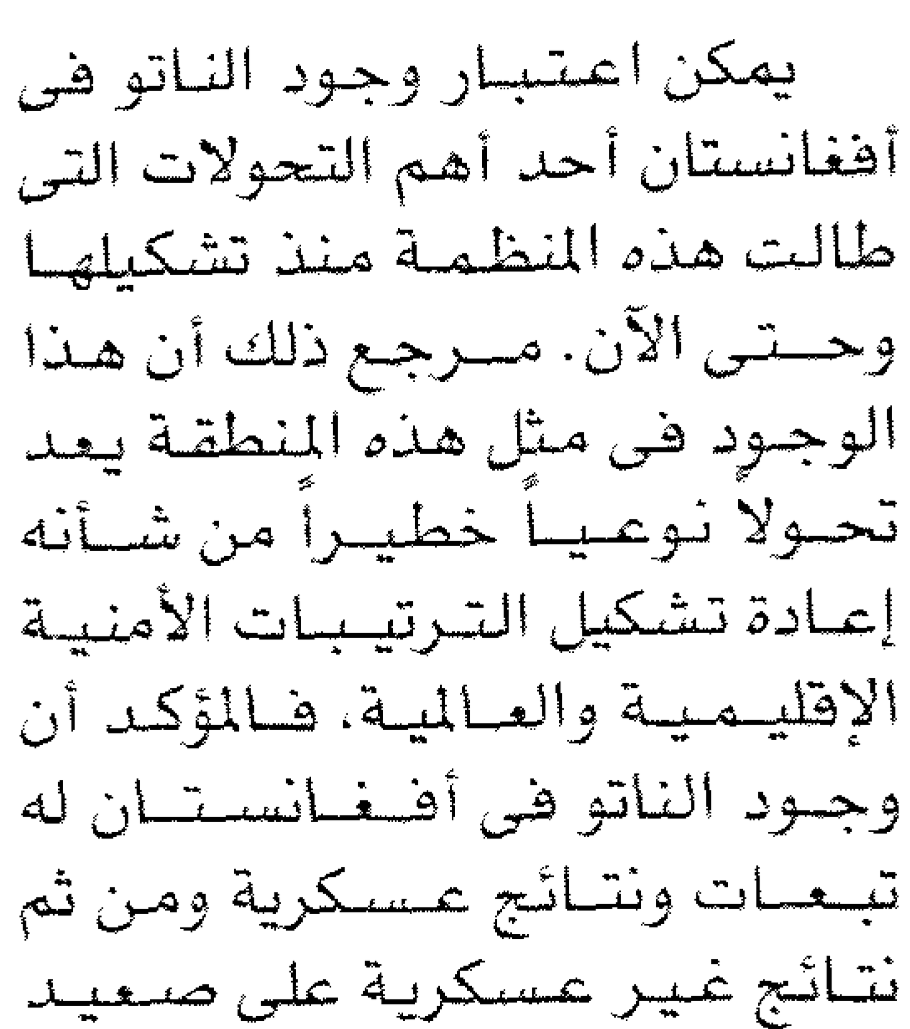
الأهداف الأمريكية من اجتياح أفغانستان:

فى أعقاب أحداث سبتمبر والهجوم على أفغانستان تحت ستار الحرب على الإرهاب، أعلن وزير الدفاع الأمريكى فى ذلك الوقت "دونالد رامسفيلد" أن القوات الأمريكية المتمركزة فى هذه الدولة ستستقر فى قواعدها بالأراضى الأفغانية حتى ستة سنوات قادمة على الأقل، وفى الواقع يبدو أن الأمريكيين قد حولوا هذا التهديد المتمثل فى أحداث سبتمبر إلى فرصة ذهبية، وصمموا على الاستفادة من هذه المكانة للتغلب على عقبات تعترض استراتيجية مشروع النظام الدولى الجديد. وإذا كان هدف الولايات المتحدة الحقيقى التصدى للإرهاب، فإنها لم تكن بحاجة إلى الانتظار حتى تقع أحداث سبتمبر، وقد بات من الواضح أن التصدى للإرهاب ما هو إلا غطاء لتثبيت النظام العالمى الجديد والحصول على أهداف اقتصادية وسياسية واستراتيجية تسعى الولايات المتحدة لتحقيقها منذ ظهور طالبان وحتى الآن.

لذلك يمكن القول أن تمركز القوات الأمريكية فى هذه المنطقة هو دعامة لمصالحها الاقتصادية والاستراتيجية حيث منحت الحرب ضد طالبان الولايات المتحدة شرعية البقاء فى أفغانستان على المدى الطويل. وفى هذا الإطار نجد أن من أهم الأهداف الأمريكية، الاقتراب من روسيا وبناء قواعد عسكرية وإنشاء منصات صواريخ محملة برؤوس نووية، وإيجاد خلل فى العلاقة بين إيران وآسيا الوسطى من ناحية وبين روسيا والقوقاز من ناحية ثانية وبين باكستان والهند من ناحية ثالثة، ثم الحد من تحول الصين إلى قوى عظمى واحتواء ومجابهة الإسلاميين، والحصول على الثروات الاقتصادية الضخمة ببحر قزوين والخليج الفارسى (العربى)، وهى بالقطع أهداف لا يمكن التغاضى عنها. على هذا النحو شكلت الولايات المتحدة الأمريكية قواعد اللعبة تبعاً لمصالحها وفى إطار فرض سيادتها ومنطقها، ويبدو أن الساحة الدولية تساهم حالياً أيضاً فى تذكية هذا الانتشار العسكرى الأمريكى فى المنطقة بما يمكنها من تحقيق أهدافها.

تحديات الناتو فى أفغانستان

■ مردم سالارى (الديمقراطية) ٢٠٠٧/٦/١٠

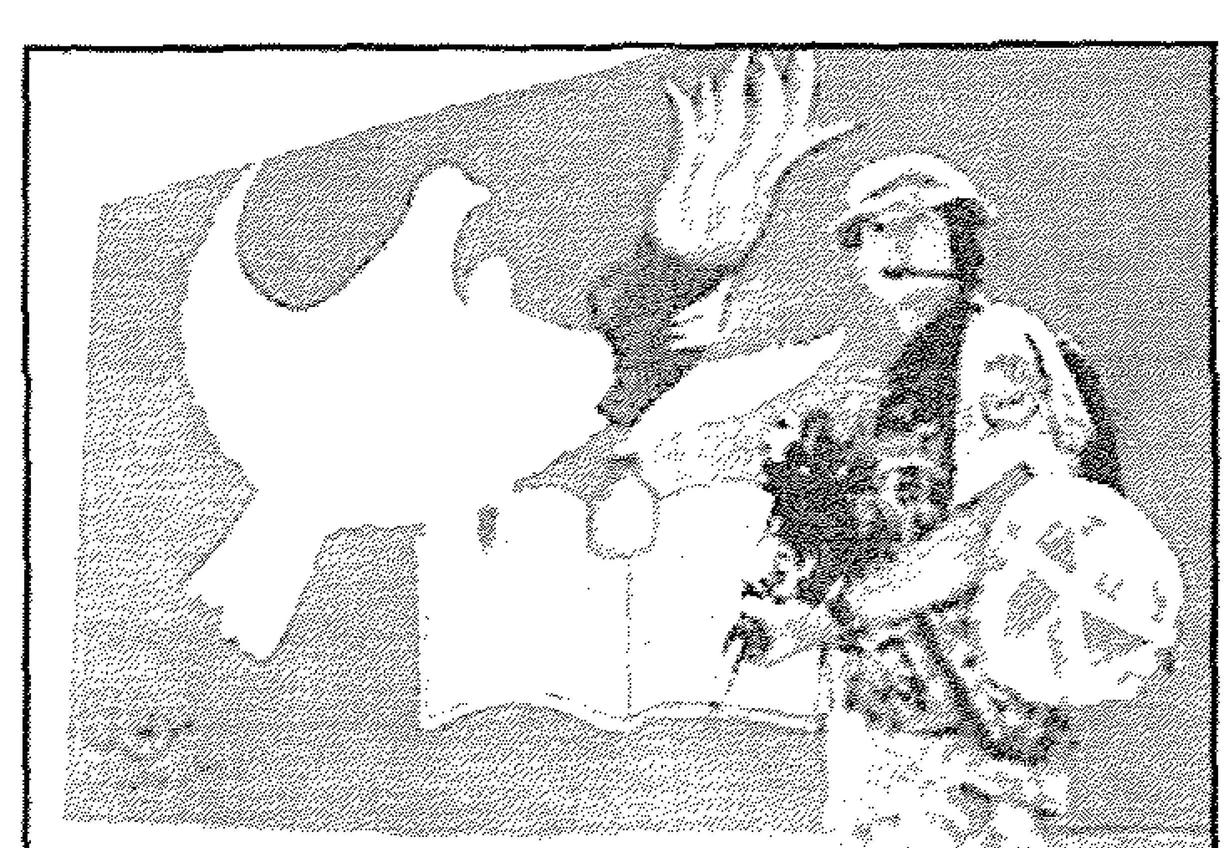


يمكن اعتبار وجود الناتو فى أفغانستان أحد أهم التحولات التى طالت هذه المنظمة منذ تشكيلها وحتى الآن. مرجع ذلك أن هذا الوجود فى مثل هذه المنطقة يعد تحولاً نوعياً خطيراً من شأنه إعادة تشكيل الترتيبات الأمنية الإقليمية والعالمية، فالمؤكد أن وجود الناتو فى أفغانستان له تبعات ونتائج عسكرية ومن ثم نتائج غير عسكرية على صعيد التعاون الثنائى فى المجالين الاقتصادى والسياسى سواء على المستوى الثنائى أو على المستوى الجماعى متعدد الأطراف فيما بين دول آسيا الوسطى وهذا الحلف.

كما أن ذلك من شأنه تعظيم عملية التنافس فيما بين دول آسيا الوسطى بهدف تحقيق الاستفادة القصوى من هذه الفرصة وهو الأمر الذى من شأنه توسيع مجال ومستوى التحركات والبرامج والمشروعات الخاصة بالحلف فى المنطقة.

فى ١١ أغسطس ٢٠٠٣ تولى الناتو مسئولية قيادة القوات الدولية المكلفة بمساعدة أفغانستان من أجل تحقيق الأمن. ومن هنا صارت هذه الخطوة هى المرة الأولى التى يتجاوز فيها الدور الأمني - الوظيفى للحلف، النطاق الجغرافى لأوروبا لينطلق منها نحو أكبر قارات العالم يعنى قارة آسيا. فى هذا الصدد - أو على هذا النحو - يمكن قراءة وجود الناتو فى أفغانستان بوصفها دولة خارج النطاق الجغرافى الرسمى لعمل الحلف. وهى الخطوة التى تعتبر تحركاً للأمام نحو توسيع النطاق الجغرافى للحلف وهى النظرية التى تدافع أمريكا عنها.

لكن مع ذلك ثمة خوف أفرزته تلك التحركات عبر عنه "جاكو بسون" سفير أمريكا فى طاجيكستان فى كلمته التى ألقاها أمام ندوة: "أفغانستان والأمن الإقليمى .. خمس سنوات بعد سقوط طالبان" والتى عقدت فى مدينة "دوشنبه" عاصمة طاجيكستان، حيث قال: لقد وضعت أمريكا برنامجاً طويل الأجل بالنسبة لأفغانستان ومن هنا يعد زيادة التعاون مع أفغانستان من البرامج والأهداف الاستراتيجية لحلف الناتو فى المنطقة.



ولهذا أيضاً يتمتع الناتو بوجود قوات له فى خمس مدن أخرى - بخلاف كابل - فى أفغانستان.

فى هذا المقال سوف نقوم بدراسة أهم التحديات التى تواجه مهمة حلف الناتو فى أفغانستان.

الواقع أن مهمة الناتو فى أفغانستان صارت خاضعة أو أسيرة لأزمة كبرى. فمع تولى الناتو القيادة الدائمة للايساف (القوات الدولية المساعدة فى تحقيق أمن أفغانستان) ومع اتساع رقعة مهمة الناتو أصبحت قوات الناتو فى حالة حرب دائمة مع طالبان هذا فى الوقت الذى لا تتمتع فيه قوات الناتو فى أفغانستان بالجهوزية الكاملة لمثل هذه الحرب سواء من حيث الهيكل الخاص بها وسواء من حيث عدد أفرادها وتسليحها.

يوجد الآن حوالى ٤٠ ألف جندى أجنبى فى أفغانستان ٢٠ ألف منهم أمريكيين و٢٠ ألف آخرين تابعين لحلفاء الولايات المتحدة.

منذ فترة ليست قصيرة يشتكى قادة الناتو فى أفغانستان من نقص الذخيرة وطائرات الهليكوبتر وبعض التجهيزات الأخرى لكن مع هذا فإن الدول الأعضاء فى هذه القوات لم تتمكن حتى من إرسال قوات إضافية أخرى تلبية لمطالب قادة القوات الأطلنطية فى أفغانستان.

من غير المتوقع أن يحدث توافق ما بين قادة الدول الأعضاء فى حلف الناتو بشأن تلبية - ولو محدودة - لمطالب قادة القوات عبر إرسال العتاد المطلوب لتحقيق الحد الأدنى من الاكتفاء الذاتى من الذخيرة. حتى لو قامت الدول الحلفاء فى الناتو بتوفير ألفين جندى إضافيين كما هو مطلوب وكذلك تلبية مطالب قادة القوات فى أفغانستان من السلاح والتجهيزات والمعدات العسكرية فمن غير المأمول أن يؤدى ذلك إلى تحقيق الأهداف التى وضعها السياسيون وبافتراض المستحيل وهو أن يتم مضاعفة عدد قوات الناتو فى أفغانستان ليصل إلى ٨٠ ألف جندى سيكون هناك شك فى أن يتمكن الحلف بالاعتماد على هذه الآلة العسكرية من حل المشكلات الأمنية القائمة فى أفغانستان.



لهذا السبب يمكن القول بأن الاقتراح الذى تقدمت به السيدة انجيلا ميركل مستشار ألمانيا بشأن وضع وتنفيذ استراتيجية جديدة فى أفغانستان على المستويين العسكرى والسياسى يمكن أن يؤدى إلى إيجاد حل للأزمة. هذا الاقتراح يحظى أيضاً بأهمية استراتيجية خاصة من زاوية أن الاستراتيجية العسكرية السابقة كانت قد وضعت بشكل رئيسى من جانب أمريكا وإنجلترا ولهذا السبب نفسه امتنعت دول مثل ألمانيا وفرنسا من أجل إرسال تعزيزات إضافية إلى جنوب أفغانستان وهو ما كانت قد أعلنته كل من الدولتين فى مؤتمر "ريجا" حيث أقرت الدولتان بأن إرسال مثل تلك التعزيزات يعد أمراً استثنائياً.

على أية حال لقد أثبتت التجربة أن سياسة واستراتيجية وتكتيكات الناتو وكذلك سياسة الدول العربية تجاه أفغانستان لو بقيت أو استمرت على حالها وما هى عليه الآن فإن أية خطوة تهدف إلى تحقيق زيادة فى عدد قوات الناتو فى أفغانستان يمكن أن تؤدى إلى تعقيد الأمور أكثر وأكثر.

لكى يمكننا الوصول إلى إجابة للتحديات الموجودة يكون من المهم والأفضل أن ننظر ونفهم لماذا تسير الأوضاع فى داخل أفغانستان نحو التدهور والمزيد من التدهور؟ وما هى العوامل والأسباب التى أدت إلى أن تسترد طالبان عافيتها وتنهض من جديد؟

ولماذا ظل الناتو حتى الآن عاجزاً فى مواجهته مع طالبان؟

أولاً .. المجتمع الدولى كان قد أعطى وعوداً كثيرة إلى الشعب الأفغانى من أجل إعادة تعمير أفغانستان لكن أى من هذه الوعود لم يتم تحقيقه على الإطلاق وظلت مسيرة إعادة الإعمار غير موفقة وغير ناجحة ومتعثرة لدرجة أنه بات من الصعب وصفها بأنها مسيرة إعادة التعمير خاصة من جانب طبقات الشعب الأفغانى الفقيرة والكادحة التى لم تلحظ حتى الآن وجود أى تغيير إيجابى فى حياتهم.

ثانياً .. الأسلوب العنيف والمهين والمستفز من جانب القوات الأمريكية بحق أفراد الشعب الأفغانى وارتكابهم جرائم صدمت مشاعر الأفغان وكذلك قيامهم بتشريد سكان المدن والقرى عقب عمليات القصف الجوى والهجمات العسكرية الأمر الذى شكل مناخاً وتربة جيدين لعودة وإحياء النفوذ الطالبانى مرة أخرى.

ثالثاً .. نتيجة لعمليات الانتهاك المستمرة لأسس ومبادئ مؤتمر بون والمعاهدات الخاصة به لم تبلغ المسيرة الخاصة بإعادة تشكيل الحكومة ومن ثم المسيرة الديمقراطية، لم تبلغ بعضاً من نتائجها التى كانت منتظرة فكانت النتيجة الطبيعية لذلك هى انتشار الفساد والهرج والمرج والحضور أو الوجود الواسع للعسكريين، مافيا المخدرات وإجمالاً جميع العناصر المتهمة بارتكاب جرائم حرب.

على صعيد الجهاز الحكومى فقد أخذ يعانى من - ويفتقد إلى - الدعم الشعبى فيما يخص قيام الحكومة بوظائفها الأساسية وهو ما خلق حالة من اليأس وفقدان الأمل صارت متصاعدة يوماً بعد يوم. لقد بلغ مستوى غضب الشعب لدرجة أنه إذا تحول هذا الغضب لأعمال عنف فلن تصبح الأوضاع قابلة للسيطرة من جانب أى طرف أو أى جهة أو أى قوة داخلية.

رابعاً .. فيما يخص القول الخاص بوجود دعم خارجى ما للجماعات أو الحركات الفدائية وأن لها قاعدة فى خارج أفغانستان فإن ذلك يكشف عن حقيقة أخرى مفزعة ومستترة. فطالبان لا تملك قواعد أو ملاجئ خاصة بها فى باكستان فحسب بل إنها تحظى وتتمتع بقواعد تدريبية ولوجستية ومراكز سياسية وقيادة عسكرية حربية فى باكستان أيضاً.

خامساً .. مع تجلى العجز الأمريكي فى العراق أخذت مؤشرات الاعتراض بشأن الوجود العسكرى الأمريكي فى أفغانستان فى التبلور والتصاعد خاصة من جانب روسيا، الصين وكذلك إيران أيضاً وهو ما أعطى باكستان فرصة حتى تطلق ماكينتها الإعلامية الحربية المعادية للأفغان من أجل تحقيق نفس الأهداف التى تسعى إلى تحقيقها منذ ثلاثة عقود.

إذاً مع الوضع فى الاعتبار المواضع المذكورة عالياً يمكننا القول بأن السؤال الأساسى هنا هو كالتالى: هل الغرب مهتم فعلاً بمجموعة العوامل التى أدت إلى تأزم الأوضاع فى أفغانستان، وهل لديه برنامجاً محدداً ومدروساً من أجل اقتلاع هذه العوامل والقضاء عليها أم لا؟ لقد أضاع الغرب فرصاً ذهبية فى أفغانستان ولكن مع ذلك لازالت لديه فرصة أخرى لكى يضع استراتيجية جديدة ومؤثرة من جهة ويضع ويحدد التكتيكات والآليات اللازمة لتنفيذها من جهة أخرى.

حتى الآن ليس واضحاً ما إذا كان قادة وزعماء دول حلف الناتو قد أخذوا تحذيرات القائد العسكرى للناتو فى أفغانستان بشأن أهمية وضع خطة تنفيذية شاملة من أجل تدارك الأخطاء السابقة والعمل على استيعاب الآثار والنتائج السلبية لتلك الأخطاء وهى التحذيرات التى كان قد أطلقها فى شتاء العام الماضى والتى أكد فيها على قلقه العميق بشأن تدهور الأوضاع هناك.

لقد أعلن عن مخاوفه تلك فى مؤتمر "ريجا" لكن الشئ المهم هنا أن مؤتمر قمة دول الناتو والذى عقد فى "ريجا" كان له رسالة مهمة من الناحية السياسية وهى أن الناتو مصمم على البقاء فى أفغانستان وأن يحقق المسئولية التى ألقيت على عاتقه هناك. لكن هذه الرسالة وحدها ليست كافية لكى تؤدى بباكستان إلى الانصراف

عن سياساتها المعادية للأفغان المقيمين فيها أو للمواطنين الباكستانيين المنتمين إلى الأصول الأفغانية.

يجب على الغرب أن يمارس ضغوطاً أكبر على باكستان لصرفها عن الاستمرار في تلك السياسات مستفيداً في ذلك من الأدوات والوسائل المتعددة المتاحة له هذه واحدة وأما الثانية فهي أنه من اللازم على الغرب أن يقدم برامج وخطط مؤثرة من أجل حل المشكلات الداخلية لأفغانستان وأن يأخذ بها نحو منصة التنفيذ.

لو أننا قمنا بحصر شامل للمعدات المالية الدولية التي تدفقت إلى أفغانستان في السنوات الخمس الأخيرة ثم قارنا بينها وبين مجموع الاستثمارات الداخلية والأجنبية التي تمت في أفغانستان طوال القرن العشرين كله فسندرك أن حجم المساعدات المالية في السنوات الخمس يفوق كل الاستثمارات التي تمت في القرن العشرين كله. لكن مع ذلك فإن النتائج المتحققة من وراء تلك المساعدات أقل بكثير من الأهداف التي كان مأمولاً تحققها بعد مؤتمر "بون" وهو ما ينعكس على حالة السلم المضطرب الذي لازال سائداً في أفغانستان. هنا يمكننا القول باطمئنان إلى أنه لو كان قد تم استخدام وتوظيف تلك المساعدات المالية بشكل صحيح والتي وصلت إلى أفغانستان على مدار السنوات الخمس السابقة لكان من المؤكد أن تتعاظم النتائج المترتبة عليها عما هو قائم الآن.

إن غلق القنوات والأساليب المهلكة للطاقات وخلق القدرات المبتكرة لجذب وتوفير المساعدات المالية والفنية الدولية وتخصيص المساعدات والاعتمادات المالية الجديدة التي تكون متناسبة مع الاحتياجات الخاصة بالإعمار السريع يجب أن تشكل جميعها أهم السياسات الغربية الجديدة بشأن أزمة أفغانستان.

هنا لابد من التأكيد على أن استمرار وجود أعداد كبيرة من الجماعات المسلحة سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى القيادات والميلشيات التي تحظى بدعم من جانب البنتاجون يعد مانعاً جوهرياً فيما يخص بسط سيادة الحكومة الأفغانية على جميع أجزاء الدولة من جهة وحائلاً يمنع دون ترسيخ واستقرار حكم القانون في أفغانستان من جهة ثانية. لقد أثبتت التجربة أنه بدون إزالة هذه العقبات فإن استقرار السيادة الحكومية في جميع أرجاء الدولة، تأمين النظام والأمن والاستقرار سيظل أمراً غير ممكناً.

فيما يخص إعادة بناء القوات المسلحة الأفغانية يمكن القول بأنه في حالة توافر الإرادة السياسية والمصادر المالية ومصادر التسليح والمعدات والأجهزة العسكرية فإن وصول أفغانستان إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي فيما يخص ضمان الأمن ومكافحة الاضطرابات الداخلية يظل أيضاً أمراً غير ممكناً. ولكن مع ذلك فإن مسيرة بناء القوات المسلحة الأفغانية طوال السنوات الخمس الماضية كانت على نحو من الرداءة لم تمكنها من سد مجرد الرمق الذي تحتاج إليه تلك القوات. مرجع ذلك أن الغرب لم يقم بتلبية المطالب المتكررة من جانب المسئولين الأفغان بشأن المساعدات المالية والفنية والتسليحية اللازمة لإعادة بناء الجيش الوطني وكذلك قوات الأمن الداخلي الأمر الذي أسفر عن ضرب الودع والتخمينات لتفسير هذا السلوك الغربي. من ذلك أن أمريكا لا تثق في كادر الزعامة العسكرية الأفغانية وأنها تخشى لو أنها قامت بتلبية مطالب الجيش والشرطة فإن ذلك ربما يقوى من شوكة العناصر التي لا تطمئن إليها أمريكا إليها والموجودة في هيكل المؤسسة العسكرية.

الواقع أن أمريكا تريد من هذه السياسات أن تقود وتوجه وجودها الدائم في أفغانستان. أيضاً من التخمينات الخاصة بتفسير السلوك الغربي - الأمريكي القول الخاص بأن أمريكا تخشى من تدخل العسكريين في الشئون السياسية فيما لو تحققت مطالبهم بشأن إعادة البناء الخاصة بالقوات المسلحة الأفغانية.

كذلك تخاف أمريكا - واضعة في اعتبارها الملاحظات الأمنية الباكستانية - من أنه في حالة امتلاك أفغانستان جيشاً قوياً فربما أدى ذلك بقادة أفغانستان إلى استخدام الحل العسكري أي الخيار العسكري لحل خلافاتهم الطويلة مع باكستان إلى غير ذلك من تخمينات تصور كلها لسيناريوهات كارثية في المستقبل.

لكن حقيقة الأمر تبدو مغايرة لذلك إذ من غير المتوقع على الإطلاق أن يلجأ القادة العسكريون الأفغان إلى حل مشكلاتهم مع باكستان عبر الخيار العسكري حتى وإن أصبح الجيش الأفغاني مكوناً من سبعين ألف أو حتى مائتي ألف جندي لسبب بسيط للغاية يتمثل في تلك الكفاءة والمكانة والقدرة العالية المتوفرة للجيش الباكستاني.

إن الاهتمام الفوري والعاجل بتحقيق نمو سريع في الكم والكيف للقوات المسلحة الأفغانية يعد أفضل اختيار وأفضل إجابة على التحديدات الموجودة في أفغان في شقها العسكري.

لا يوجد شك في أنه لو حدث وأصبحت القوات المسلحة الأفغانية على كفاءة عالية من حيث العدد والتدريب والتسليح والتجهيزات على النحو المنشور الذي يضمن تحقيق الأمن لأفغانستان فإنه لن تكون هناك حاجة لمزيد من قوات حلف الناتو في داخل أفغانستان فحسب وإنما ستكون الخطوة التالية هي أن يبدأ حلف الناتو في التفكير في خفض قواته في أفغانستان أو على أقل تقدير أن يقلل الحلف من مشاركة تلك القوات في العمليات العسكرية.

من شأن ذلك أيضاً أن يقلل من ضغوط الرأى العام داخل الدول الغربية على حكوماتها نتيجة لزيادة الخسائر التى تلحق بجنود حلف الناتو فى أفغانستان.

أيضاً ستنخفض حدة المشاعر المعادية لقوات الناتو المتواجدة داخل المناطق السكنية نتيجة لانسحابها خارج المدن وحلول القوات الحكومية الأفغانية مكانها ومن ثم سيظل تنور الدعاية الإعلامية المضادة التى يقوم بها الإرهابيون بحق القوات الخاصة بحلف الناتو، بلا نتيجة وبدون أثر يذكر.

عندما سافر وزير الدفاع الأفغانى إلى واشنطن وتقابل مع نظيره الأمريكي الذى وعده بوضع عدة طائرات هليكوبتر وعدد آخر من الطائرات النظامية تحت تصرف الحكومة الأفغانية كان الحق مع الأفغان فى أن يسألوا وزيرهم بل ويسألوا أنفسهم قبل ذلك عن هدف ونية أمريكا تجاه أفغانستان وعما إذا كانت أمريكا تنظر إلى أفغانستان بوصفها دولة صديقة أم أن الأمر برمته يبدو غير ذلك؟

لقد توصلت التخمينات إلى ثلاث احتمالات بشأن النوايا الأمريكية - الغربية تجاه أفغانستان. وهى إما أن أمريكا وحلفائها لم يأتوا إلى أفغانستان من أجل مصائب الأفغان وأنهم إنما يتحركون وراء مصالحهم الجيو استراتيجية الكبرى ولهذا جاءوا إلى أفغانستان. أو أن الحضور والتواجد فى أفغانستان يشكل فرصة عظيمة لأمريكا وحلف الناتو ليتمكنوا من مراقبة القوى النووية المجاورة لأفغانستان من جهة وإيجاد طريقاً بديلاً لهم يأخذهم إلى آسيا الوسطى من جانب أو جهة أخرى.

فإذا ما قمنا بمد البصر تجاه الهدف الظاهرى الرسمى المعلن بشأن وجود أمريكا والناتو فى أفغانستان فسوف نكتشف انطلاقاً من كلام "تونى بلير" الذى قاله فى قمة "ريجا" حيث قال: لا يوجد أى تحدى من أجل ضمان الأمن العالمى أهم من ضمان تحقيق الأمن فى أفغانستان.

من الواضح أن الشعب الأفغانى يمكنه أن يقبل بتحالف دولته مع أمريكا والناتو بوصف ذلك ركناً مهماً من أركان السياسة الخارجية الأفغانية، فقط فى حالة ما إذا أدرك أن فى ذلك التحالف ضمان لتحقيق المصالح الوطنية الأفغانية.

لكن لو أن أمريكا والغرب لم يضعوا التوجهات التوسعية الموجودة داخل الأوساط والمحافل العسكرية الباكستانية ضد أفغانستان بعين الاعتبار، وإذا لم يرقبوا جيداً عيون إسلام أباد المنفتحة على القضايا الأفغانية وإذا لم تقم أمريكا والغرب بتقديم المساعدات الحقيقية اللازمة لاعمار وتعمير أفغانستان بحق، وإذا لم تراع أمريكا والغرب حرمة الشعب الأفغانى عند ذلك سيصبح الفرد الأفغانى المراقب للأمور له الحق فى أن يسأل السؤال التالى: لماذا يجب على أفغانستان وحدها أن تدفع ثمن مخاطر وجود التحالف الاستراتيجى مع الناتو وأمريكا؟

لقد مضت خمس سنوات على انتظار الشعب الأفغانى لكى تتحقق وعود السلام والديموقراطية وإعادة البناء والتعمير التى كان الغرب وأمريكا قد وعد الأفغان بها. منذ خمس سنوات وعدت أمريكا ببناء مشروع مارشال لأفغانستان وهو ما استقبله الأفغان بحفاوة كبيرة. لكن الآن وبعد خمس سنوات لم يتحقق شئ من هذا ولم تعد أمريكا ولا الغرب بقادرين على كسب ثقة الشعب الأفغانى من جديد. لكن الشئ المؤكد أن استرجاع واسترداد هذه الثقة إنما يتحقق عبر طريق واحد فقط هو تلبية المطالب والاحتياجات المحقة للأفغان، لا أن يقوم الغرب وأمريكا بتقديم تلك المساعدات فقط متى ما كانت تصب فى مصلحة الاستراتيجية والمصالح الغربية - الأمريكية فحسب.

المشكلة الأخرى أن النخب الأفغانية لم تتمكن حتى الآن من وضع وتقديم تعريف محدد وواضح للمصالح القومية والاستراتيجية الأفغانية لكى يتم بلوة الخطط والاستراتيجيات اللازمة لاعمار وبناء أفغانستان وفقاً لها. من المؤكد أنه متى ما يتمكن الأفغان من وضع تصور لما هية المصالح القومية والاستراتيجية الأفغانية انطلاقاً من أن عدم وجود هذا التصور إنما يشكل فى حد ذاته معضلة كبرى .. إذا ما نجح الأفغان فى ذلك فمن المؤكد أنهم سيصبحون أقرب من أى وقت مضى إلى الوصول نحو حلول جذرية لمشكلاتهم الداخلية والأمنية والسياسية والاقتصادية من جهة وتجاوز العديد من المشكلات التى يواجهونها على الساحة الدولية من جهة أخرى الأمر الذى من شأنه أن يخلق نظرة إيجابية لهم بوصفهم شركاء جديدين بالشراكة مع أى من القوى الدولية أو الإقليمية فإذا ما تحقق ذلك فعلاً فعندها يمكن القول بأن أمريكا والناتو سيتمكنان فعلاً من تلبية المطالب الأفغانية، ليس هذا فحسب وإنما لن يقدران على الإطلاق على تجاهل مطالب الأفغان بالشكل المذرى والمخذى الذى نراه قائماً الآن.

نظرة على دور ومكانة إيران فى المعادلات العالمية

■ إيران ٢٠٠٧/٥/١٧

تعد التنمية الاقتصادية هى الهدف الرئيسى للمعنى الشامل لكلمة تنمية. فهذه الكلمة بها شمولية معقدة.

فهى من ناحية تشمل التنمية فى المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، ومن ناحية أخرى تشمل التعاون البناء والنتائج المتناسقة العملية فى هذه المجالات وتقوم إستراتيجيات التنمية على محاور مختلفة، فمثلاً يعتبر البعض أن الاستثمارات الأجنبية هى محور التنمية فى حين يعتبر البعض الآخر أن الشرط الأول للتنمية هو تعلم القوى البشرية، لأن وجود قوى بشرية متخصصة ماهرة لها دور هام وحيوى خاصة فى مسألة التقدم الصناعى ولذا كان اعتماد دولتنا فى السنوات الأخيرة على القوى البشرية المتخصصة والماهرة، والتى استطاعت بخبرتها ان تقدم دوراً هاماً، فى ساحة التقدم الصناعى والتكنولوجى وهذا ما تم فى مجال الطاقة النووية السلمية وهى خطوة قفزت بإيران قفزة هائلة فى مجال التنمية الصناعية ووضعتها فى مصاف الدول المتقدمة، وأصبحت بمثابة حجر الأساس للتنمية الثابتة.

النقطة الأخرى الهامة أن استراتيجيات وبرامج التنمية عادة تكون معتمدة على الإمكانيات والاستعدادات والقدرات الداخلية ولكن التطورات العالمية أظهرت التزامات فرضت على حكومات العالم ضرورة الأخذ فى الاعتبار واقع الساحة الخارجية فى تنظيم السياسات والاستراتيجيات التنموية.

وبالطبع هذا الإلزام للدول التى لديها قابلية واسعة للتنمية فى كل الجوانب. خاصة الدول التى لديها موقع جيوبولتيكى لا مثيل له وأيضاً مكانة اقتصادية وسياسية عظيمة وهى المكانة التى تجعل دولة إيران صاحبة علاقات ممتدة مع كل دول العالم، ومن ناحية أخرى لا يمكن فرض العزلة عليها. وهذا ما أثبتته تجربة الحظر التجارى والاقتصادى الذى فرض على إيران لسنوات عديدة، كان بمثابة سيف مسلط على رقاب الدول التى فرضت هذا الخطر وكان يهدد مصالحها الاقتصادية والتجارية.

واستراتيجية التنمية لكل دولة يمكن أن تعد إطار كلى وأساسى للتفكير بشأن برنامج التغير والتطور فى تلك الدولة.

ولكن الظروف العالمية الحالية دعت إلى ضرورة ارتباط هذه الاستراتيجية بالتطورات العالمية الدائمة، لأن هذه الساحة العالمية أظهرت فرص جديدة للحصول على أسواق السلع والخدمات والاستفادة من المصادر الجديدة للعلم ورأس المال وزيادة المهارات التنظيمية والعملية.

ويشير التعاون والترابط الدولى إلى أن الارتباط برأس المال والتكنولوجيا والسياسات التسلطية الأجنبية لا يعنى إضعاف أسس الاستقلال السياسى والاقتصادى للدولة.

والسياسات التى تجذب الإنتاج المحلى إلى الركود، وتزيد من أعداد البطالة، تغلق طريق التنمية، والتنمية الصناعية. وتقلل من إمكانية ظهور الاستعدادات والقدرات، بل وتؤدى إلى خسائر مادية ومعنوية لا يمكن تداركها.

وبالطبع وبصرف النظر عن التوجهات والتطورات التى حدثت فى السنوات الأخيرة، يمكننا القول أن دولتنا لم تبذل جهداً فى هذا الطريق والحديث عن الاستفادة من رؤوس الأموال والاستثمارات الأجنبية يكون بحذر كبير.

وبتفسير كلى للمسألة يمكن أن يعد هذا التوجه والتطور نتيجة لتوجه المسئولين فى الدولة واهتمامهم بالدبلوماسية الاقتصادية فى السنوات الأخيرة.

ولو تذكرنا فى عام ٢٠٠٥ طرح بعض المسئولين والخبراء هذه النقطة من خلال ندوة الدبلوماسية

الاقتصادية وأكدوا فيها أن الدبلوماسية والاقتصادية يرتبطون معاً فى علاقات معقدة لا يمكن فصلهما عن بعض. وأن كل توجه وتطور اقتصادى له مفهوم وانعكاس سياسى، ومن ناحية أخرى فإن التطورات الاقتصادية لابد أن يكون لها نتائج وتبعات سياسية والمثال الجامع لهذا الأمر هو مسألة حصول إيران على الطاقة النووية السلمية، الأمر الذى كان بمثابة توجه وتطور علمى وصناعى وتم اعتماداً على العلم والاستفادة من القدرات البشرية الإيرانية المتخصصة، وارتقى بمكانة دولتنا فى العالم وزاد من قابلية دولتنا للاستقرار والمن فى العالم تزايد فيه التوتر. ويحتاج فيه الاستثمار الأجنبى للمكان الآمن والمستقر.

وعلى الرغم من التهديدات الأمريكية المتوصلة، حققت الجمهورية الإسلامية المعادلة الصعبة وصارت ملاذا وأمناً للاستثمارات الأجنبية فى المجالات الصناعية والخدمية وعلى سبيل المثال مشاركة (ألمانيا) فى إنشاء شبكة قطارات سريعة بين طهران ومشهد، وهى قطارات تتحرك بسرعة ٥٠٠ كم فى الساعة، وتنفيذ مثل هذا المشروع سوف يتكلف المليارات.

ولكن السؤال هنا، هل كانت مشاركة ألمانيا فى هذا المشروع الكبير بدون دراسة؟ أم أنها لم تهتم بمسألة أمن واستقرار الجمهورية الإسلامية؟

وهل لم تسمع بتهديدات الولايات المتحدة لعزل إيران والتهديدات الإسرائيلية الجوفاء للقيام بحملة عسكرية ضد إيران؟ ألم تعرف بمشروع وبرنامج الحظر الاقتصادى على إيران وتجميد أرصدتها فى الخارج؟

والإجابة على هذه التساؤلات بسيطة للغاية وهى واقع إيران اليوم، فقد أصبح دور إيران فى المعادلات العالمية والعلاقات الدولية وخاصة فى الترتيبات الأمنية لمنطقة الشرق الأوسط أكبر من أن يتجاهل.

ومثال آخر للأمر ذاته، وهو رد فعل اتحاد الصناعات والمؤسسات المالية الألمانية أمام قرار الحظر الدولى على بنك (سياه)، يقول (هاتف هشة) الأمين العام لهذا الاتحاد أن نتيجة هذا القرار يعنى منع الأموال التى تقرر أن تدفع للشركات الألمانية.

بمعنى آخر أن الدول التى تريد فرض حظر ومقاطعة ضد الجمهورية ستتضرر مؤسساتها المالية والاقتصادية مثل إيران تماماً، ولذا عليهم أن يفكروا كثيراً قبل اتخاذ مثل هذه القرارات.

أمريكا وأمن إيران

■ جمهورى إسلامى (الجمهورية الإسلامية) ٢٠٠٧/٥/٢٧

وقع الرئيس الأمريكى على مشروع سرى للغاية لزعزعة الاستقرار فى إيران. وقد أعلنت وكالة أنباء "نووستى" نقلاً عن قناة "أى بى سى" الأمريكية أن توقيع بوش هذا، كلف وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية بمهمة الإخلال بالأمن القومى الإيرانى. وقد ورد فى هذا الخبر نقلاً عن مصدر مطلع فى السى أى إيه، أن بوش سمح للاستخبارات خلال عمليات العبث بالأمن القومى الإيرانى، بإجراء نشاطات من قبيل تزوير العملة المحلية الإيرانية والعمل على تفعيل الضغوط المالية على إيران، وقد نفت هذه المصادر القيام بعمليات تخريب مسلحة. ورد أيضاً فى هذا الخبر أن المتحدث باسم مجلس الأمن القومى الأمريكى "جوردون جوندرو" رفض الإدلاء بتوضيحات فى هذا الشأن، لكن مسئول سابق آخر رفيع المستوى فى السى إى إيه "بروس ريدل" والذى تولى مسئولية قطاع الاستخبارات الخاص بإيران ثم استقال مؤخراً، قال أنه لا يكذب هذا الخبر ولا يؤكده، لكنه يعتقد أن هذا الطرح يتماشى مع سياسات واشنطن تجاه إيران.

من ناحية أخرى أعلن رئيس لجنة السياسة الخارجية بالكونجرس أن المساعى المبذولة لإعادة إعمار العراق غير مجدية فى ظل تخاذل حلفاء الولايات المتحدة. فى حين وجه خطابه إلى أعضاء هذه اللجنة قائلاً: نظراً إلى ماضى حكومة بوش التخريبى، من غير المدهش، أدائها الفاشل فى إعادة إعمار العراق. وقد ورد فى التقرير الخاص بإعادة إعمار العراق منذ ثلاثة أسابيع أن العراقيين حتى وقت قريب لم تكن لديهم القدرة على إدارة عملية الإعمار بدولتهم، وهذا التقرير يعكس أوجه الفساد الإدارى والرقابى فى العراق، كما ورد فى هذا التقرير أيضاً أن حرب العراق وجهود إعماره الفاشلة حتى الآن تكلفت حوالى ٤٠٠ مليار

دولار. من ناحية أخرى وفى تقريرها الذى عرضته على الكونجرس أدعت مؤسسة أبحاث الكونجرس أن حكومة بوش تقول أنها أنفقت حوالى ٣٥ مليار دولار من أجل المساعدة فى إعمار العراق، فى حين صرح "لانتوس" أنه طبقا لموظفى التفتيش السنوى يوجد خمسة مليارات دولار مغلوطة، ما يعنى وجود عشرين مليار دولار من المبالغ المغلوطة على مدى أربعة أعوام من الحرب فى العراق.

بوش يلجأ إلى الأمم المتحدة للهروب من المستنقع العراقى.

فى حالة عدم تأثير مشروع بوش الرامى إلى تحقيق الاستقرار من خلال زيادة عدد القوات فى هذه الدولة، ستطلب الولايات المتحدة الأمريكية من الأمم المتحدة المساعدة فى حل الأزمة العراقية. فى هذا الصدد كتبت صحيفة الجارديان: أن تزايد العنف فى العراق وعجز الجيش الأمريكى عن التحكم فى الأوضاع العراقية من ناحية وتوالى الضغوط على بوش داخل الولايات المتحدة الأمريكية من أجل اتخاذ قرارات أكثر فاعلية من ناحية أخرى، سيدفع الرئيس الأمريكى للتفكير فى طلب المساعدة من الأمم المتحدة لحل الأزمة العراقية والولايات المتحدة من خلال تسليم جزء من سيادتها على الأراضى العراقية إلى الأمم المتحدة تريد التقليل من دورها فى العراق حتى يتثنى لها إخراج قواتها تدريجيا من العراق الجاردين كررت الإدعاءات البريطانية الأمريكية الخاصة بدور إيران فى تدهور الوضع الآمن بالعراق، مضيفة: لم تبدى إيران الرابحة من الحرب فى العراق أى رد فعل على قرار بوش زيادة القوات الأمريكية فى العراق، للحد من الصرامات فى هذه الدولة، وفى السابق لم يساهم إرسال "بيتر بتريوس" من قبل إلى العراق فى حل أى من المشكلات الأمريكية. وبالرغم من كفاءة وخبرة بتريوس، إلا أنه كان بمثابة ربان لسفينة غارقة. فى الوقت ذاته يصف المسئولون البريطانيون الحكومة العراقية بأنها مثل جهاز تليفون معطل لا يرد ولا طائل من استخدامه.

دخول حاملتين للطائرات الأمريكية مياه الخليج "يو اس اس نيمتز" و"يو اس اس جان سى استنيس" ومجموعة من الطائرات الهجومية مياه الخليج الفارسى (العربى) بهدف دعم القوات الأمريكية فى العراق والقيام بمناورات تدريبية. وطبقا لما ورد فى وكالة الأنباء الفرنسية نقلا عن بيان الأسطول الأمريكى الخامس المستقر فى دولة البحرين، فإن هذه الطائرات المقاتلة ومجموعة الطائرات الهجومية البحرية - البرية، والقوات المرافقة لها ستقوم بمهام تقديم الدعم المباشر للعمليات فى العراق، وهى كذلك تنفذ مناورات قوات الرد السريع. كانت الولايات المتحدة الأمريكية قد أعلنت فى شهر يناير أنها بصدد إرسال حاملتين للطائرات إلى مياه الخليج خلال عدة أشهر، وأعلنت القوات البحرية الأمريكية أن مناورات التدريب التى تتم من خلال حاملتى الطائرات النوويتين ليس لها علاقة بإيران وملفها النووى.

إيران وروسيا وإعادة للتاريخ

■ رسالت (الرسالة) ٢٠٠٧/٥/١٢

مرت العلاقات بين الدولتين الجارتين إيران وروسيا بأطوار متباينة ما بين صعود وهبوط على مر التاريخ. والذاكرة التاريخية لشعب إيران تحتفظ بخبرات مريرة أكثر من الذكريات الحلوة، وأشد الذكريات مرارة فى العلاقات بين الدولتين يعود للهجوم الروسى على إيران وتوقيع الاتفاقيات الاستعمارية واللتين أدتا فى النهاية إلى انفصال مدن كثيرة عن إيران "إبان العصر القاجارى".

فى العصر البهلوى وخاصة العصر البهلوى الثانى "محمد رضا شاه" واقتراب شاه إيران من الولايات المتحدة، ثم العداوة بين المعسكرين الشرعى والغربى بزعامة الاتحاد السوفيتى السابق والولايات المتحدة جعل العلاقات متوترة بين الدولتين، فإيران باعتبارها الراعى الإقليمى لمصالح الولايات المتحدة عدت كقوة كبيرة بعد الحرب العالمية الثانية لمواجهة الخطر القوى للاتحاد السوفيتى، الأمريكيون كانوا يشجعون إيران باعتبارها سداً قوياً أمام نفوذ الروس فى المياه الدافئة فى الخليج وكانوا يولون لتجهيزاتها العسكرية اهتماماً خاصاً. ولكن بعد انتصار الثورة الإسلامية فى إيران وسقوط النظام البهلوى الموالى للغرب والولايات المتحدة، اعتقد كثير من المحللين أن الثورة سوف تميل إلى الاتحاد السوفيتى ضد الغرب والولايات المتحدة ولكن بعد مرور مدة قصيرة من

وقوع الثورة الإسلامية فى إيران ظهرت بوضوح ماهية هذه الثورة للجميع إذ أعطى الإمام تكليفاً لإيران فى أن تتعامل فى سياستها الخارجية على محور لا شرقية ولا غربية وأن الجمهورية الإسلامية الإيرانية ليست تابعة إلى المعسكر الشرقى وفكره الشيوعى ولا إلى المعسكر الغربى وفكره الرأسمالى وأنها مستقلة وتابعة لنهج الإسلام.

لهذا السبب وعلى الرغم من حالة العداء الكامل التى كانت بين الدولتين آنذاك اتفقا فى وجهات نظرهما على كيفية مواجهة خطر الجمهورية الإسلامية ومقتضيات ذلك، وحتى الوقت الذى كان فيه النظام الشيوعى قائماً فى شمال إيران لم يكن هناك علاقات مناسبة بين إيران والاتحاد السوفيتى، ولكن بعد سقوط النظام الشيوعى "الاتحاد السوفيتى" وقيام نظام سياسى جديد دخلت العلاقات الإيرانية - الروسية مرحلة جديدة، ويعتقد كثير من الخبراء أن العلاقات بين الدولتين قويت فى الجانب العسكرى، وأن العلاقات الاقتصادية بين الدولتين لم ترق إلى مرحلة القبول. ولو أننا نقبل بهذه المقولة فليس بمقدورنا أفكار المشروع العظيم والحساس المفاعل النووى فى بوشهر، ويعد نقطة تحول فى العلاقات الاقتصادية بين الدولتين. فالروس تعهدوا فى بنود إقامته" بأنها الدولة الوحيدة المنوطة بإقامته ولن تشاركها دولة أخرى، ولكن بعد وقوع الثورة الإسلامية تلكأ الروس وأخذوا يختلقون الأعذار لإتمام العمل. ومع طرح الملف النووى الإيرانى وضغوط الدول الغربية على الأنشطة النووية السلمية أخذ الروس فى الاقتصاد فى الوقت الذى يرى فيه بعض المحللين أن طرح الملف 'لنووى الإيرانى والموضوعات المصاحبة - له فرصة جيدة لتعميق العلاقات الإيرانية - الروسية وأن الضغوط غير القانونية للمعسكر الغربى بزعامة الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى قد خلق فرصة جيدة للحكومات الإيرانية فى أن يعمق الروس أقدامهم فى إيران ومن هنا فإن المعارضين لإيران فى موضوع الأنشطة النووية من المعسكر الغربى يحسبون حساباً للعداء التقليدى لروسيا ويتوقعون أن الروس يلعبون دوراً فى تعديل المناخ ضد إيران ولكن خلاف ما يتوقعه الجميع.

وتشير روسيا فى تعاطيها مع الملف النووى الإيرانى إلى تعمدها خلق المعوقات فى طريق إقامة المفاعل النووى فى بوشهر وأنها لا تملك الإرادة القوية لإكمال هذا الدور وأن الاتفاقيات الأخيرة ما هى إلى عودة بالذاكرة التاريخية للشعب الإيرانى باتفاقيات العهد القاجارى، الذى خدع فيه الروس إيران وربطوا مصالحهم مع عدوهم ضد إيران فهل يكرر التاريخ نفسه؟.

العرب قلقون من رؤية الإليزيه الجديدة

■ ايران ٢٠٠٧/٥/٢٠

تابعت الدول العربية بقلق وحذر نتائج انتخابات الرئاسة الفرنسية الأخيرة، وقد افاضت وسائل الإعلام بكافة صورها والخبراء فى تحليل انتخابات ٦ مايو الأخيرة والتى أكدوا أن للعرب دوراً كبيراً فى حسم نتائجها.

وكانت بعض الصحف قد كتبت عقب فوز (ساركوزى) "أن انتصار ساركوزى سيترك أثراً كبيراً على العلاقات الفرنسية العربية".

وقد عكست هذه الصحف رد الفعل اللبنانى على المستوى السياسى، فاللبنانيون يعتبرون فرنسا بيتهم الثانى وأضافت على لسان أحد الساسة اللبنانيين قوله:

"أن انتصار ساركوزى لا يعنى انقلاباً أو ثورة ولكنه يعنى أن فرنسا قد تعود إلى سابق عهدها فى علاقاتها الخارجية".

لكن ثمة قلق من جانب العرب من التغييرات التى أحدثتها الانتخابات، خاصة أن فرنسا فى عهد جاك شيراك كانت تتمتع بعلاقات مميزة مع العالم العربى مؤكدة أن العرب قد فقدوا صديقاً قوياً هو جاك

شيراك وإن كانت الأسس الحاكمة على العلاقات الخارجية لفرنسا لن تتغير بشكل فورى وكلى.

ولكن الواقع أن فرنسا بفوز (ساركوزى) قد دخلت مرحلة جديدة وفى هذه المرحلة، سيزداد تقرب فرنسا إلى الولايات المتحدة بالشكل الذى يجعلها تفقد نفوذها على أجزاء جديدة من العالم ومد بينها العالم العربى. وفى الوقت الذى سيقترب فيه ساركوزى من إسرائيل سيبعد بنفس القدر من العرب.

أمل فى علاقات أقوى:

تابعت سوريا باهتمام بالغ الانتخابات الفرنسية خاصة أن العلاقات بين البلدين فى الفترة الأخيرة كانت الأسوء، خاصة بعد اغتيال رفيق الحريرى الصديق المقرب لفرنسا فى عام ٢٠٠٥، ومن وقتها ارتفعت حالة التوتر بين البلدين.

واليوم وبعد فوز ساركوزى يأمل السوريون أن تنتهى حالة التوتر بين البلدين، والتى كان شيراك سببها على حد قول السوريين، ويعتقدون أن العلاقات الخارجية لفرنسا خاصة فى هذا الجزء من العالم العربى تحتاج إلى شفافية، وإن كان ساركوزى يريد تنظيم دوره فى البحر المتوسط، فإنه يحتاج إلى إعادة نظر أكثر من ذى قبل.

شهر عسل بالأسلوب الجزائرى:

الجزائر هى أقرب الدول العربية إلى باريس، وقد راهنت على فوز ساركوزى لأن العلاقات بين الدولتين ستشهد طفرة قوية فى هذه الحالة بين البلدين.

هذا فى حين يعتقد مسئولون حكوميون فى دول شمال أفريقيا أن فوز (رويال) المنافس لساركوزى، كان يعنى التحول لأحد الأقاليم التابعة لفرنسا ويقول الجزائريون "أن ألمانيا احتلت فرنسا خمس سنوات ولكن اليوم وبعد خمسون عاماً أصبحوا دولتين مستقلتين يرتبطون معاً بعلاقات صداقة، ولكن فرنسا احتلت دولتنا مائة وثلاثون عاماً، جعلت ثقافتنا وسياستنا تحت سيطرتها، وقبل أربعون عاماً كانت تمارس نفوذها واحتلالها، وقد قتلت ٥ مليون جزائرى، ورغم ذلك لا توجد علاقات صداقة معها. وقد عكست جريدة الشرق الأوسط نظرة الجماعات الأخرى من دول الشرق الأوسط وكتبت هذه الجريدة أن معظم العرب قد تضرروا من فوز ساركوزى وأن ساركوزى كان رغبة الفرنسيين وليس رغبة العرب أو الولايات المتحدة، وفرنسا لن تخجل من انتخاب مثل ذلك الرجل، لكن بشأن العرب فالأمر مختلف، لأن ساركوزى يمثل أكبر جبهة ضد المهاجرين ومعظم المهاجرين من العرب. وقد أفادت الجريدة تحلق بعض الزعماء بالنسبة للدبلوماسية المستقبلية لساركوزى وأكدت أن ساركوزى فى الدول العربية يمثل الوجه السياسى المعاند للعرب والذى تنفر منه العرب، والأفضل أن تجلس وتنتظر انتخابات الدول الأخرى لكى تحل مشاكلنا الداخلية. والواقع أن العرب يخشون من أن تكون مواقف ساركوزى موافقة للولايات المتحدة ضد العرب، وهى النقطة التى تثير قلق العرب جميعاً.

كييف: محور المواجهة الكبرى

■ إيران ٢٠٠٧/٥/١٤

بعد انتهاء فترة الرئيس الأوكرانى (لتونيد كوجما) والذى يعد أحد بقايا العهد الشيوعى البارد فى معسكر الكتلة الشرقية فى جمهورية أوكرانيا، أجريت انتخابات الرئاسة منذ عامين فى هذه الدولة وعلى عكس المتوقع وعلى خلاف توقعات خبراء الساحة السياسية والعلاقات الدولية وخاصة فى قضايا المنطقة حقق (فيكتور يوجشنكو) المدعوم من الغرب والولايات المتحدة والذى تموله مؤسسات (NGO) الأمريكية والغربية انتصاراً على منافسه، لينهى بذلك سنوات من النفوذ الروسى فى إدارة شئون هذه الجمهورية.

وقد اعتبر البعض أن هذا الحدث أمراً هاماً فى إطار إجراء مشابه تم فى جمهورية جرجستان، أحدث ما يسمى بالثورة البرتقالية أو المخملية (ضد الروس وسيطرتهم على أوكرانيا وجرجستان).

وقد اعتبر البعض أن هذا الإجراء بمثابة نقطة تحول فى مسيرة كشف السلطة العملية لروسيا فى حاشيتها الأمنية أى فى الجمهوريات المستقلة المنفصلة عن الاتحاد السوفيتى بعد انهياره حتى أنهم توقعوا استمرار هذه المسيرة وتزايدها يوماً بعد يوم مما يؤدى إلى تزايد النفوذ وتفرع التيارات والأفراد والجماعات التابعة للولايات المتحدة والغرب فى الدائرة والحوزة الأمنية لروسيا وفى جمهورية أوكرانيا كان الشعار الرئيسى (ليوشجنكو) ورفاقه بين العام والشعب، هو القيام بعمليات إصلاح فى

النظم الاقتصادية والمعيشية للشعب وإقرار الحريات الكاملة فى الساحات المختلفة السياسية - الاجتماعية،..

وفى إطار التوجه العام لـ (فيكتور يوشجنكو) خلال عامين نجد أن الشعب الأوكرانى ليس راضيا عن سياساته، وفى المجمل فإن سياساته لم تحقق استقرار سياسى أو حتى اقتصادى. وكان أهم مؤشر لذلك انتصار منافسة الروس (يانوكوفيتش) فى الانتخابات البرلمانية عام ٢٠٠٦، وتصويت الشعب له وعلى خلال رغبته أضطر إلى تعيين معارضة (يانوكوفيتش) رئيساً للوزراء. وظهور الاختلافات الأخيرة فى أوكرانيا ما بين البرلمان ورئيس الوزراء من ناحية، ورئيس الجمهورية من ناحية اخرى، فى الواقع مرهون بظهور العوامل السابقة.

وفى بحث وقائع وأحداث أوكرانيا تصطدم بستة متغيرات هى ما يلى:

١ - أوكرانيا دولة من جزئين يفصل بينهما من الناحية الجغرافية نهر

أ - منطقة الشرق وسكانها أرذوذكس ويتحدثون الروسية.

ب - منطقة الغرب وسكانها كاثوليك ويتحدثون الأوكرانية.

ومن ناحية التركيبة السكانية فإن أغلب سكان أوكرانيا روس ويمثلون حوالى ٥٥٪، ولكن من الناحية الاقتصادية فالاقتصاد الأكبر فى منطقة الشرق.

والعوامل المذكورة سابقاً من جملة جذور الخلافات الموجودة فى أوكرانيا ونشأت منها بعض عوامل الأزمة

٢ - بعد مجئ (يوشجنكو) للحكم بعد ما سمى بالثورة البرتقالية فى أوكرانيا، نشط اللاعبون الأصليون (سواء الغرب أو الشرق) فى الساحة الأوكرانية، وحدثت مواجهة جدية فى الخفاء بين هؤلاء اللاعبين. ٣ - ثبات واستقرار واستمرار النظم فى أوكرانيا هام لروسيا وأيضاً هام لأوروبا، لذا فقط سعوا بكل شكل أن ينتهى الصراع فى هذه الجمهورية إلى الهدوء والاستقرار.

٤ - الساحة السياسية الأوكرانية ساحة متزلزلة، تحدث فيها تبديلات وتغيرات بصورة سريعة جداً.

٥ - أوكرانيا دولة تعانى أزمة هوية، لا تعرف عاقبتها ولذا فإن الوضع المنهار فى بحث الهوية سيستمر، ويعتقد البعض لو أن هذه الدولة مثل التشيك والسلوفاك، ستكون افضل نسخة لهما.

٦ - ما ينفذ اليوم فى اوكرانيا يتناسب مع رغبات الغرب وبدون شك فإن تطورات أوكرانيا ستكون مؤثرة فى بعض دول وجمهوريات المنطقة.

وفى الواقع أن الصراعات الأخيرة بالإضافة للمتغيرات السابقة قابلة للبحث والتحقيق.

أولاً: مع مجئ (يوشجنكو) للسلطة فى اوكرانيا، أول ما عانى من ضغط العناصر الأجنبية، وفى الواقع أن نجاحه تشكل تحت تأثير هذه العناصر الأجنبية.

ولكن فى الأزمة الأخيرة كان أساس الخلافات ومحتواها صراعات داخلية بين أركان السلطة فى هذه الدولة.

ثانياً، لم يستطع (يوشجنكو) بعد الثورة الملونة ووصوله للسلطة أن ينفذ الإدارة السليمة للبلاد. لذا فإن جزء رئيسى من الخلافات الداخلية حدثت فى معسكره. ولا شك أن هذا الأمر قد هيأ المجال لمجئ التيار المعارض له.

ثالثاً: يعتقد البعض أن (يوشجنكو) قد أظهر فكر الهروب من الروس بعد قيام الثورة البرتقالية فى أوكرانيا ولكنه لم تكن لديه القدرة لتنفيذها، ولذا سقط أمام منافسة (يانكوفيتش) فى الانتخابات البرلمانية الأخيرة.

رابعاً: لو عقدت انتخابات مبكرة فإن (يوشجنكو) لن يحصل على الأغلبية وطبقاً لإحصاءات (حزب المناطق) التابع لرئيس الوزراء، فإن الأغلبية ستكون من نصيب (يانكوفيتش) ورفاقه.

خامساً: أدان بعض مسئولى روسيا ومجلس الدوما إجراءات الرئيس الأوكرانى ومواقفه.

سادساً: طبقاً للدستور فإن الجيش يديره رئيس الجمهورية أما الشرطة فهى تابعة لإدارة رئيس الوزراء.

وقد أعلنت أغلبية الجيش ولاءها لرئيس الجمهورية. وبالطبع فإن المظاهرات الشعبية الخيرة تؤكد على شعبيته (يانوكوفيتش) الكبيرة، والتى تتزايد يومياً بعد يوم.

ومنذ فترة صدق البرلمان الأوكرانى على بعض الإصلاحات فى الدستور والتى تمنح رئيس الوزراء سلطات أكبر، وتقلل من سلطات رئيس الجمهورية. بالصورة التى تتيح للبرلمان مساءلة لرئيس الجمهورية.

سابعاً: فى الوقت الحاضر تشهد الساحة الأوكرانية وجود ثلاث تيارات هامة ورئيسية.

١ - التيار الموالى للروس وقاعدته الرئيسية مناطق شرق أوكرانيا ومسيطر على القدرات الاقتصادية للدولة.

٢ - التيار المناهض للروس أو الغربى، وقاعدته فى غرب أوكرانيا. ويدعو إلى الالتحاق بالاتحاد الأوروبى والانضمام للناتو.

٣ - مجموعة الأحزاب المعتدلة.

فن تنسيق الحدائق والبساتين عند الإيرانيين

■ أ.د. محمد السعيد عبد المؤمن
أستاذ الدراسات الإيرانية بجامعة عين شمس

تطلق كلمة "باغ" فى الفارسية على الحديقة، ومنها كلمة "باغبان" أى : البستانى أو عامل البستان .

أما كلمة "بستان" أو "بوستان" التى نستخدمها فى العربية فهى كلمة فارسية أصلاً، وهى كلمة مركبة من : "بو" بمعنى رائحة أو عبير، و "ستان" : لاحقة مكانية تدل على الكثرة أو الوفرة ؛ فيكون معناها مكان العطر أو العبير، أما حارس البستان فهو فى الفارسية "بوستان بان" .

وتعّرف المعاجم العربية والفارسية كلمة "الحديقة" بأنها كل أرض ذات شجر مثمر ونخل أحاط به حاجز . كما يعرف البستان أيضاً بأنه : كل أرض أدير عليها جدار وفيها شجر وزرع . وتطلق كلمة "بوستان" كذلك على تلك المنظومة التى نظمها الشاعر الإيرانى الشهير سعدى الشيرازى (متوفى عام ٦٩١ هـ = ١٢٩١م) وتتضمن قصصاً ومواعظ يمجد فيها الشاعر العدل والتواضع والإحسان وغير ذلك من الموضوعات، وله أيضاً كتاب الـ "كلستان" (الروضة) وهو كتاب فى التربية والأخلاق، ويعد من أشهر الكتابات المنثورة، دونه سعدى الشيرازى عام ٦٥٦ هـ (١٢٥٨م) ويشتمل على مقدمة وثمانية أبواب فى سير الملوك، وأخلاق الدراويش، وفضيلة القناعة، وفوائد الصمت، والعشق والشباب، والضعف والشيخوخة، وتأثير التربية، وآداب الصحبة . وهو يسمى كتابه بهذا الإسم وكأنه يقدم للقارئ روضة مليئة بالزهور والرياحين يقطف منها ما يشاء ويستمتع بما فيها .

وقد ألف عبد الرحمن الجامى بعد ذلك كتاباً نثرياً على غرار كلستان سعدى عام ٨٩٢ هـ (١٤٨٦م) هو كتاب "بهارستان" (الروضة - مكان كثير الأكمام والأنوار) تناول فيه أيضاً القضايا الأخلاقية والتربوية بأسلوب أدبى متكلف .

ومن الكتب المسماة بأسماء الحدائق والبساتين أيضاً كتاب "حديقة الحقيقة وشريعة الطريقة" الذى نظمه الشاعر سنائى الغزنوى عام ٥٢٥ هـ (١١٣٠م) ويضم عشرة آلاف بيت فى عشرة أبواب فى التوحيد وصفات النبى (صلعم) وصفة العقل وفضل العلم وما إلى ذلك . ونذكر من كتب التاريخ كتاب "روضة الصفا" الذى تناول فيه مؤلفه ميرخواند مؤرخ القرن التاسع الهجرى التاريخ العام للعالم وأهداه للأمير على شير نوائى الوزير العالم للسلطان حسين بايقرا، ووصل المؤلف فى تأريخه للأحداث حتى عصر تيمور وخلفائه أى حتى عام ٨٧٣ هـ (١٤٦٨م)، وقد أضاف عليه بعد ذلك رضا قلى خان هدايت فى العصر القاجارى ثلاثة مجلدات أخرى بعنوان "روضة الصفاى ناصرى"، وتناول فيه تاريخ الصفويين والقاجاريين حتى عصر ناصر الدين شاه وحتى عام ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧م) .

وقد إستخدمت كلمة "روضة" و "رياض" فى كثير من أسماء المؤلفات الفارسية مثل كتاب "روضة الأنوار" وهو مثنوية فى التصوف نظمها خواجوى كرمانى شاعر القرن الثامن الهجرى، و"روضة الشهداء" الذى ألفه ملا حسين واعظ الكاشفى (متوفى ٩١٠ هـ / ١٥٠٤م) . و"روضة العقول" وهو ترجمة لكتاب "مرزبان نامه" المؤلف بلغة طبرستان القديمة فى القرن الرابع الهجرى، وقد نقله إلى الفارسية الدرية محمد بن غازى الملطوى فى القرن السادس الهجرى . وكتاب "روضة المنجمين" تأليف شهمردان بن أبى الخير فى عام ٤٦٦ هـ (١٠٧٣م) . وهناك أيضاً "رياض الشعراء" الذى ألفه عليقلى واله داغستانى، ويتناول فيه مؤلفه حياة ألفين وخمسمائة شاعر من الشعراء المتقدمين والمتأخرين، وقد أتم تأليفه عام ١١٦١ هـ (١٧٤٨م) ويشتمل على مقدمة وثمان

وعشرين روضة، وكل روضة تشتمل على حرف من حروف الأبجدية، وقد شرح فيه أحوال الشعراء بترتيب حروف الهجاء . وهناك أيضاً كتاب "رياض العارفين" لرضا قليخان هدايت الذى ألفه عام ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤م) ويشتمل على ست أشجار ورد "كلبن" وروضتين وفردوس وخلد، وهو فى حقيقة التصوف وصفة السالكين وأحوالهم ومصطلحات التصوف .

كما إستخدمت أيضاً كلمة "كلشن" (البستان، الروضة) لتسمية بعض الكتب مثل كتاب "كلشن راز" (روضة الأسرار) وهو مثنوية نظمها سعد الدين محمود الشبسترى عام ٧١٠ هـ (١٣١٠م) وتدور حول التصوف ومبادئه، ويجيب فيها الشاعر على خمسة عشر سؤالاً حول هذا الموضوع، وقد شرحه فيما بعد الشيخ شمس الدين محمد اللاهيجى عام ٨٧٧هـ (١٤٧٢م) وسماه "مفاتيح الإعجاز فى شرح كلشن راز" . نذكر أيضاً كتاب "كلشن صبا" (روضة صبا) الذى نظمه فتحعلى خان صبا ملك الشعراء فى بلاط فتحعليشاه مقلداً منظومة البوستان لسعدى الشيرازى .

وهكذا نجد الإيرانيين قد أغرموا بتسمية مؤلفاتهم ومنظوماتهم بأسماء الحدائق والبساتين والرياض والزهور، وهذا يدل على شدة ولعهم بالحدائق وما فيها ورغبتهم الدائمة فى التواجد بين أحضانها والتمتع بأجوائها .

أما صاحب الحديقة فيطلق عليه فى الفارسية : "باغ خدا" أو "صاحب باغ" أو "دارنده باغ"، كما يكنى عن الدنيا بقولهم : "باغ رنكين" (الحديقة الملونة) أو : "باغ سخا" (حديقة السخاء) ويكنى عن الجنة بقولهم : "باغ هشت در" (الحديقة ذات الثمانية أبواب) أو: "باغ بديع"، ويكنى عن تقديم الوعود الكاذبة والخداع بقولهم : "باغ سبز نمودن" (اظهار الحديقة خضراء).

وإذا تكررت كلمة "باغ" فقيل "باغ باغ" فإن ذلك يكون كناية عن كثرة الإزدهار والعمران، وإذا قيل فى الفارسية : "باغ پرستاره" (حديقة مليئة بالنجوم) فإن ذلك كناية عن الحديقة المليئة بالزهور اليانعة .

ويقال للحديقة الصغيرة الملحقة بالمنزل "باغچه" أو "باغ سراى"، كما يقال لرعاية الحدائق أو علم البساتين "باغچه بندى" .

وقد سميت كثير من الحدائق بأسماء أصحابها الذين أنشأوها وعملوا على رعايتها والإهتمام بها ؛ ومن ذلك "باغ حاجبى" فى "يزد" التى أنشأها الحاجب عز الدين لنكر، و"باغ شمس الدين ترخان" فى يزد أيضاً، و"باغ شيخ كمال" فى هرات التى تنسب للشيخ كمال خجندى، وبها قبره وقبر المصور الإيرانى المشهور كمال الدين بهزاد، و"باغ عباس آباد" التى أقامها الشاه عباس الكبير الصفوى فى أصفهان، و"باغ عز آباد" فى يزد التى بناها الأتابك عز الدين لنكر أيضاً (متوفى سنة ٤٠٦ هـ = ١٠١٥م) .

وهناك حدائق إرتبطت شهرتها بأحداث تاريخية وقعت فيها أو بشخصيات عظيمة سكنت فيها مثل : "باغ خونى" وهى حديقة مشهورة كان يقيم بها قديماً قنصل حكومة الإتحاد السوفييتى فى إيران، و "باغ سپيد" (الحديقة البيضاء) فى هرات، وفيها قتل السلطان بايسنقر عام ٨٣٧ هـ (١٤٣٣م) وكان عمره خمس وثلاثون سنة، و"باغ شاه" وهى من الحدائق المعروفة فى طهران، وكانت تقع قديماً فى الناحية الغربية خارج المدينة، وكان يسكنها فى العصر القاجارى بعض الملوك أحياناً . وفى عام ١٢٨٥ش (١٩٠٥م) أقام بها مظفر الدين شاه، وقتل بها بعد ذلك ملك المتكلمين وميرزا جهانكيرخان، و"باغ فين" بكاشان التى قتل فيها أمير كبير بأمر ناصر الدين شاه القاجارى فى يوم الجمعة السابع عشر من ربيع الأول ١٢٦٨ هـ (العاشر من يناير ١٨٥١م) فى حمام تلك الحديقة .

ومن الحدائق التى إشتهرت بوجود مقابر بها حديقة "باغ فيروزى" وكانت فى غزنين وتسمى أيضاً "باغ پيروزى" (حديقة النصر) وبها مقبرة السلطان محمود الغزنوى، وقد ورد ذكرها فى تاريخ البيهقى . وكذلك مقبرة الشاعر أبى القاسم الفردوسى فى الحديقة الخاصة بها فى طوس بمدينة مشهد .

وتتشابه أسماء الحدائق فى عدة مدن إيرانية مثل "باغ شمال" فى كل من تبريز على عهد أمراء الآق قويونلو، وسمرقند على عهد الأمير تيمور . و"باغ نو" (الحديقة الجديدة) الموجودة بهذا الإسم فى كل من شيراز وهرات وسمرقند .

وقد يذكر فى إسم الحديقة مساحتها مثل حديقة "باغ هزار جريب" أى حديقة الألف جريب (عشرة آلاف كيلومتر تقريباً) وهى من الحدائق المعروفة فى العصر الصفوى، وكانت مساحتها حوالى مليون ذراع مربع وبنى فى أركانها الأربعة أربعة أبراج . وقد تسمى الحديقة بإسم بعض الأشجار مثل "باغ چنار" (حديقة شجر السنّار) وهى حديقة كانت بالقرب من سمرقند على عهد الأمير تيمور وأبنائه، و"باغ كاج" أى (حديقة شجر الصنوبر) وهى من حدائق العصر الصفوى فى أصفهان، وأحياناً تسمى الحديقة بإسم الجنة مثل "باغ جنت" التى كانت فى قزوين، وكان يطلق عليها أيضاً "باغ سعادت"

وفيها إلتقى الشاه عباس بسفير أسبانيا عام ١٠٢٧ هـ (١٦١٧م) . وهناك أيضاً "باغ جنت" التى أنشأها فى شيراز الحاج ميرزا ابو الحسن خان مشير الملك . وأيضاً "باغ فردوس" وهى حديقة فى تجريش بطهران بين الزعفرانية وجعفر آباد فى شارع "ولى عصر" .

وقد يتضمن إسم الحديقة فى إيران صفة من الصفات الجميلة مثل : "باغ نكارستان" (حديقة موطن الرسوم والصور)، وهى حديقة أنشأها فى طهران فتحعليشاه القاجارى، وقد تم فيها قتل ميرزا أبى القاسم قائم مقام بأمر محمد شاه قاجار . وكذلك حديقة "باغ زرشك" (حديقة الأرجوان) وكانت تقع فى أصفهان بالقرب من كنيسة الأرمن على عهد الشاه عباس الكبير . و"باغ خرّم" (الحديقة العامرة) وكانت فى خوارزم . و"باغ دلكشا" (الحديقة المبهجة) فى سمرقند . و"باغ جهان آرا" (الحديقة المزينة للدنيا) التى كانت فى هرات على عهد التيموريين والصفويين، وقد أمر ببنائها السلطان حسين بايقرا، وكان بها قصر منيف . و"باغ صفا" (حديقة السرور والصفاء) وهى حديقة كانت فى تبريز أنشأها عباس ميرزا نائب السلطنة، وقد أنشأ أيضاً حديقة أخرى أسماها "باغ شمال" . و"باغ صبا" (حديقة ريح الصبا) وهى حديقة فى شمال طهران .

وتدل الشواهد التاريخية على إهتمام القدماء بعملية تصميم الحدائق وتخطيطها، ويظهر هذا بوضوح فى مصر القديمة وحضارات ما بين النهرين، وتنسيق الحدائق الإسلامية الرائعة فى الأندلس وإيران والهند ومختلف بقاع العالم الإسلامى . ولا شك أن للحدائق والمسطحات الخضراء أثرها فى كل من الإنسان والبيئة، إذ لا يمكن تصور الحياة من دون طبيعة أو أشجار أو هواء نقى وضوء شمس . ويمكن إيجاز الفوائد المتعددة للحدائق والمسطحات الخضراء فى عدة أشياء ؛ أولها : الفوائد الصحية التى تؤثر فى صحة الإنسان تأثيراً طيباً، وثانيها الفوائد المناخية حيث تلطف المناطق الخضراء والنباتات والأشجار الجو وخاصة فى المناطق الحارة وتقلل من سرعة التيارات الهوائية غير المرغوب فيها وكذلك العواصف الترابية وغير ذلك، وثالثها الفوائد الجمالية والإجتماعية حيث تجمل الحدائق بما فيها من أشجار ونباتات منظر المدينة وتوجد نوعاً من التقارب بين الناس وإلتقائهم بعضهم مع بعض .

قلنا إن المصريين القدماء إهتموا بتنسيق الحدائق وكان غرضهم دينياً أو عقائدياً بحتاً لتجميل المعابد والقصور الفرعونية، وكانت حدائقهم ذات طراز منتظم تسود فيه الخطوط المستقيمة والزوايا القائمة، وكان لكل حديقة فرعونية بحيرة أو عدة بحيرات صناعية لتربية نباتات اللوتس والبردى المقدسة، وكانت هذه البحيرات تبنى بأشكال مربعة أو مستطيلة ونادراً ما كانت تبنى مستديرة . وهناك أنواع أخرى من الحدائق كانت تنشأ أمام المساكن أو داخلها . وتفيد المصادر أنه عند بناء القاهرة أنشئت حدائق عامة وخاصة كثيرة، كما أبدى أهالى مدينة الفسطاط إهتماماً كبيراً بإنشاء الحدائق، وقد تحدث ناصر خسرو فى كتابه "سفرنامه" عن وجود حدائق فوق أسطح البيوت فى مصر حيث يقول : "وفى الحديقة بساتين وأشجار بين القصور تسقى من ماء الآبار .. وفى قصر السلطان بساتين لا نظير لها، وقد نصبت السواقى لريها . وغرست الأشجار فوق الأسطح فصارت متنزهات" (أنظر سفرنامه ص ١٠٦) .

أما بالنسبة للآشوريين والبابليين فقد أثرت الطبيعة الجبلية لبلادهم فى طراز إنشاء الحدائق مما جعلهم ينشئون الحدائق على هيئة مدرجات مستوية تعلو الواحدة الأخرى، وكانت مربعة الشكل تقسمها المحاور الطولية والعرضية إلى أقسام متساوية ومتماثلة . ومن أشهر ما عرف عن حضارة بلاد ما وراء بين النهرين الحدائق المعلقة بمدينة بابل التى عدت من عجائب الدنيا السبع .

ولا شك أن تنسيق الحدائق فى الشرق قد أثر تأثيراً كبيراً فى الإسكندر الأكبر أثناء غزواته لوادى النيل وفارس، فقد أنشأ فى أثينا عدداً من الحدائق الكبيرة حول القصور التى شيدها، وظهرت الحدائق فسيحة منبسطة تماثل الطراز المصرى، وفيها أقسام متناظرة على هيئة الطراز الفارسى، ومنسقة على الطريقة الشرقية بالنافورات والتكاعيب التى أقيمت على أعمدة مبنية حول التماثيل الإغريقية للآلهة .

أما بالنسبة للحدائق الفارسية ؛ فقد نقل الفرس عن الآشوريين فن تنسيق الحدائق المنقول أصلاً من الفراعنة . وقد ظهر طراز الحدائق الفارسية فى القرن الخامس قبل الميلاد فى عهد كسرى أنوشروان حيث خططت الحدائق فى السهول بين جبال فارس، وبنيت المدن والقصور الفسيحة وبها الحدائق التى تفصلها طرق مستقيمة متعامدة .

"ويعد الطراز الفارسى المنتظم هو الطراز السائد فى تنسيق حدائق هذا العصر، فشكل الحدائق يميل إلى المربع أو المستطيل يقسمهما طريقان متعامدان إلى أربعة أجزاء متساوية، وغالباً ما يوضع عند إلتقاء الطرق

فسقية أو بركة ماء، تحاط بأسوار عالية مزخرفة تتسلقها النباتات المزهرة، وتحاط الممرات الرئيسية بصفوف متناظرة من الأشجار .

وقد رسمت الحدائق الفارسية على أنسجة السجاد العجمي، فكانت لوحات بديعة سجلت ما كانت عليه هذه الحدائق من جمال وحسن تنسيق، وقد وضعت في المنازل حتى يمكن رؤيتها في وقت الشتاء حيث تكسو الثلوج الحدائق . وهي إحدى المميزات المهمة التي إنفرد بها الفرس عن غيرهم وقد أملتها عليهم ظروف البيئة الباردة التي يعيشون فيها" . (أنظر كتاب : العمارة الإسلامية والبيئة ص ٢١٢) .

ويمكن القول بأن التصوير القرآني للفردوس ولوصف العديد من الأحاديث النبوية للجنة بما تحويه من متع حسية وروحية إلى جانب محاولة التغلب على الظروف البيئية القاسية كان دافعاً قوياً للمسلمين لمحاكاة هذا التصوير المثالي في تصميم وتنسيق الحدائق وجعلها صورة مصغرة ونسخة مقلدة للفردوس أو الجنة . وأهم ما كان يميز الحديقة في العصر الإسلامي الخصوصية، لذلك أحيطت بالأسوار العالية أو أشجار النخيل لحجب المناظر الداخلية، وغلب على تخطيطها التقسيمات الهندسية، كما إهتم المسلمون بإستخدام المياه في حدائقهم بصور متنوعة ومتميزة . والماء يرمز في الرؤية الإسلامية إلى أصل الحياة، كما أنه رمز للتطهر والصفاء . وقد إستخدم في الحديقة الإسلامية بصور متنوعة منها ما هو على شكل مسطحات مائية مظللة بالأشجار أو على شكل نافورات تساعد على تحريك سطح الماء أو على شكل سلسبيل، وكانت بعض أحواض الماء تحتوي على بعض الأسماك والطيور والبط . كما تم تزويد الحدائق الإسلامية بالأرائك والمجالس وخاصة بالقرب من النباتات والمسطحات المائية، فاستعملت المجالس المكشوفة من الخشب أو الحجر أو المكسوة بالبلاط القيشاني الملون، وإستعملت كذلك الأكشاك الخشبية كمجالس مظللة، وكان لها فتحات صغيرة بجدرانها تمكن الجالس بداخلها من مشاهدة ما يجري خارجها . وقد روعي في النباتات المستعملة في الحديقة الإسلامية أن تكون ذات رائحة جميلة أو فواكه ذات رائحة زكية، كما أن الأصوات الجميلة التي كانت تصدر عن النافورات وخرير مياهها وزقزقة الطيور كانت تشكل لحناً متكاملاً داخل المبنى .

وقد إستخدمت الكتابة العربية بالخطوط المختلفة لكتابة الآيات القرآنية في أجزاء كثيرة من الحديقة الإسلامية، خاصة على أبوابها، تيمناً وتذكيراً بنعم الله وفضله، إلى جانب الأحاديث النبوية .

كان الأسلوب الأساسي المتبع في تخطيط الحديقة الإيرانية منذ عهد الساسانيين أسلوب يعرف بإسم "چهار باغ"، حيث تقسم الحديقة عن طريق محورين أساسيين يتقاطعان عادة في منتصفها، وتشكل المحاور الرئيسية بقنوات المياه والممرات الواسعة الطويلة، أما المحاور الفرعية فتتقاطع مع المحاور الرئيسية بحوض ماء، ولتحقيق المزيد من الخصوصية فإن الحديقة تحاط بأسوار عالية تبنى عادة من الطوب، وفي حالة الحدائق الملكية فإنه يتم تدعيم هذه الأسوار بالأبراج .

وبالنسبة لأسلوب إستخدام الماء في الحديقة الإيرانية فإن القنوات المستقيمة تحدد مساحات الحشائش والمناطق الخضراء، أما أحواض الماء فتتنوع أحجامها من الكبيرة جداً إلى الصغيرة، وغالباً ما تحتوي على نافورة واحدة أو عدة مخارج لقاذفات الماء، كما تتنوع أشكال الأحواض المائية ما بين المربعة والدائرية والمثمنة وغيرها .

وتعتبر مدينة أصفهان من أهم أمثلة المدن الإسلامية التي تتميز بتنسيق شوارعها وميادينها الرئيسية، فقد أنشأ الشاه عباس طريقاً يطلق عليه طريق الحدائق الأربعة، وكذلك ميدان الشاه عباس، الذي يعتبر من أكبر الميادين في العالم وكان يستخدم للعبة الصولجان (البولو) في عهده، أما الآن فهو مزروع بالنباتات والأشجار والمروج الخضراء، ويحيط بالميدان جدار من طابقين به بوائك ذات عقود مدببة سلجوقية الطابع، ويقطع هذه البوائك ثلاث بوابات عالية تؤدي إلى : بوابة "علي قابو" وكانت تؤدي إلى القصر الذي كان يقيم به الشاه، وبوابة جامع "الشيخ لطف الله" وكانت تؤدي إلى مسجد الشيخ لطف الله، وأخيراً بوابة مسجد الشاه التي تؤدي إلى مسجده . (أنظر كتاب : العمارة الإسلامية ص ٢٢٦) .

ويرى البعض أن أقدم الحدائق الإيرانية كان موجوداً في "پاساركاد" (بازار جاده) عاصمة قوروش الهخامنشي في النصف الثاني من القرن السادس قبل الميلاد، وكانت عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل يتصل محورها الطولي بالقصر الأصلي، وهي مقسمة إلى أربعة أقسام عن طريق قنوات المياه المستقيمة . وهذا يعني أن مبدأ تقسيم الحدائق الإيرانية إلى أربعة أقسام أو "چهار باغ" هو مبدأ ثابت منذ أقدم العصور، وربما كان قوروش هو مبتكر هذه النوعية من التقسيم أو على الأقل كان سائداً في عصره .

وقد إستمر بناء الحدائق بعد قوروش، ونجد أمثلة لذلك فى سهل "كوهر" على الشاطئ الغربى لنهر "پلوار"، وحديقة أخرى فى "تخت رستم" أو "تخت كوهر" بالقرب من "تخت جمشيد" التى يوجد بها مدفن كمبوجيه (٥٣٠ وحتى ٥٢٢ ق.م)، ويبدو أن داريوش قد جرب نوعاً جديداً من الحدائق وفضل أن يكون مختلفاً عن نموذج پاساركاد، وقد عرفت مجموعة من الحدائق والقصور فى شوش ترجع إلى عصر سلطنة أردشير الثانى الهخامنشى على ضفاف نهر "شائور" .

ولم يمنع - بطبيعة الحال - دخول إيران فى الإسلام من إنشاء الحدائق وتنسيقها، بل أدى إلى إنتشارها والتوسع فيها . وإذا وصلنا إلى العصر السلجوقى وجدنا ملكشاه (٤٦٥ - ٤٨٥ هـ) ينشئ العديد من الحدائق فى أصفهان مثل حديقة "باغ بكر" وحديقة "باغ أحمد سياه" وحديقة "باغ فلاسان" وحديقة "باغ كاران"، وكانت الأخيرة عامرة حتى أوائل القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) عندما أشار إليها الشاعر حافظ الشيرازى فى إحدى غزلياته.

ويشير رشيد الدين فضل الله (توفى ٧١٨ هـ / ١٣١٨م) صاحب كتاب "جامع التواريخ" إلى تخطيط وتصميم الحدائق فى العصر الإيلخانى، فيذكر مخطط حديقة "باغ اوجان" التى تم إنشاؤها خلال ثلاث سنوات وقد أحاطت بها الأسوار من كل جانب، وكانت تجرى بها القنوات، وزرعت أشجار الصفصاف على جانبى ممراتها، وأقيم فى وسطها قصر، كما تحدث حمد الله المستوفى القزوينى فى كتابه "تاريخ كزيده" (ألفه سنة ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩م) عن حدائق كثيرة فى أنحاء متفرقة من إيران .

كما إعتنى حكام الآق قويونلو بإنشاء الحدائق والبساتين، وكان من أهمها حديقة "هشت بهشت" (الجنان الثمانية) فى تبريز، وقد أحاطت بها أشجار الحور، وبنى كشك مثمن الأضلاع فى وسطها على منصة من المرمر، بالإضافة إلى حوض ماء به أربع نافورات على شكل ثعبان فى كل زاوية منه . وكسيت ممرات الحديقة وطرقها بالمرمر أيضاً، كما كان يوجد بها حوض آخر تطفو فوق سطحه بعض القوارب، بالإضافة إلى عيون الماء والقنوات الصغيرة . (أنظر دائرة المعارف بزرگ اسلامى) .

وما أن نصل إلى العصر الصفوى إلا ونجد الشاه عباس وقد شيد العديد من القصور والمبانى، وأنشأ الحدائق العامة وخطط الميادين الفسيحة .. وقد نقل عاصمة الدولة الصفوية من قزوين إلى أصفهان عام ١٠٠٦ هـ (١٥٩٨م) وحرص على تزيينها وتشييد العديد من المبانى الفخمة فيها، وكذلك أنشأ الميادين والحدائق العامة بها .. ونتيجة لما بلغته أصفهان من رقى وتقدم لم تبلغه فى أى عصر من عصورها السابقة، راج تعبير مشهور وهو (أصفهان نصف جهان) أى (أصفهان نصف العالم) ... وكثير من الآثار التى شيدت فى عصر الشاه عباس قائمة حتى اليوم، وأهم الآثار التى خلفها الشاه عباس فى اصفهان تلك التى شيدها حول ميدان "نقش جهان" وفى أماكن أخرى من المدينة، مثل قصر "عالى قاپو" (أى : الباب العالى) الذى أحضرت عتبته من النجف، ويشتمل على ثلاثة طوابق رئيسية، و"مسجد الشيخ لطف الله" الذى يقع فى الضلع الشرقى من ميدان "نقش جهان"، وما زال هذا المسجد قائماً حتى اليوم وأعيد تجديده وترميمه فى عام ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩م) أى فى عهد رضا شاه بهلوى . و"مسجد الشاه" الذى يقع فى الضلع الجنوبى من ميدان "نقش جهان" أى أنه يتوسط عمارة "عالى قاپو" و "مسجد الشيخ لطف الله" .

وقد أصدر الشاه عباس أوامره إلى عماله أثناء إنشغالهم ببناء ميدان "نقش جهان" والمبانى المطلة عليه بشق طريق يربط بين هذا الميدان ونهر "زاينده رود"، وأن يعبر هذا الطريق النهر بواسطة إنشاء قنطرة عرفت فيما بعد باسم "قنطرة الله وردى خان" ثم يواصل الطريق إمتداده بعد ذلك حتى أسفل الجبل الموجود جنوبى أصفهان، على أن تغرس على جانبى هذا الطريق أربعة صفوف من أشجار الدلب، ولهذا عرف بإسم شارع الحدائق الأربع، وقد بلغ طول هذا الطريق أكثر من ثلاثة كيلو مترات . وعلى مدخل هذا الطريق أقيمت عمارة صغيرة يستطيع الجالس فيها مشاهدة الطريق من مكان مرتفع .. وقد عرفت هذه العمارة بإسم "جهان نما" أى "الكاشفة للدنيا" وقد عرف هذا القسم الذى يربط بين "جهان نما" ونهر "زاينده رود "بإسم : "طريق چهار باغ السفلى" . كما أنشئت فى نهاية الطريق حديقة عظيمة واسعة متدرجة بين مرتفع ومنخفض، تصل إلى تسع طبقات، وأطلق عليها إسم حديقة "عباس آباد"، وأنشئ وسط الحديقة قصر عظيم عرف بإسم (هزار جريب) أى (البالغ مساحته ألف ألف متر) . وقد عرف هذا الجزء الممتد من نهر "زاينده رود" حتى قصر "هزار جريب" بإسم "چهار باغ العليا" .

ولكى يضمن الشاه عباس سرعة تجميل الشارع وزراعته بالحدائق، فقد قسمه على أمراء الدولة

وأعيانها، وذلك لكى يتولى كل واحد منهم إنشاء حديقة فى القسم الذى وكل إليه به ؛ وكان الإيرانيون يخرجون للتنزه فى حدائق هذا الطريق للتمتع بمناظره الجميلة وبرائحة الورود المنتشرة على جانبيه (أنظر كتاب : تاريخ الصفويين وحضارتهم ص ٢٨٧ و ٣٠١) .

وقد راج فى العصر الصفوى وجود رسوم وتصميمات على شكل حدائق جميلة مليئة بالزهور والنباتات والطيور على السجاد الإيرانى، ولهذه الحدائق محوران أساسيان على شكل جدول ماء يتقاطعان مع بعضهما ويقسمان أرضية السجادة إلى أربعة أقسام . والمعروف أن معظم حدائق العصر الصفوى أنشئت فى مدينتى قزوين وأصفهان، وقد بقى فى قزوين جزء صغير من هذه الحدائق الصفوية .

ويروى المؤرخون أن من وسائل الترفيه التى كانت تتمتع بها نساء بلاط الشاه عباس وغيرهن من نساء المدينة التجول والتنزه فى يوم الأربعاء فى "چهار باغ" اصفهان وفوق جسر "پل سى وسه چشمه" (الجسر ذو الثلاث والثلاثين عيناً) وقد كشفن عن وجوههن وخلعن النقاب، ويقضين قسماً كبيراً من الليل هناك على أضواء المشاعل والشموع، وهن مشغولات بالحديث والضحك والأكل والشرب . وفى هذا اليوم يحظر على الرجال من سكان المدينة المرور بجانب الحديقة بشدة وصرامة من قبل موظفين مخصوصين، وفى هذا اليوم أيضاً يكون كل الباعة الموجودين فى الـ "چهار باغ" من النسوة . وقد بدأ التنزه المخصص لنساء

اصفهان فى "چهار باغ" من يوم الأربعاء الموافق ٢٣ صفر سنة ١٠١٨ هـ (١٦٠٩م) . (أنظر زندكانى شاه عباس اول ص ٢٣١) .

وقد تطور إنشاء الحدائق فى العصر القاجارى بعد ذلك، وأنشئت حدائق كثيرة فى طهران يملكها الملك أو كبار رجال الدولة، ووجدت بعض العناصر الجمالية الغربية طريقها إلى تصميمات الحدائق الإيرانية، ومن ذلك إقامة روابى زهور الزينة وإحاطة الحديقة بأشجار البقس أو الصفصاف (شمشاد) . وكانت الحدائق عادة تضاء بالمصابيح، كما كانت الشموع الضخمة تستخدم أيضاً للإضاءة عند الإحتفالات وتوضع فى شمعدانات كبيرة . ويعتبر أحد المستشرقين قصر "قاجار" الصيفى الذى بناه فتح على شاه عام ١٢٢٢هـ (١٧٠٨م) "أفضل دليل على أهمية الحدائق فى هذا العصر، إذ يمكن الوصول إلى أجنحة القصر عبر عدد من مصاطب الحدائق المتدرجة والمتصلة بمساقط شلالات مائية، كما يعكس القصر الصيفى لنادر الدين شاه المعروف بإسم "عشرت آباد" والذى بنى عام ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨م) بالقرب من قصر "قاجار" تأويلاً شخصياً وفنياً للمبانى فى الحديقة" . (أنظر : الثقافة الحضرية فى مدن الشرق ص ٦٦ و ٦٧) .

وهكذا نجد أن حياة الإيرانيين قد إرتبطت إرتباطاً وثيقاً بتنسيق الحدائق، وإذا لم يكن للإيرانى حديقة داخل منزله فإنه لابد وأن يستمتع بالتنزه فى الحدائق العامة التى إمتلأت بها المدن الإيرانية على مر العصور . ومن خلال تاريخ هذه البلاد يتبين لنا أن كثيراً من حكامها قضوا معظم سنى عمرهم فى قصور أقيمت داخل حدائق واسعة، وما زالت بعض هذه الحدائق تحتفظ برونقها حتى يومنا هذا، ومن ذلك حديقة "جمال آباد" التى تقع على إرتفاع ١٦٢٥ متراً فوق سطح البحر، وبها عين ماء تنبثق من بين الصخور، وهى قريبة من العاصمة طهران، وقد ظلت على حالتها منذ زمن بعيد .

مراجع البحث :

١- تاريخ الصفويين وحضارتهم - الجزء الأول - د . بديع جمعة، د . أحمد الخولى - القاهرة ١٩٧٦م .

٢- دائرة المعارف بزرگ اسلامى - جلد يازدهم - تهران ١٣٨١ ش .

٣- زندكانى شاه عباس اول - نصر الله فلسفى - جلد دوم - تهران ١٣٣٤ش

٤- سفرنامه - ناصر خسرو - ترجمة د . يحيى الخشاب - القاهرة ١٩٩٣م

٥- العمارة الإسلامية والبيئة - د . م . يحيى وزيرى - الكويت يونيو ٢٠٠٤م .

٦- لغت نامه - على اكبر دهخدا .

على بن الحسين (زين العابدين)
الإمام السجاد

إعداد: أحمد فتحى قبال

اسمه : على بن الحسين بن على بن أبى طالب

أبوه : الحسين بن على بن أبى طالب .

أمه : سلافة بنت يزد جرد ,وتلقب - شاه زنان - أى ملكة النساء وكنيتها أم سلمة

ألقابه : أشهرها زين العابدين ولقب به لكثرة عبادته ,سيد العابدين ,ذو النفقات ,ورابع الأئمة , والأمين ,والزكى ,و السجاد ، والبكاء.

كنيته : أبو الحسن وقيل : أبو محمد ,وكناه بعضهم بأبى بكر ,أو أبو عبد

ميلاده رضى الله عنه : ولد يوم الخميس الخامس من شعبان سنة ثمان وثلاثين بالمدينة فى عهد جده على بن أبى طالب .

نشأ رضى الله عنه فى كنف أبيه الحسين سيد شباب أهل الجنة فنهل منه العبادات فنشأ صواما قوام تقيا ورعا ,وصحب بعد أبيه عمته السيدة زينب وقال عنه على بن سعيد : ((إنه أفضل هاشمى فقها وورعا)) . حضر رضى الله عنه مع أبيه فى (كربلاء) حيث كان مريضا لا يستطيع الوقوف على قدميه , وكانت تمرضه عمته السيدة زينب ورأى فيها من الأهوال ما رأى وما حدث من قتل لآل البيت ولأبيه سيد شباب أهل الجنة. و كانوا على وشك أن يقتلوه ، لولا احتضنته عمته زينب وصرخت فيهم فتركوه. ومن ذلك الوقت أصبح على بن الحسين زين العابدين هو العصب امتدادا لنسل آل البيت.

الإمام زين العابدين هو الإمام الرابع عند الشيعة الاثنى عشرية ، ويحظى بقدسية كبيرة لدى الشيعة بصفة عامة ,فى حين يحظى بقدر عظيم من المحبة عند المصريين ، فهو ابن الحسين بن على بن أبى طالب ، وعمته السيدة زينب وأختاه السيدتان سكينة وفاطمة النبوية وهو أيضا عم سيدى حسن الأنور، وجد السيدتين نفيسة وعائشة ومن أبنائه سيدى زيد إمام الزيدية فى اليمن.

أهم مؤلفات الامام:

رسالة الحقوق : يبحث بعض الناس عن الدرجات العلى فى الإيمان ويتساءلون : كيف نجتهد حتى نصبح مؤمنين حق الإيمان ؟. لمثل هؤلاء كتب الإمام زين العابدين رسالة الحقوق التى تشرح واجبات المؤمن ومسؤولياته تجاه الخالق والناس ، وتحدِّد - بالتالى - طبيعة العلاقة القائمة على أسس متوازنةٍ وعادلة

الصحيفة السجادية: تشتملً على عشرات الأدعية

المأثورة عن الإمام على ابن الحسين (عليه السلام) فى مختلف المجالات، وهى مدرسة متكاملة توجب وعى الأمة وسوقها إلى الإيمان والفضيلة والتقوى.

خطبة الإمام فى مجلس يزيد:

قال الخوارزمي: (وروي) أنّ يزيد أمر بمنبر خطيب، ليذكر للناس مساوى الحسين وأبيه على عليهما السلام .

فصعد الخطيب المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وأكثر الوقيعة فى على والحسين، وأطنب فى تقريظ معاوية ويزيد .

فصاحَ به على بن الحسين: ويلكَ أيّها الخاطبُ اشتريتَ رضا المخلوق بسخط الخالق ؟فتبوأ مقعدَك من النار .

ثم قال: يا يزيد، إئذنْ لى حتّى أصعد هذه الأعواد، فأتكلّم بكلمات فيهنّ لله رضا، ولهؤلاء الجالسين أجر وثواب .

فأبى يزيد، فقال الناس: يا أمير المؤمنين، ائذنْ له ليصعد، فعلّنا نسمعُ منه شيئاً .

فقال لهم: إنْ صعدَ المنبر هذا لم ينزل إلا بفضيحتى وفضيحة آل أبى سفيان، فقالوا: وما قدر ما يُحسن هذا ؟

فقال: إنّه من أهل بيت قد زُقّوا العلم زقّاً .

ولم يزالوا به حتّى أذنَ له بالصعود .

فصعد المنبر: فحَمِد الله وأثنى عليه، ثمّ خطب خطبة أبكى منها العيون، وأوجل منها القلوب، فقال فيها

: أيّها الناس، اُعطينا ستّاً، وفُضلنا بسبع:

اُعطينا العلم، والحلم، والسماحةَ، والفصاحة، والشجاعة، والمحبةَ فى قلوب المؤمنين .

وفُضلنا بأنّ منّا النبى المختار محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم، ومنّا الصدّيق، ومنّا الطيّار، ومنّا أسد الله وأسد الرسول، ومنّا سيّدة نسأ العالمين فاطمة البتول، ومنّا سبطا هذه الأمة، وسيّدا شباب أهل الجنّة .

فمن عرفنى فقد عرفني، ومَنْ لم يعرفنى أنبأتُه بحسَبى ونَسَبى :

أنا ابن مكّة ومنى . أنا ابن زَمْزَمَ والصفا . أنا ابن مَنْ حَمَل الزكاة بأطراف الردا . أنا ابن خير مَن ائتزر وارتدى .

أنا ابن خير مَن انتعلَ واحتفى . .أنا ابن خير مَنْ طافَ وسعى .أنا ابن خير مَنْ حجَ ولبّى .أنا ابن مَنْ حُمِلَ على البُراق فى الهوا .

أنا ابن من أُسْرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فسُبحانَ مَنْ أسرى . أنا ابن مَنْ بَلَغَ به جبرائيل إلى سدْرة المنتهى .

أنا ابن مَنْ دَنى فَتَدَلّى فكانَ من ربّه قاب قوسين أو أدنى . أنا ابن مَنْ صلّى بملائكة السما . أنا ابن مَنْ أوْحى إليه الجليل ما أوحى .

أنا ابن محمّد المصطفى . أنا ابن على المرتضى . أنا ابن مَنْ ضَرَبَ خُراطيم الخلق حتّى قالوا: لا إله إلا الله .

أنا ابن مَنْ ضَرَبَ بين يَدَى رسول الله بسيفَيْن، وطَعَنَ رُمحيْن، وهاجَرَ الهجْرَتَيْن، وبايَعَ البيعَتيْن، وصلّى القبلتَيْن، وقاتَلَ ببَدْرٍ وحُنَيْن، ولمَ يكفرْ بالله طَرْفَةَ عَيْن .

أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيّين، وقامع الملحدين، ويَعْسُوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين، ورسول ربّ العالمين . أنا ابن المؤيّد بجبرائيل، المنصور بميكائيل .

أنا ابن المحامى عن حَرَم المسلمين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، والمجاهد أعداءه الناصبين، وأفخر مَنْ مشى من قريش أجمعين، وأوّل مَنْ أجاب استجاب لله، من المؤمنين، وأقدم السابقين، وقاصم المعتدين، ومُبيْر المشركين، وسهم منْ مَرامى الله على المنافقين، ولسَان حكمة العابدين، ناصر دين الله، وولى أمر الله، وبُستان حكمة الله، وعَيْبة علم الله، سَمح سخيّ، بُهلول زكى أبطحى رضى مرضي، مقْدام هُمام، صابر صوّام، مُهَذّب قوّام شجاع قمقام، قاطع الأصلاب، ومفرّق الأحزاب، أربطهم جناناً، وأطلقهم عناناً، وأجرأهم لساناً، أمضاهم عزيمةً، وأشدّهم شكيمةً، أسَد باسل، وغيث هاطل، يطحَنُهم فى الحروب إذا ازدَلفت الأسنّة، وقربت الأعنّة طَحْنَ الرحى، و يذرُوهم ذَروَ الريح الهشيم، لَيْثُ الحجاز، صاحب لإعجاز، وكَبْش العراق، الإمام بالنصّ والاستحقاق مكّى مَدَنيّ، أبطحى تهاميّ، خيفى عَقَبيّ، بَدْرى أحُديّ، شَجَرى مُهاجريّ، من العرب سيّدها، ومن الوغى ليثها، وارثُ المَشْعَرَيْن، وأبو السبطين، الحسن والحسين، مَظْهر العجائبَ، ومفرّق الكتائب، والشهاب الثاقب، والنور العاقب، أسَد الله الغالب، مطلوب كلّ طالب غالب كلّ غالب، ذاك جدّى على بن أبى طالب .

أنا ابن فاطمة الزهرا ..أنا ابن سيّدة النسا ..أنا ابن الطهر البتول ..أنا ابن بَضْعة الرسول ..

(أنا ابن الحسين القتيل بكربلاء ..

أنا ابن المُرَمّل بالدما ..أنا ابن مَنْ بكى عليه الجنّ فى الظلما ..أنا ابن مَنْ ناحتْ عليه الطيور فى الهوا..).

قال: ولم يزل يقول: أنا أنا حتّى ضجّ الناس بالبكاء والنحيب، وخشى يزيد أنْ تكون فتنة، فأمر المؤذّن أنْ يؤذّنَ، فقطع عليه الكلام وسكت .

فلمّا قال المؤذّن الله اكبر قال على بن الحسين: كبّرتَ كبيراً لا يُقاس، ولا يُدْرك بالحَواسّ، لا شى أكبر من الله .

فلمّا قال: أشهد أنْ لا إله إلا الله ,قال عليّ: شَهَد بها شعرى وبَشَري، ولحمى ودمي، ومُخّي وعظمى .

فلمّا قال:أ شهد أنّ محمّداً رسول الله التفتَ على مِن أعلى المنبر إلى يزيد وقال: يا يزيد، محمّد هذا جدّي أم جدّك ?فإنْ زعمتَ أنّه جدّك فقد كذبتَ . وإنْ قلتَ إنّه جدّي، فَلِمَ قتلتَ عترته . ?

فأدّى كلام الإمام عليه السلام إلى أن تتبخّر كل الدعايات المضللة التى روّجتها السياسة الأموية، والتى تركّزت على: أنّ الأسرى هم من الخوارج فبدّل نشوة الانتصار إلى حشرجة الموتى فى حلوق المحتفلين.

وفى التزام الإمام السجاد عليه السلام بذكر هويّته الشخصية فقط فى هذه الخطبة، حكمة وتدبير سياسى واع، إذْ لم يكن له فى مثل هذا المكان والزمان، أن يتطرّق إلَى شى من القضايا الهامّة، وإلا كان يمنع من الكلام والنطق، وأمّا الإعلان عن اسمه فهى قضية شخصية، وهو من أبسط الحقوق التى تُمنح للفرد وإنْ كان فى حالة الأسر.

لكنّ كلام الإمام لم يكن فى الحقيقة إلا مليئاً بالتذكير والإيماء، بل الكناية التى هى أبلغ من التصريح، بنسبه الشريف، واتصاله بالإسلام، وبرسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد ذكَر الإمام عليه السلام بكل المواقع الجغرافية، والمواقف الحاسمة والذكريات العظيمة فى الإسلام، وربط نفسه بكلّ ذلك، فسرد وبلُغة شخصيّة حوادث تاريخ الإسلام، معبراً بذلك عَن أنّه يحمل هموم ذلك التاريخ كلّه على عاتقه، وأنّه حامل هذا العبء، بكلّ ما فيه من قدسيّة، ومع هذا فهو يقفُ أسيراً أمام أهل المجلس.

وقد فهم الناسُ مغزى هذا الكلام العميق، فلذلك ضجّوا بالبكاء .

إنّما صاحب هذه المواقف ذو روح متطلّعة وثّابة هادفة، إذا لم يُتَحْ له بعد كر بلاء أنْ يأخذ بقائمة السيف، فسنان المنطق لا يزال فى قدرته، يهتك به ظلام التعتيم الإعلامى المضلّل.

وقد اتّبع الإمام السجاد عليه السلام هذه الخطّة بحكمة وتدبير عن علم بالأمر، وعمد له، وكشف عن أنه انتهجه سياسة مدبرةً مدروسة .

من أقواله رضى الله عنه :

"عجبت للمتكبر الفخور الذى كان بالأمس نطفة , ثم عاد جيفة ,وعجبت كل العجب لمن أنكر النشأة الأخرى ,وهو يرى النشأة الأولى ,وعجبت كل العجب لمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء ."

" عجبت لمن يحتمى من الطعام لمضرته ولايحتمى من الذنب لمعرفته."

"إن قوما عبدوا الله – عز وجل – رهبة فتلك عبادة العبيد ,وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار , وقوما عبدوا الله شكرا ,فتلك عبادة الأحرار . أعبد الله شكرا على ما أعطاك وأولاك ."

رأى الإمام فى الكلام والسكوت:

لمّا سُئل الإمام عن: الكلام، والسكوت أيهما أفضل ?لم يُدْل بما يعتبره الحكماء من: أن الكلام إذا كان من فضة فالسكوت من ذهب، وإنّما قال :

لكل واحد منهما آفات، وإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت .

ولمّا سئل عن سبب ذلك مع مخالفته لاعتبار الحكماء المستقر فى أذهان الناس من فضل السكوت ? قال:

لأن الله عز و جل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، وإنّما بعثهم بالكلام .

ولا استُحقت الجنة بالسكوت .

ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت .

ولا توقيت النار بالسكوت .

ولا يُجنّب سخط الله بالسكوت .

إنما كلّه بالكلام وما كنت لأعدل القمر بالشمس.

إنك تصف فضل السكوت بالكلام، ولست تصف فضل الكلام بالسكوت .

الإمام البكاء:

لقد بكى على أبيه الحسين ، عشرين سنة ، وما وضُع بين يَديه طعام إلاّ بكى ، وقد حدّث مولى له قال : انه برز يوما الى الصحراء فتبعته ، فوجدته قد سجد على حجارة خشنة ، فوقفت وأنا اسمع شهيقه ، وأحصيت عليه ألف مرة يقول : (لا اله إلا الله حقا حقا لا اله إلا الله تعبدا ورقا ، لا اله إلا الله إيمانا وصدقا) ثم رفع رأسه من سجوده وان لحيته ووجهه قد غمرا من دموع عينيه ، فقلت : يا سيدى أما آن لحزنك أن ينقضى ، ولبكائك أن يقل ؟

فقال : (ويحك إن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم كان نبيا وابن نبى ، له اثنا عشر ابنا فغيّب الله واحدا منهم ، فشاب رأسه من الحزن ، واحدودب ظهره من الغم ، وذهب بصره من البكاء ، وابنه حى فى دار الدنيا . وأنا رأيت أبى وأخى وسبعة عشر من أهل بيتى ، صرعى مقتولين ، فكيف ينقضى حزنى ويقل بكائى) ؟

وهكذا طبق الإمام على هذه الحكمة ، وأدّى رسالته من خلال خطبه وكلماته ومواعظه وأحاديثه، فى جميع المواقف العظيمة التى وقفها، وهو فى الأسر.

وإذا كان الظالمون يعتدون على المصلحين والأحرار بالقتل والسجن، فإنّما ذلك ليخنقوا كل صوت فى الحناجر، ولئلا يسمع الناس حديثهم وكلامهم وإذا ذبح الحسين عليه السلام وقُتلَ فى كر بلاء، فإنّ نداءاته ظلّت تدوى من حنجرة الإمام السجاد عليه السلام فى مسيرة الأسرى، وفى قلب مجالس الحكّام .

إذا كانت حركة الإمام الحسين عليه السلام سياسية، فقد برز الإمام زين العابدين عليه السلام على مسرح الحياة الإسلامية كألمع سياسى إسلامى عرفه التاريخ، فقد استطاع بمهارة فائقة وهو فى قيد المرض والأسر أن ينشر أهداف ثورة فجّرها أبوه الإمام الحسين القائد الملهم للمسيرة الإسلامية الظافرة، فأبرز قيمها الأصلية بأسلوب مشرق كان فى منتهى التقنين، والأصالة، والإبداع .

فى مدح الإمام علي:

عندما قدم هشام بن عبد الملك قبل فترة خلافته إلى الحج وأثناء الطواف أراد أن يتقدم لاستلام الحجر الأسود، ولكن العدد الهائل والازدحام الكبير منعه من الوصول، وكلما حاول أن يوصل نفسه مع أنه كان ابن الخليفة ومحاطاً بالمرافقين والحواشي، ولكن الناس كانوا يمرّون من حوله بدون اكتراث فيئس من استلام الحجر وقعد جانباً منتظراً انصراف الناس، وكان أصحابه جالسين حوله. وفى هذه الاثناء يمر رجل يعلوه الوقار والهيبة، سيماه سيماء الزاهدين ووجهه وجه الملكوتيين، يسطع من بين الحجاج كالشمس، فتتحى الناس له جانباً ليمرّ من بينهم ويصل إلى الحجر الأسود، فقبلّه ثم رجع للطواف مجدّداً.

فصعب ذلك على هشام كثيراً، وهو يرى نفسه ابن الخليفة ولا أحد يعطيه أية قيمة، بل يبعدونه بالركل والمطاحنة، ثمّ من جانب آخر يظهر رجل يصل إلى الحجر الأسود بكل هدوء. فسأل غاضباً: من هذا؟ وكان حواشيه يعرفون أنه على بن الحسين (ع)، ولكن لئلاً يغضب منهم، لم يقولوا شيئاً، لأنهم يعلمون وجود العداوة ما بين بنى أمية وبنى هاشم، فلم يريدوا أن يقولوا أن هذا كبير العائلة المعادية لكم، والناس يظهرون له كل هذا الحب والاحترام، لأنهم اعتبروا ذلك نوعاً من الإهانة لهشام.

كان الشاعر الفرزدق من المحبيّن لأهل البيت حاضراً هناك، وقد رأى تجاهلهم من إظهارهم لعدم معرفة على بن الحسين(ع) فتقدم قائلاً: أيها الأمير، لو تسمح لى بأن أعرفه لك.

فقال هشام: قل. فانطلق لسان الفرزدق بقصيدة من أشهر القصائد الشعرية التى قيلت بحق أهل البيت، وبدأها بهذا البيت:

يا سائلى أين حل الجود والكرم××× عندى بيان إذا طلابه قدموا

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته××× والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم××× هذا التقى النقى الطاهر العلم

هذا الذى أحمد المختار والده××× صلى عليه إلهى ما جرى القلم

لو يعلم الركن من قد جاء يلثمه××× لخر يلثم منه ما وطى القدم

هذا على رسول الله والده××× أمست بنور هداه تهتدى الأمم

هذا الذى عمه الطيار جعفر××× والمقتول حمزة ليث حبه قسم

هذا ابن سيدة النسوان فاطمة××× وابن الوصى الذى فى سيفه نقم

إذا رأته قريش قال قائلها××× إلى مكارم هذا ينتهى الكرم

يكاد يمسكه عرفان راحته××× ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

وليس قولك من هذا بضائره××× العرب تعرف من أنكرت والعجم

ينمى إلى ذروة العز التى قصرت××× عن نيلها عرب الإسلام والعجم

يغضى حياء ويُغضى من مهابته××× فما يكلم إلا حين يبتسم

ينجاب نور الدجى عن نور غرته××× كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلم

بكفه خيزران ريحه عبق××× من كف أروع فى عرنينه شمم

ما قال لا قط إلا فى تشهده××× لولا التشهد كانت لاؤه نعم
مشتقة من رسول الله نبعته××× طابت عناصره والخيم والشيم
حمال أثقال أقوام إذا فدحوا××× حلو الشمائل تحلو عنده نعم
إن قال قال بما يهوى جميعهم××× وإن تكلم يوما زانه الكلم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله××× بجده أنبياء الله قد ختموا
الله فضله قدما وشرفه××× جرى بذاك له فى لوحه القلم
من جده دان فضل الأنبياء له××× وفضل أمته دانت لها الأمم
عم البرية بالإحسان وانقشعت××× عنها العماية والإملاق والظلم
كلتا يديه غياث عم نفعهما××× يستوكفان ولا يعروهما عدم
سهل الخليفة لا تخشى بوادره××× يزينه خصلتان الحلم والكرم
لا يخلف الوعد ميمونا نقيبته××× رحب الفناء أريب حين يعترم
من معشر حبهم دين وبغضهم××× كفر وقربهم منجى ومعتصم
يستدفع السوء والبلوى بحبهم××× ويستزاد به الإحسان والنعم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم××× فى كل فرض ومختوم به الكلم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم××× أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم××× ولا يدانيهم قوم وإن كرموا
هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت××× والأسد أسد الشرى والبأس محتدم
يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم××× خيم كريم وأيد بالندى هضم
لا يقبض العسر بسطا من أكفهم××× سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا
إن القبائل ليست فى رقابهم××× لأولية هذا أو له نعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا××× فالدين من بيت هذا ناله الأمم
بيوتهم فى قريش يستضاء بها××× فى النائبات وعند الحكم إن حكموا
فجده من قريش فى أرومتها××× محمد وعلى بعده علم
بدر له شاهد والشعب من أحد××× والخندقان ويوم الفتح قد علموا
وخيبر وحنين يشهدان له××× وفى قريظة يوم صيلم قتم
مواطن قد علت فى كل نائبة××× على الصحابة لم أكتم كما كتموا

وكانت أبيات هذه القصيدة كوقع السيوف على قلب هشام فغضب منه وطرده، وأرسل إليه الإمام على بن الحسين (ع) مالاً فلم يقبله وقال: "ما قلته إلاّ لله ولا أريد مالاً".

المبادأة بأساليب ناعمة

■ إعداد: أحمد سامي عنتر
باحث في الشئون الإيرانية

من جدليات سياسة جمهورية ايران الاسلامية الخارجية فى الفترة الراهنة، ما يدور حول مصطلح سياسة المبادأة ولكن بأساليب ناعمة وحسب الاحداث الدولية. لأن هذا المصطلح يسهم في صياغة الاحداث الاقتصادية والثقافية والسياسية، وهو لا ينفصل أو ذي تأثير فى علاقات ايران الخارجية مع دول المنطقة، أو دول تدخل دائرة الاهتمام الثانية مثل الجزائر، وتتم متابعة البيئة الدولية وبحث التطورات المختلفة فى المنطقة والعالم من خلال مفهوم هذا المصطلح. ويقوم مشرعو السياسة الخارجية الإيرانية بتكليف جهاز دبلوماسية الدولة بإنجاز متطلباته بهذه الطريقة، بحيث يعرض أصحاب القرار في الدولة على هذا الجهاز أهداف وأسس الجمهورية الاسلامية بعلم كامل ودراية بالأحداث الموجودة فى العالم من خلال هذا المنظور.

ومن هذا المنطلق وفى اطار ابحاث الخطاب السياسي، تتم دراسة طريقة العرض والميادين القابلة فى الساحة العالمية للتنظيم الدولى تنظيما بشكل يضمن مصالح كل الدول، وقد اقترحت رئاسة الجمهورية الاسلامية في إيران اصل العدالة بين الدول في معالجة فقدان الاصل النظامى المقبول على الساحة العالمية باعتباره التأصيلي، حتى لا يزيد من الفوضى الاخلاقية والسلوكية والفرقة المنتشرة ويزيد من نسبة الموضوعية الموجودة فى النظام العالمى، كما حدث في موضوع الهولوكوست أو المحرقة اليهودية. ونظرا لملائمة هذا المصطلح لمعتقدات الإيرانيين ولاسباب منطقية فانه يمكن ان يرسخ كقاعدة عمل بسهولة في مختلف الميادين. ومن خلال بحث المراجع في الحوزات العلمية الدينية اهتمت الجمهورية الاسلامية الايرانية ايضا بالثقة المتبادلة في التعاملات، وضمن مساهمة من كافة السياسات التأصيلية، والاعتقاد بكفاءة البرامج فى محيطها الزمنى ولأجل التوجه اكثر نحو سياسات ضرورية مثل ازالة التوتر، لدعم هذا المصطلح، ولكنها فى نفس الوقت اخرجت النظام من وضعه فى موقع دفاعى صرف إلى موقع المبادأة وذلك عن طريق عرض المبتكرات أو الأفكار الجديدة من خلال بالونات اختبار.

إن السياسة الخارجية لأى دولة لا تبدأ من الصفر فطبيعى ان ترسخ ايران اسس العلاقات الخارجية الضخمة بما يتناسب مع طريق الثورة الاسلامية ودون تغيرّ، وقد انتقت اساليب مختلفة فى السياسة الخارجية فى كل ناحية مع مراعاة الظروف العالمية المختلفة، وعلى سبيل المثال فلم يغير مرشد جمهورية ايران الاسلامية موقفه فى البرنامج النووى سواء فى الحكومة السابقة او الحالية، وكان المرشد حافظا لحقوق الامة الايرانية المشروعة، لكن فى عهد الحكومة السابقة تم اختيار اتجاه لم يستطع ان يصل لحقوقه رغم وجود صداقة وتواضع وتعاون وقبول اكثر من صيغة اعطتها الدول الاوربية الثلاث (بريطانيا وفرنسا وألمانيا)، ورغم انها سعت واثبتت ان نشاطها هو السلام، فإنها لم تصل بالمفاوضات إلى نتيجة حاسمة، ولهذا ومع ثبات موقف المرشد تم اعتماد المبادأة بأساليب ناعمة لإحداث تحول في موقف دول الاتحاد الأوربي من خلال فريق جديد للمفاوضات ينسجم مع الحكومة الجديدة.

وتغيير الاتجاهات ليس معناه الابطاء او الاسراع فى حركة الدبلوماسية بل يقوم اساليب التعامل مع البيئة العالمية، فلو لم يوجد الرد المناسب فطبيعى انه لابد من معرفة الداء واتخاذ اتجاه آخر، وبالتأكيد فان تغيير الاتجاه لا يوجد فضاء خاصا، وانما يطرح مفهومين فى بداية الامر او يتم الاتفاق فى حالة الحدوث، او يتم تسريع الساحة، والنتائج الأولية تكون متسرعة جدا في مثل هذه الحالة، ويجب الصبر حتى تتضح آثار وضع كل حركة.

وايران على اساس الثوابت الاعتقادية او على اساس السياسات ايضا فانها حتما تتبع السلم والسكينة والأمن بانتهاج هذا المفهوم. وتسعى حتما لازالة التوتر نهائيا، ولكن هناك خطوة تمهيدية قبل ذلك وهى معرفة اسباب حدوث التوتر، ولكن لازالة أسباب التوتر التى تعرف اليوم فمن الضروري بحث الخطوات في اتجاه قبول ما يقوله الآخرون، أو إلقاء الموضوعات مورد الخلاف اسفل الطاولة.

الحرس الثورى: رقم مهم فى صنع القرار الإيرانى

■ محمد عباس ناجى
باحث متخصص فى الشئون الإيرانية

أصبح الحرس الثورى رقما صعبا فى معظم الملفات الداخلية والخارجية فى إيران، فبالإضافة إلى مهمته الأساسية التى تتمثل فى حماية الدولة من أية اعتداءات خارجية وتدعيم حالة الأمن والاستقرار الداخلى، يشارك الحرس فى صنع قرار السياسة الخارجية، وأصبح أداة أساسية فى تنفيذ هذه السياسة خصوصا فى العراق ولبنان وفلسطين وغيرها من الملفات الإقليمية الساخنة. لذا لم يكن غريبا أن يكون الحرس محور اتهامات متعددة لإيران بالتدخل فى الشئون الداخلية لدول الجوار وفى هذا السياق، وجه نائب مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأدنى جيمس جيفرى اتهامات للحرس الثورى، خصوصا لواء القدس، واعتبره بمثابة مصدر قلق أمريكى، حيث أكد أن قوات لواء القدس مسئولة عن تهريب أسلحة إلى العراق، وقتل أمريكيين وعراقيين، وإرسال شحنات من الأسلحة إلى أفغانستان، مضيفا أن واشنطن، وبعد التطورات الأخيرة فى الأراضى الفلسطينية بسيطرة حركة حماس على قطاع غزة، وتحسبا لإرسال طهران أسلحة أو أموالا إلى حماس، طلبت من كل حلفائها فى المنطقة بذل جهودهم لمنع تدفق الأموال والأسلحة والمسلحين المدربين إلى غزة.

كذلك لم يكن الحرس الثورى بعيدا عن قرار مجلس الأمن رقم ١٧٤٧ الصادر فى ٢٤ مارس الماضى، بفرض عقوبات على إيران نتيجة رفضها الامتثال لمطالب المجتمع الدولى بوقف عمليات تخصيب اليورانيوم، حيث تضمن إجراءات تهدف إلى تضييق الخناق على الأنشطة الخارجية للحرس الثورى من خلال تجميد أرصدة أفراد من قادة الحرس والمنظمات التى يشرف عليها، ودعوة كل الدول إلى توخى الحذر حيال بيع أو نقل أسلحة من وإلى إيران، أو تزويدها بأية مساعدات مالية وتكنولوجية ذات علاقة بتعزيز قدراتها العسكرية. ومن المتوقع أن تزداد إجراءات التضييق الدولية على النشاطات الخارجية للحرس الثورى، فى القرار الجديد المزمع صدوره من مجلس الأمن بعد رفض إيران المهلة الأخيرة لوقف عمليات تخصيب اليورانيوم. هذه الاعتبارات فى مجملها تفرض ضرورة الوقوف على طبيعة تكوين هذه المؤسسة ودورها على المستويين الداخلى والخارجى وتأثيرها فى عملية صنع القرار.

بيئة داخلية محتقنة

نشأ الحرس الثورى فى خضم بيئة حبلى بالاضطرابات وعدم الاستقرار دعمت من مكانته على الساحة الداخلية الإيرانية. حالة عدم الاستقرار التى تعرضت لها الجمهورية الإسلامية بعد قيامها مباشرة كانت نتيجة للتباين الحادث بين رجال الدين الذين وصلوا إلى سدة الحكم وجماعة مجاهدى خلق، وتصاعد الموقف فى أعقاب قيام الإمام الخمينى بإصدار تعليمات بتسليم العناصر غير المنضوية ضمن القوات المسلحة النظامية (المنتمين لجماعة مجاهدى خلق) أسلحتهم وهو ما رفضته الجماعة التى بدأت فى يونيو من العام ١٩٨١ تنفيذ سلسلة اغتيالات طالت

بعض رموز النظام الإسلامى، مثلما حدث مع تفجير مقر رئاسة الجمهورية ما أودى بحياة رئيس الجمهورية آنذاك محمد على رجائى، ورئيس الوزراء محمد جواد باهنر. وفى خضم هذه البيئة العنيفة تأسس الحرس الثورى، وكانت الوظيفة الأساسية له الحفاظ على النظام الإسلامى وحماية قادته وتعقب الأعداء خاصة جماعة مجاهدى خلق.

لكن إلى جانب ذلك، فإن ثمة عوامل أساسية أربع ساهمت فى تدعيم دور الحرس الثورى فى عملية صنع القرار فى إيران: الأول، اندلاع الحرب العراقية -الإيرانية (الحرب المفروضة كما يطلق عليها الإيرانيون وتمتد من عام ١٩٨٠ إلى عام ١٩٨٨)، والتى أكسبت الحرس الثورى قاعدة جماهيرية واسعة، كما دفعته إلى تطوير قدراته العسكرية بحيث أصبح يمتلك جيشا كامل التجهيز. والثانى، أن دور الحرس لم ينحصر فى المجال الأمنى والدفاعى فقط، بل امتد ليشمل المشاركة فى المشروعات العمرانية الكبرى التى تقوم بإنشائها الحكومة، الأمر الذى حول الحرس إلى مؤسسة ضخمة لها مواردها وميزانيتها وكوادرها وجامعتها ومساهمتها الإنتاجية الواسعة. والثالث، شبكة العلاقات الواسعة التى أقامها الحرس مع مؤسسات صنع القرار الأخرى فى إيران وعلى رأسها مؤسسة المرشد، الذى يدين له بالولاء التام، ويتمتع مقابل ذلك بامتيازات أهمها الاستقلال النسبى فى مواجهة المؤسسات الأخرى وعلى رأسها مؤسسة الرئاسة، كما أن للحرس علاقات قوية مع الحوزة الدينية فى مدينة قم والمؤسسات الخيرية الواسعة الانتشار فى إيران.

لكن تطورات عديدة أدت فى مجملها إلى إعادة النظر مرة أخرى فى مهام ودور الحرس على الساحة الإيرانية، كما صبت فى اتجاه تصعيد الدعوة إلى دمج قوات الحرس داخل الجيش، كان أهمها وفاة مؤسس الجمهورية الإسلامية الإمام الخمينى عام ١٩٨٩، وتولى هاشمى رفسنجانى رئاسة الجمهورية فى العام نفسه، وما رافقها من تطورات على الساحة الدولية أهمها انهيار الاتحاد السوفيتى وانتهاء حالة الاستقطاب الدولى، وتقلص تأثير الخطاب الأيديولوجى على الساحتين الداخلية والخارجية، وفى هذه اللحظة بدا أن إيران فى طور التحول من حالة الثورة إلى حالة الدولة، بما يعنيه ذلك من إقامة دولة المؤسسات وشبكة واسعة من العلاقات على الساحة الخارجية. وزد على ذلك أن الحرب العراقية - الإيرانية أثبتت أن المحك فى ساحة القتال لا يتركز على الالتزام الأيديولوجى بقدر ما يتركز على الاهتمام برفع كفاءة جميع أفرع القوات المسلحة. كما أن حادثة الاغتيال الفاشلة التى تعرض لها هاشمى رفسنجانى عام ١٩٨٨ واتهم فيها بعض رجال الحرس الثورى، دفعته إلى بذل جهودا حثيثة لتقليص حدة تأثير الحرس على الساحة الداخلية وضبط العلاقة بين الحرس والجيش، وساعده فى هذا السياق دعوة آية الله حسين على منتظرى نائب المرشد فى هذا الوقت إلى دمج الحرس الثورى داخل الجيش. وكادت هذه الجهود أن تثمر عن شئ، خصوصا بعد الاتفاق على تكوين لجنة ثلاثية من الجيش والحرس لبحث سبل تطوير القوات المسلحة فى عام ١٩٨٩، لكنها باءت بالفشل فى النهاية، على خلفية تنحية آية الله منتظرى من منصبه كنائب للمرشد وتحديد إقامته (تم رفعها فى عام ٢٠٠٤)، وتعيين على خامنئى مرشدا عاما للجمهورية، والذى يرتبط بعلاقات وثيقة مع قادة الحرس الثورى، لدرجة ممارسته ضغوطا قوية لتعيين بعض كوادر الحرس فى حكومتى هاشمى رفسنجانى (١٩٨٩-١٩٩٧) ومحمد خاتمى (١٩٩٧-٢٠٠٥)، وليس أدل على ذلك من تعيين على شمخانى، قائد القوات البحرية للجيش والحرس مع قيادة قاعدة خاتم الأنبياء البحرية، وزيرا للدفاع ودعم القوات المسلحة فى حكومة الرئيس خاتمى عام ١٩٩٧ . وعند إجراء انتخابات الدورة الثامنة لرئاسة الجمهورية عام ٢٠٠١، استثناه المرشد على خامنئى من الاستقالة من الوزارة لترشيح نفسه فى الانتخابات أمام محمد خاتمى. كذلك عين خامنئى قائد قوات الحرس الثورى خلال فترة الحرب مع العراق الجنرال محسن رضائى أمينا عام لمجمع تشخيص مصلحة النظام الذى يرأسه هاشمى رفسنجانى، ويتولى مهام تحديد السياسة العليا للدولة والفصل فى الخلافات بين مجلس الشورى (البرلمان) ومجلس صيانة الدستور، بعد أن رفض الرئيس السابق محمد خاتمى تعيينه وزيرا فى حكومته، على خلفية تصويت رضائى ضد خاتمى فى انتخابات الرئاسة عام ٢٠٠١ .

وقد بدا من تعاطى الحرس الثورى مع مجمل التطورات التى طرأت على الساحتين الداخلية والخارجية، أن ثمة تحولا ملفتا فى دوره من مؤسسة ذات طابع عسكرى وأمنى بحت إلى أحد أهم مراكز صنع القرار فى إيران. هذه الحقيقة بدت جلية فى أعقاب فوز الإصلاحيين بانتخابات رئاسة الجمهورية فى عام ١٩٩٧، حيث انتهج الحرس سياسة مناهضة لبرامج ومشروعات الإصلاحيين، وهو ما أسفر عن حدوث مواجهات عديدة بين قيادة الحرس وحكومة الرئيس السابق محمد خاتمى، ففى عام ١٩٩٩ نظم طلاب جامعة طهران مظاهرات ضخمة منددين بمصادرة الحريات السياسية، ووجهوا انتقادات عنيفة للمرشد الأعلى على خامنئى، وقاموا بالاعتصام بالمدينة الجامعية، الأمر الذى دفع قوات الحرس الثورى إلى التدخل لفك الاعتصام وقمع المظاهرات، وقد أدت هذه الأحداث إلى تصاعد حدة الخلاف

بين الحرس الذى صور المظاهرات على أنها تمت على يد عملاء للولايات المتحدة، والإصلاحيين الذين نددوا بتدخل الحرس لقمع المظاهرات الطلابية، لدرجة أن مصطفى معين وزير التعليم العالى فى الحكومة الإصلاحية قدم استقالته احتجاجا على اقتحام المدينة الجامعية، لكن الرئيس خاتمى لم يقبلها. وبعد فوز الإصلاحيين بانتخابات الدورة السادسة لمجلس الشورى فى عام ٢٠٠٠، بدا موقف الحرس الثورى المؤيد للمتشددين جليا، خاصة عندما أصبحت قضية العلاقات مع الولايات المتحدة محورا للتباين بين الطرفين، فى أعقاب تصنيف الولايات المتحدة لإيران ضمن دول "محور الشر"، وهو ما توافق مع توارد أنباء عن عقد اجتماعات سرية بين إيرانيين محسوبين على الإصلاحيين و مسئولين أمريكيين فى جنيف، وما دعم ذلك، تصاعد الدعوات من جانب بعض كوادر الإصلاحيين إلى فتح قنوات للحوار مع الولايات المتحدة. ولذا قام الحرس الثورى بتوجيه تحذيرات شديد اللهجة إلى الإصلاحيين بعدم السعى إلى علمنة النظام وخدمة مصالح الولايات المتحدة التى تنتهج، فى رؤيته، سياسية عدوانية إزاء إيران.

ولاعتبارات عديدة، كانت انتخابات الدورة التاسعة لرئاسة الجمهورية التى أجريت فى يونيو ٢٠٠٥ بمثابة نقطة تحول بالنسبة لدور الحرس الثورى فى عملية صنع القرار، لأنها أولا أسفرت عن سقوط مدو لرئيس الجمهورية الأسبق رئيس مجمع تشخيص مُصلحة النظام هاشمى رفسنجانى، الذى تتسم علاقته بالحرس الثورى بتوتر دائم يعود إلى سنوات رئاسته للجمهورية (١٩٨٩-١٩٩٧)، والتى بذل خلالها جهودا حثيثة لتقليص تأثير الحرس على عملية صنع القرار، وسعى إلى تطهير مؤسسات الدولة من كوادر الحرس وإعادة دمجه داخل الجيش. ولأنها ثانيا، وهذا هو الأهم، جاءت بأحد كوادر الحرس خلال فترة الحرب مع العراق ليصبح رئيسا للجمهورية وهو محمود أحمدى نجاد مرشح الجناح الأصولى من التيار المحافظ الذى ينتمى أغلب أعضائه إلى الحرس الثورى والمنظمات الثورية الأخرى، مثل منظمة "حزب الله"، الذى يتبع سياسة يمينية متشددة فى التعامل مع قضايا الداخل والخارج.

وقد بدا من السياسة التى تنتهجها حكومة الرئيس أحمدى نجاد أنه يؤمن بكثير من أفكار وطروحات الحرس الثورى، ففور تشكيل الحكومة، بدأت فى تفنيذ توجهات الرئيس الجديد، حيث شنت الشرطة الإيرانية حملة صارمة على تناول المشروبات الكحولية غير المشروعة، واسطوانات الموسيقى المدمجة، والحفلات التى يختلط فيها الشباب من الجنسين، كما حظر المجلس الأعلى للثورة الثقافية الذى يرأسه الرئيس أحمدى نجاد جميع الأفلام الأجنبية "العلمانية المروجة لحقوق المرأة والليبرالية الأمريكية"، وبالإضافة إلى ذلك تم تدشين حملة تطهير داخل وزارة الخارجية باستبعاد العناصر الإصلاحية المعتدلة التى تفضل تطوير العلاقات مع الغرب لصالح عناصر محسوبة على الحرس الثورى. ومما يذكر فى هذا الصدد، أن خلافا مكتوما نشب بين الرئيس أحمدى نجاد والمرشد الأعلى على خامنئى عقب تقديم الأول تشكيلته الحكومية إلى المرشد الذى طالب بتولى على ولاياتى، وزير الخارجية الأسبق وكبير مستشاريه والمحسوب على الجناح التقليدى من التيار المحافظ، وزارة الخارجية فى الحكومة الجديدة، وهو ما رفضه أحمدى نجاد، بحجة أن ولاياتى مدان فى محكمة برلين على خلفية قضية اغتيال زعيم الحزب الديمقراطى الكردى صادق شرفكندى وثلاثة من رفاقه على أيدى عملاء الاستخبارات الإيرانية، وأنه سبق ووعد منوتشهر متقى (وزير الخارجية الحالى) بتولى المنصب.

فى هذه اللحظة بالتحديد وجد الحرس الثورى أن الحفاظ على دوره السياسى القوى داخل أروقة صنع القرار يقتضى توثيق علاقته بالأصوليين المتحفزين للسيطرة على مجمل مراكز صنع القرار، وهو ما يفسر أسباب مشاركة الحرس فى حملة الأصوليين للرد على الانتقادات الحادة التى أطلقها الإصلاحيون والمحافظون التقليديون (المعتدلون) ضد السياسة اليمينية المتشددة التى ينتهجها الرئيس أحمدى نجاد، وقد حاول الحرس فى بعض الأحيان الانتقال إلى موقع الهجوم خصوصا ضد هاشمى رفسنجانى الذى اتهمه الحرس بالمسئولية عن " الهزيمة والاستسلام" خلال الحرب مع العراق باعتباره القائد الأعلى للقوات المسلحة آنذاك، وهو ما دفع رفسنجانى إلى تسريب رسالة للخمينى حول قبوله بنهاية الحرب مع العراق، وقد أثارت هذه الرسالة ضجة سياسية واسعة داخل إيران تمحورت حول الكشف عن دور قيادة الحرس الثورى فى إنهاء الحرب مع العراق، فما سربه رفسنجانى كشف عن رسالة أبلغها قائد الحرس الثورى آنذاك محسن رضائى إلى الخمينى يقول له فيها: "إن الانتصار على عراق صدام حسين مستحيل إذا لم تمتلك إيران ٣٥٠ لواء مشاة إضافيا، و٢٥٠٠ دبابة، و٦٠٠ طائرة وطوافة، والقدرة على صنع الأسلحة النووية"، وبناءً على هذا التحليل العسكرى رد الإمام الخمينى برسالة يقول فيها أنه لا خيار أمامه "سوى القبول بوقف النار وتجرع كأس السم".

مجمل ما سبق يكشف عن حقيقة مهمة مفادها أن الحرس الثورى يمكن اعتباره دولة داخل دولة، بكل ما يمتلكه من آليات وأدوات تأثير، وربما تكون الأيام القادمة محكا أساسيا فى اختبار مصداقية هذه الفرضية، خاصة إذا اتجه الصراع بين إيران والولايات المتحدة، على خلفية أزمة الملف النووى، إلى المواجهة العسكرية.

هل يتحول العراق إلى منطقة نفوذ إيرانية؟

■ خالد السرجانى
كاتب متخصص فى الشئون الإيرانية والتركية

تتعدد التحليلات التى ترى أن العراق أصبح ساحة للنفوذ الايرانى، خاصة مع سيطرة الشيعة العراقيين على العملية السياسية، ومعظم التشكيلات الشيعية الممثلة فى الحكومة ذات طابع دينى له صلة سابقة بإيران مثل المجلس الأعلى للثورة الإسلامية وحزب الدعوة و تيار مقتدى الصدر، يضاف إلى ذلك أن الولايات المتحدة أجرت حوارات مع إيران فيما يتعلق بالعراق وأشركتها فى معظم الاستحقاقات المتعلقة بها، أى أنها تتعامل معها باعتبارها طرفا رئيسيا فيما يتعلق بهذا الأمر وهذا السلوك الأمريكى لم يكن ليحدث لو لم تكن الولايات المتحدة مقتنعة بأن إيران لاعب رئيسى فى مجريات تطور الوضع بالعراق. يضاف إلى ذلك أن معظم المحللين المتابعين للشأن الإيرانى يرون أن هناك ارتباطا كبيرا بين ما يحدث فى العراق من تطورات وبين المصالح الوطنية الإيرانية، فمن يقرأون التاريخ يعرفون أن العراق ظل على الدوام منطقة صراع بين الدولة الصفوية الفارسية الشيعية التى تعد إيران امتدادا لها فى الوقت الراهن حتى ولو تغيرت التسميات، والإمبراطورية العثمانية السنية التى تمثل تركيا الامتداد الحقيقى لها فى الوقت الراهن. من هنا لا يستطيع أى محلل سياسى أن يتجاهل أن ما سوف يحدث فى العراق من تطورات سوف يؤثر سواء بالسلب أو بالإيجاب على إيران ومصالحها الإقليمية خاصة فى وقت تسعى فيه إلى أن تكون دولة مركزية فى نظام اقليمى يعاد تشكيله فى الوقت الراهن، والمجمع عليه أن إعادة التشكيل هذه سوف تنطلق من صورة العراق وما سوف تؤول إليه أوضاعه الداخلية والإقليمية. من هنا لا يستبعد اى من هؤلاء المراقبين أن تسعى إيران لأن تكون الدولة الجديدة فى العراق تابعة لها ومن المهم الإشارة إلى أن هذا الأمر لم يتحقق حتى الآن ذلك أن الوجود الأمريكى المباشر فى العراق يحول دون تحقيق هذا الأمر، ولكن إيران تسعى لأن يصبح العراق الجديد بعد رحيل الولايات المتحدة منطقة نفوذ لها وهى تحسب السيناريوهات المتوقعة فى العراق من اجل معرفة أيها يحقق مصالحها الوطنية.

فيكاد يتفق المحللون والخبراء على أن هناك سيناريوهات متعددة لصورة العراق فى المستقبل منها اثنين متشددين وبينهما ثالث مثالى ومعتدل حسبما يرى المتخصصون ، ويرى هؤلاء أن هذا السيناريو المعتدل يتمثل فى قيام دولة عراقية تعددية من الناحية السياسية وديمقراطية تكون نموذجا يحتذى لدول المنطقة فيما يتعلق بتطبيق الديمقراطية ، خاصة تلك التى تعانى من وجود تعددية سياسية وثقافية أو مذهبية أو طائفية . وفى رأى معظم المهتمين بعلاقة إيران بالعراق فإن هذا هو السيناريو الأسوأ بالنسبة لإيران لأنه سوف يدفع الشعب الإيرانى للمطالبة بدولة أكثر ديمقراطية لا يسيطر عليها رجال الدين ، والذى سوف يزيد من شرعية مطالبهم هو أن رجال الدين فى العراق سيكونون راضين عن هذا الوضع بما يعنى ضمنا خطأ التصور الذى يسعى رجال الدين فى إيران إلى تسييده لدى المواطنين من أن حكمهم هو الوحيد القائم على أساس سليم من الدين . وفى هذا الصدد لابد من الإشارة إلى الخلاف الذى برز فى ثمانينات القرن الماضى بين مرجعيات كل من النجف وقم حول نظام ولاية الفقية وكان الرأى السائد لدى مرجعيات النجف هو أن هذا النظام ليس الوحيد الصحيح لدى الشيعة وإنما هناك صور أخرى للحكم تتوافق مع صحيح الدين وفقا للمذهب الشيعى . ومن هنا فليس خافيا أن العراق الديمقراطى التعددى ليس هو النظام الذى يحقق المصالح الوطنية الإيرانية. يضاف إلى

ذلك أن مثل هذا العراق سوف تكون له علاقات قوية مع دول الجوار الجغرافى له ومع الخارج بما يعنى انه لن يكون هناك سوى حد أدنى من التنسيق بينه وبين إيران فى مرحلة ما بعد استقراره فى الوقت الذى تريد فيه إيران نظاما يحقق لها الحد الأعلى من التنسيق خاصة وأنها تواجه مخاطر دولية وإقليمية متعددة . إما السيناريوهان الآخران اللذان يعتبرهما معظم المراقبين ايجابيان لإيران فهما قيام دولة شيعية فى العراق، واستمرار الفوضى الحالية لأطول فترة ممكنة.

١- سيناريو الدولة الدينية الشيعية:

فيما يتعلق بالسيناريو المتعلق بالدولة الشيعية بالعراق فهو السيناريو الذى يرى الكثيرون انه سيحول العراق إلى دولة تابعة لإيران ومنطقة نفوذ لها. لكن هناك تصورين لهذا السيناريو الأول هو أن يتحول العراق بكامله إلى دولة يسيطر عليها الشيعة . والثانى هو أن يتم تقسيم العراق إلى ثلاثة دويلات تكون واحدة منها شيعية فى الجنوب . وفيما يتعلق بهذين السيناريوهين الفرعيين فان الثانى اى أن تكون هناك دويلة شيعية فى الجنوب ، هو الوحيد الذى يحقق المصالح الإيرانية على أساس أن هذة الدويلة سوف تكون خالصة للشيعة بما يعطى لرجال الدين فرصة لتطبيق نفس النموذج الايرانى فضلا عن أنها سوف تكون مجبرة على التنسيق مع إيران حتى تواجه المصاعب الدولية والإقليمية التى ستواجهها . وهذا الأمر سيجعلها تتنازل عن بعض المزايا الروحية والسياسية من أجل أن تضمن رضاء إيران وتنسيقها معها.

ونأتى للسيناريو الفرعى الآخر وهو دولة شيعية على كامل أرض العراق ، فهو من الناحية الظاهرية لا يحمل أية خطورة على المصالح الإيرانية ، ولكنه فى عمقه يحمل هذا الأمر بما يعنى أن القيادة الإيرانية لايمكن أن ترتاح إليه . ولكن وقبل الإشارة إلى هذه السلبيات لابد من الإشارة إلى أن دولة شيعية عراقية على كامل أرض العراق لن تكون شبيهة باى حال من الأحوال لإيران . فرجال الدين إن كانوا سيلعبون دورا فى السياسة فهو لن يكون بالكثافة التى سيمارسها رجال الدين فى إيران ولكن أقصى ما يمكن أن يكون عليه دورهم هو مراجعة القوانين قبل صدورها ، ولن يتطور الى ما هو عليه فى إيران فيما يتعلق بقصر العمل السياسى فقط عليهم ، أو على من يؤمنون بنظام ولاية الفقيه. فالتعددية الثقافية والعرقية والمذهبية فى العراق سوف تفرض آلياتها وتوازناتها، ولن يستطيع رجال الدين فى العراق أن يكرروا نفس النموذج السياسى لكنهم فى الوقت نفسه لن يعدموا فرض آليات أخرى للتدخل تجعل العراق دولة دينية لهم دور قوى فى صنع القرار بها.

ويمكن إجمال سلبيات العراق الذى يسيطر عليه الشيعة فى الآتى: فمن جهة، فإن إيران ليس بها فى الوقت الراهن مرجعية شيعية فى وزن آية على السيستانى، وبالتالى فإنها يمكن أن تفقد ما لديها من وزن معنوى لدى الشيعة. ويمكن أن يصبح السيستانى مرجعية دينية رسمية وموحدة لدى الشيعة فى العالم . ومن جهة ثانية ، فإن النموذج السياسى المطروح للعراق فى الوقت الراهن يختلف جذريا عن النموذج الإيرانى الذى يسيطر عليه رجال الدين، الأمر الذى قد يفتح الباب فى إيران نفسها للمطالبة بتعديل نظام الحكم ليسمح بالمشاركة السياسية لمن هم من خارج المؤسسة الدينية ، ولن تستطيع المؤسسة الدينية الإيرانية مواجهة هذه المطالبات بالقول أن النظام الإسلامى يتطلب ذلك، لأن رجال الدين العراقيين لم يعترضوا على النظام السياسى الأكثر انفتاحا فى العراق. ومن جهة ثالثة، فإن مدينة النجف العراقية لما لها من مكانة دينية قد تسحب البساط من مدينة قم الإيرانية، وهو الأمر الذى يمكن أن تكون له تأثيرات متعددة على الوزن الإقليمى والدولى والروحى لإيران. وإذا كانت إيران تسعى لأن تكون دولة الشيعة، فإن التطورات التى يشهدها العراق تنبىء بأن تحوله إلى مجرد دولة شيعية فقط ، وبالتالى لن يكون هو المرجع والملاذ الوحيد للشيعة فى المنطقة وبالتالى فى العالم .

ومن جهة رابعة فإن إيران، وإن كانت تسعى لتصدير نموذجها السياسى لدى شيعة العالم الإسلامي، سواء الأقليات أو الدول التى يعد فيها الشيعة أكثرية عددية لكنها ليست حاكمة، إلا أن هذا النموذج يتطلب من أجل تطبيقه صورة ما من التمرد والثورة والسعى لقلب أنظمة حاكمة.

فالنموذج العراقى سيقدم خياراً آخر لهذه الأقليات أو الأكثرية الشيعية وهو يتطلب صورة أخرى من المطالبات ودرجة ما من درجات النضال السلبى غير العنيف، بل وقد يقنع الشيعة بالاندماج فى المجتمعات التى يعيشون فيها والمطالبة بتطبيق ديمقراطية تعددية وتمثيل سياسى يشيد بما حدث فى العراق. وعلى هذا فإن إيران لن تظل كما هى الآن النموذج الذى يحج إليه الشيعة من أجل تطبيقه.

ففى مواجهة صورة الملالى أصحاب العمائم الذين يحكمون فى إيران أصبح الشيعة حول العالم يرون سياسيين عراقيين من الشيعة، لا يستطيع أن يقول أى شخص أنهم علمانيون، يتصدرون المشهد ويحتلون أعلى المناصب السياسية، وينجحون فى أداء دورهم، ولا يثيرون المشكلات مع دول الجوار أو العالم الخارجى حتى ولو كان رجال الدين لهم دور فى مراجعة القوانين أو كانوا يحكمون من وراء ستار . وعلى الشيعة بالتالى الاختيار بين النموذجين المعتدل والمتشدد. وحتى إن كان هذا الأمر سوف يكون لصالح إيران، فإن ذلك سيكون بعد جدل شديد داخل المجتمعات الشيعية، الأمر الذى يعنى أن إيران لم تعد هى النموذج الوحيد بالنسبة لشيعة العالم، خاصة الدول العربية.

نأتى إلى أبرز سلبيات هذا السيناريو العراقى بالنسبة لإيران، وهو أنه سيبعد احتمال أن يكون هناك هلال أو مثلث شيعى تلعب فيه إيران الدور المركزى، الأمر الذى يجعل منها دولة إقليمية مركزية على حسب ما تقوله تحليلات متعددة

انطلاقاً من تداعيات الغزو الأمريكي للعراق الذي أسفر عن سقوط نظام صدام حسين "السني"، والذي يجعلنا نستبعد هذا الاحتمال هو أن شيعة العراق الذين سوف يتصدرون المشهد السياسي في المرحلة المقبلة في العراق ، يدركون أن علاقاتهم بالولايات المتحدة مهمة وحيوية خلال سنوات إعادة الأعمار، ويدركون في الوقت نفسه أن الولايات المتحدة لديها خيوط متعددة للسيطرة على العملية السياسية في العراق، إضافة لذلك، فهم يريدون استمرار العراق الموحد في إطار نظام فيدرالي، وليس تقسيم العراق إلى دويلات على أساس عرقي أو مذهبي، وهذا الأمر يجعلهم يقدمون تنازلات للأكراد، حتى يظلوا داخل العراق الموحد، وسوف يظل وزير خارجية العراق كرديا، بما يحول دون التنسيق مع إيران، وسوف يظل الأكراد يضعون (فيتو) على المزيد من التعاون مع إيران مطالبين بدولة مدنية تعددية بما يحد من طموحات الشيعة في المزيد من التنسيق مع إيران، ناهيك عن الدخول في محاور أو تحالفات معها. أي أن الحدث العراقي لن يمثل خطوة متقدمة لدور إيراني إقليمي مركزي، وإنما على إيران أن تسعى إلى تطويق آثاره السلبية على محاور داخلية وإقليمية متعلقة بها.

٢- سيناريو الفوضى:

أما السيناريو الكبير الثاني فهو استمرار الفوضى القائمة في العراق لفترة طويلة من الوقت ، ونعتقد وفقا لمؤشرات متعددة أن هذا هو السيناريو الأكثر تحقيقا لمصالح إيران سواء الداخلية أو الإقليمية أو الدولية . فهذا الوضع يستخدمه الملالي والطبقة الحاكمة في إيران من اجل تأكيد أن هناك مخاطر تواجه دولتهم ، وهو ما يعني ضرورة إيقاف أية أصوات مطالبة بالديمقراطية أو الانفتاح أو الحرية ، بما يزيد من قبضة الطبقة الحاكمة على المجتمع . فضلا عن ذلك فإن هذا الوضع دفع القوى الدولية المناهضة لإيران لأن تطلب معاونتها في وقف الفوضى السائدة في العراق ، وبموجب هذة الطلبات أصبحت هناك آمال لدى إيران بأن تنجو ببرنامجها النووي ، وتراجعت أية فرص أو إمكانيات لأن تقوم الولايات المتحدة بتوجيه ضربة عسكرية لإيران ، وأصبحت إيران قبلة العالم فيما يتعلق بمساعدتها على حل المعضلة العراقية التي تسبب أزمة للدول التي شاركت في التحالف الدولي الذي خاض الحرب عام ٢٠٠٣ .

يضاف إلى كل ما سبق أن إيران تدرك أن نتائج ما يحدث في العراق حاليا ستكون هي تأسيس نظام إقليمي جديد تسعى إليه الولايات المتحدة وإسرائيل وتركيا والدول الأوروبية على أن يكون وجود إيران هامشيا فيه، وإيران ليس لديها في الوقت الراهن أية أوراق للعب في هذا الأمر سوى العراق من خلال علاقاتها بأطراف داخلية وما يمكن أن تقوم به من خلال هذه الأطراف لوقف الفوضى الضاربة هناك . وإيران تدرك بالطبع أن انتهاء الفوضى في العراق حتى وإن ساعدت فيه سوف يدفع الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين الى الالتفات إليها مرة أخرى وتطويقها سواء بالعمل العسكري أو من خلال إجراءات سياسية أو اقتصادية أو الاثنين معا. وهو ما يعني أنه كلما دامت الفوضى في العراق وقتا أطول كلما حقق ذلك مصالحها الإقليمية وساعد على فتح منافذ أمام نظامها السياسي للتحرك والمناورة والاستقرار.

والمتابع للسلوك الإيراني إزاء العراق في الفترة السابقة سوف يلاحظ أن إيران بتعاملها الحالي مع الشأن العراقي، لا تسهم في إعادة الاستقرار للعراق، وهذا بالطبع يحقق المصالح الاستراتيجية الإيرانية حسبما ذكرنا من قبل، فهي لا تريد أن تساهم في تهدئة الأجواء لصالح المشروع الأمريكي في العراق، وهذا المشروع يتطلب بديهيا أن تظل العلاقات متوترة بين سنة العراق وشيعتها، وتستطيع إيران أن تصبح رقما صعبا في المعادلة السياسية في العراق، إذا ما تركت ورائها الخلافات المذهبية وسعت إلى تضييق الفجوة بين الشيعة والسنة في العراق. وهذا الأمر لا يضمن لها فقط أن تكون طرفا في المعادلة العراقية وإنما أن تجهض المشروع الأمريكي الذي يستهدفها. أي أنها قد تقوم بممارسات تغضب شيعة العراق من أجل استمرار دورها في العراق والمنطقة ، وهو ما يعني أن إعادة الاستقرار يمكن أن تكون لها تكاليف باهظة على ايران أن تدفعها.

من كل ذلك نستطيع القول أن إيران سوف يكون تدخلها في العراق لوقف الفوضى بحساب ومن أجل الوقف الوقتي فقط وليس الوقف النهائي ، حتى تعود الفوضى مرة اخرى ويتطلب الوضع الاستعانة بها مرة أخرى ، هكذا دواليك، وذلك حتى يظل المجتمع الدولي يحتاج لها باستمرار. وهذا الأمر يعني في التحليل الأخير أن إيران أمام وضع يتطلب مهارة وحذق من صناع السياسة بها ودرجة هائلة من المناورة لدى المنوط بهم تنفيذ هذة السياسة . أي أن أي مستقبل للعراق سوى هذا السيناريو لن يمثل خطوة متقدمة لدور إيراني إقليمي مركزي، وإنما على إيران أن تسعى إلى تطويق آثاره السلبية على محاور داخلية وإقليمية متعلقة بها. والأمر الذي لا شك فيه هو أن مراكز صنع القرار في إيران تدرك هذا الامر ولابد من أنها أعدت عدتها من أجل مواجهته ، فكافة التحليلات ترى أنها الأكثر استفادة مما حدث في العراق . أي أنها الأكثر استفادة من الفوضى الضاربة فيه حتى اللحظة الحالية . ومن المهم الإشارة إلى أن إيران قد تساهم في إجراءات متعددة الأطراف من أجل إعادة الاستقرار في العراق ولكن ذلك سيكون مشروطا بما ستحصل عليه من مكاسب سياسية إقليمية ودولية وعلى رأس هذة المكاسب إنهاء التهديدات الأمريكية لها نهائيا وغض الطرف عن برنامجها النووي مع وضع شروط صارمة لكي يخصص هذا البرنامج للأنشطة السلمية فقط .

رقم الإيداع : ٢٠٠٠/١١٨١٧

الترقيم الدولي : I.S.B.N 977 - 227 - 130 - 3



النشاط والأهداف

مركز علمي مستقل يعمل في إطار مؤسسة الأهرام، يسعي إلي نشر الوعي العلمي بالقضايا الاستراتيجية العالمية والإقليمية والمحلية، بهدف تنوير الرأي العام بتلك القضايا، وترشيد الخطاب السياسي وعملية صنع القرار.

١- الدوريات

(أ) كراسات استراتيجية

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩١ تتوجه أساساً إلي صانعي القرار والدوائر المتخصصة والنخبة ذات الاهتمام بالتحديات الاستراتيجية التي تواجه مصر والعالم العربي. وتصدر"كراسات استراتيجية" منذ يناير ١٩٩٥ باللغتين العربية والإنجليزية. ويرأس تحريرها د. أحمد إبراهيم محمود

(ب) ملف الأهرام الاستراتيجي

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩٥ تعني بتقديم تحليلات متخصصة حول الشئون الإقليمية، والتطورات الدولية والمحلية ذات الانعكاسات والأبعاد الاستراتيجية بالنسبة للمنطقة العربية والشرق الأوسط. ويحرره أ. هانئ رسلان.

(ج) مختارات إسرائيلية

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩٥ تعني بالرؤي والتصورات والمواقف الإسرائيلية علي صعيدي الحكومة والمعارضة، وبالذات حول مجريات تسوية الصراع العربي الإسرائيلي ومشكلاته ويرأس تحريرها د. عماد جاد.

(د) مختارات إيرانية

دورية شهرية تصدر منذ أغسطس ٢٠٠٠ تهدف إلي دراسة وتحليل التفاعلات الداخلية الإيرانية والعلاقات الإقليمية والدولية لإيران. ويرأس تحريرها د. محمد السعيد ادريس.

(هـ) قراءات استراتيجية

دورية شهرية تصدر منذ يناير ١٩٩٦ تهتم بعرض القضايا الاستراتيجية الدولية والإقليمية من خلال اختيار أهم ما نشر عن تلك القضايا بمختلف اللغات وعرضه عرضاً دقيقاً وافياً باللغة العربية. وترأس تحريرها د. ألفت حسن أغا.

(و) أحوال مصرية

دورية ربع سنوية تصدر منذ صيف ١٩٩٨ تهدف إلي دراسة الواقع المصري بكل أبعاده السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. ويرأس تحريرها أ. مجدى صبحى

٢- التقارير

(أ) التقرير الاستراتيجي العربي

تقرير سنوي يصدره المركز منذ عام ١٩٨٦ يسعي إلي تقديم رؤية استراتيجية عربية ومصرية لتطورات النظام الدولي والنظام الإقليمي العربي والمجتمع المصري. ويصدر التقرير أيضاً باللغة الإنجليزية بدءاً من عام ١٩٩٥ ويرأس تحريره أ. عبد الفتاح الجبالى

(ب) تقرير الحالة الدينية

يرمي إلي الكشف عن خريطة المؤسسات، والأشخاص والحركات والتفاعلات داخل شبكات الانتماءات الدينية والإسلامية والمسيحية بالأساس، بهدف استخلاص اتجاهات عامة حول أنماط التدين المصري بكافة أشكالها وتفاعلاتها ومؤسساتها. ويرأس تحريره أ. نبيل عبد الفتاح.

(ج) تقرير الاتجاهات الاقتصادية الاستراتيجية

تقرير صدر منذ عام ٢٠٠١ يعنى بتقديم دراسات تحليلية للقضايا الأكثر أهمية والتى من شأنها التأثير على مستقبل الاقتصاد العالمى والاقتصادات العربية والاقتصاد المصرى. ويحرره أ. احمد السيد النجار.

٣- الكتب

يصدر المركز سلسلة كتب تغطى موضوعات معرفية متعددة تعالج مختلف القضايا. ويرأس تحريرها أ. نبيل عبد الفتاح. كما يصدر المركز كتيبات عن المفاهيم والمؤسسات ضمن سلسلة "موسوعة الشباب السياسية". ويرأس تحريرها د. وحيد عبد المجيد.

٤- المركز علي شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت)

قام المركز بتأسيس صفحة خاصة به على شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) باللغتين العربية والإنجليزية. وتتضمن الصفحة عرضاً لكافة إصدارات وأنشطة المركز. ويمكن الوصول إلى صفحة المركز عن طريق موقع الأهرام: http://www.ahram.org.eg بريد إليكترونى acpss@ahram.org.eg

أسلوب الاشتراك أو شراء مطبوعات المركز

تطلب اصدارت المركز من مكتبات الأهرام ومراكز توزيع الأهرام، فضلاً عن إمكانية الاشتراك في الإصدارات الدورية للمركز عن طريق: إدارة اشتراكات الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة - جمهورية مصر العربية.

تليفون: ٧٧٠٤٥٦٥- ٥٧٨٦٢٢٤ - ٥٧٨٦٠٣٧ - ٥٧٨٦١٠٠ فاكس: ٧٧٠٣٢٢٩ -٥٧٨٦٨٣٣ - ٥٧٨٦٠٢٣

Email: acpss@ahram.org.eg

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر